وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف
المركز الثقافي الإسلامي الشيخ سي عامر محفوظي
-فرع الجلفة -

مجلة

المركز الثقافي الإسلامي

العدد العاشر/ جمادي الثانية -ذو القعدة 1443هـ الموافق لـ جانفي –جوان 2022م

- حماية الموارد المائية من خلال قواعد الفقه الإسلامي
- موقف الاستعمار الفرنسي من النشاط الإصلاحي والتعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة
- ثقافة التكنولوجيا وثقافة الطفل -العلاقة والأثر
- الآثار الرومانية بالجلفة - من بوابة "روما الصحراء" مسعد-
- مكانة المرأة في الشريعة الإسلامية وتحديات العصر
- واقع الصيرفة الإسلامية على الاقتصاد الجزائري في ظل التحولات الجديدة

العدد 10

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المركز الثقافي الإسلامي

مجلة علمية ثقافية

تصدر عن المركز الثقافي الإسلامي – فرع الجلفة –

العدد العاشر/ شوال- ربيع الثاني 1442 هـ الموافق لـ جانفي- جوان 2022

إدارة التحرير

المدير الشرفي

الدكتور أحمد يسعد - مدير المركز الثقافي الإسلامي

مدير المجلة مسؤول النشر

السيد المختار براهيمي - رئيس الفرع

رئيس التحرير

السيد إبراهيم شرماط

هيئة التحرير

- الاستاذ الدكتور عبد الحليم بوهلال
- الاستاذ الدكتور أحمد بورزق
- الدكتور ميلود حميدة
- الاستاذ علاء بوشنافة
- الاستاذ مولود النمس
- الأستاذ زكرياء شتاتحة

قواعد النشر في مجلة المركز الثقافي الإسلامي فرع الجلفة

أولا- تنشر مجلة المركز الثقافي الإسلامي المواضيع التي تتعلق بـ :

1- المجالات الدينية و الاجتماعية والقانونية والإدارية والسياسية والاقتصادية والنفسية والتربوية والتاريخية.
2- الأعمال والتقارير العلمية عن المؤتمرات والملتقيات العلمية والأيام الدراسية والرسائل العلمية ذات العلاقة بالنشاطات الثقافية للمركز.

ثانيا- شروط النشر

يشترط في البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة أن تتوفر على مايلي:

1- مراعاة سلامة اللغة وصحة الأسلوب.
2- مراعاة الدقة في استعمال علامات الترقيم.
3- ضرورة تطابق عنوان البحث مع الموضوع.
4- أن يكون البحث أصيلا، ولم يسبق نشره .
6- ألا يزيد عدد صفحات البحث على 15 صفحة بما في ذلك المراجع والملاحق.

ثالثا- متطلبات النشر:

1- تقوم هيئة التحرير بالتقييم الأولي للبحوث والدراسات المرسلة قبل الموافقة على نشرها.
2- لهيئة التحرير الحق في رفض أو قبول البحوث والدراسات المرسلة للنشر.
3- في حال قبول البحث للنشر تصبح البحوث والدراسات ملكا للمجلة ولا يجوز نشره في أي منفذ آخر ورقيا أو إلكترونيا، إلا بعد موافقة إدارة المجلة.
4- في حال عدم قبول البحث للنشر فإن المجلة غير ملزمة برده إلى صاحبه، ويكتفى بإشعاره بعدم إجازته للنشر.
5- يخضع ترتيب البحوث والدراسات لاعتبارات فنية فقط.

المركز الثقافي الإسلامي – فرع الجلفة

حي 5 جويلية طريق المجبارة

الهاتف/ فاكس :027915150

البريد الالكتروني :ccidjelfa@gmail.com

صفحة الفيسبوك : ccidielfa/facebook.com

كلمة رئيس المركز الثقافي الاسلامي- فرع الجلفة

أ.المختار براهيمي

° ° °

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله .. والصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

تكتسي مجلة المركز الثقافي الاسلامي - فرع الجلفة- أهمية كبيرة وتأخذ حيزا واسعا في مجمل نشاطات المركز بالجلفة ليس لكونها مجلة كبيرة مستقلة عن نشاطاتنا ولكن هي امتداد واسع ورافد مكتوب لما تقدمه مؤسسة المركز الثقافي الاسلامي بالجلفة كمؤسسة ثقافية تساهم في التراكم الثقافي محليا ووطنيا.

وها نحن في العدد العاشر لمجلتنا الذي نقدم فيه مجموع مقالات كانت قد قدمت كمحاضرات في المركز أو مساهمات لمثقفين وأساتذة لهم علاقة من قريب أو بعيد معنا أو إنتقاء مقالات من المقالات الواردة إلينا.

لتختم المجلة كالعادة بتراجم لأعلام وعلماء من منطقة الجلفة وحصيلة للنشاطات التي قدمت في المركز في الآونة الأخيرة مرفقة بالصور.

وجاء في هذا العدد مقال مهم للدكتور عبد الرحمان هزرشي يؤكد فيه على حفظ وحماية المياه ورأي الفقه الاسلامي في ذلك.

وتليه مقالة للدكتور عبد العزيز نارة تؤرخ لنشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إبان الاستدمار الفرنسي بالجلفة وتبين الموقف الفرنسي من النشاط الاصلاحي والتعليمي لها.

ويساهم معنا الدكتور قرقيط عمر بمقال حول رائد الفكر في الجزائر الاستاذ مالك بين نبي وقبسات من حياته وفكره.

ومن المقالات الثقافية المميزة هذه المرة مقال بعنوان" ثقافة التكنولوجيا وثقافة الطفل" للأستاذ والمكتبي شعثان الجيلالي والتي أبرز فيها دور التكنولوجيا في تنمية ثقافة الطفل ودراسة المحاسن والمخاطر للناشئة.

لتطلعنا الأستاذة سني علية المختصة في التاريخ على النظام القضائي في العهد العثماني في الجزائر مع نهاية القرن الثامن عشر و وبداية القرن التاسع العشر أواخر تواجد العثمانيين في الجزائر.

و من المقالات الأكاديمية التي يستفيد منها القارئ الكريم خاصة المهتمين بتسيير المرافق العامة و المقاولين مقال بعنوان " جديد الصفقات العمومية وتأثيرها على سير

المرفق العام " والذي تناول أخر التعديلات لقانون الصفقات العمومية للدكتورة خلدون عائشة استاذة القانون العام بجامعة الجلفة وقد تم عرض هذه المقالة بالمركز على شكل محاضرة وكان لها التجاوب و الفائدة الكبيرة للحضور.

ودائما ما يتواجد معنا الاستاذ و المهندس والباحث في تاريخ المنطقة عطية عيساوي بمقالاته التوثيقية والبحثية لإثراء المكتبة المحلية بمقالات مميزة نشرت على أعداد سابقة وجاء هذه المرة ببحث قيم بعنوان الآثار الرومانية – من بوابة "روما الصحراء "مسعد-

وشاركت معنا هذه المرة الاستاذة قطاف سلمى ببحث حول ترقية الوعي البيئي لدى أفراد المجتمع كمقال للمساهمة و التوعية للحفاظ على حاضر و مستقبل بيئي أفضل.

و من المقالات البحثية المميزة أيضا في هذا العدد مقال مشترك للأستاذتين : هيام عايدي و ثامري مسعودة الموظفتين بالمركز والناشطتين في مجالهما مقال بعنوان " مكانة المرأة في الشريعة الاسلامية و تحديات العصر "

يليه موضوع دراسة حالة من المجتمع دراسة ميدانية لحالة الطفل المسعف أو عديم الوالديين في مؤسسة خاصة بهذه الفئة للأستاذة بلعطرة خديجة.

ومن الأركان الدائمة في مجلتنا الجانب الاقتصادي الاسلامي و هذه المرة بمقالين يدرسان التوجه الحديث للدولة الجزائرية يتبنى الصيرفة الاسلامية في البنوك العمومية و الخاصة وهما الاستاذين: - الدكتور بوعكاز عامر بعنوان " الصيرفة الاسلامية كآلية لدعم التنمية الاقتصادية في الجزائر"، و الدكتور خلفاوي عبد الصمد بعنوان " واقع الصيرفة الاسلامية على الاقتصاد الجزائري في ظل التحولات الجديدة "

و من المساهمات التي تصلنا على شكل خواطر و إسهامات مساهمة بعنوان " سفرية زاد اليقين " والتي يروي فيه رحلته الى بيت الله الحرام، للسيد قرار المسعود.

لنختتم كالعادة بتراجم لعلماء و أعلام منطقة الجلفة من مختارات الاستاذ قديري بولنوار المكلف بمكتبة المركز الثقافي الاسلامي فرع الجلفة.

ليرى القارئ الكريم لهذه المجلة التعريفية والتثقيفية للمركز حصيلة لأخر النشاطات الثقافية التي قدمت بالمقر من إعداد مكتب النشاط الثقافي الاسلامي.

لنضرب موعدا إن شاء الله في العدد القادم.

حماية الموارد المائية من خلال قواعد الفقه الإسلامي

د :هزرشي عبد الرحمان

كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة الجلفة

° ° °

مقدمة :

يعتبر حماية الموارد المائية وترشيد استهلاكها من المواضيع الحيوية التي شغلت الفقهاء المسلمين والتي ظهرت في كتاباتهم في مختلف الميادين ، سواء في كتب الفقه أو كتب الجغرافيا وكتب الرحلات .

ومن أهم ما اهتم به فقهاؤنا تدوين القواعد الفقهية والتي تعتبر قوانين وأصولا تجمع مختلف الأجزاء الفقهية وهي كل أصل فقهي كلي يتضمن أحكاماً تشريعية عامة، من أبواب متعددة في القضايا التي تدخل تحت موضوعه ونظراً للأهمية الكبيرة التي تمتاز بها هذه القواعد، فقد أحببت الوقوف مع بعض القواعد وتطبيقاتها في مجال الحفاظ على الموارد المائية .

المبحث الأول : قاعدة نفي الضرر وأثرها في حماية البيئة المائية

أولت الشريعة الإسلامية موضوع الضرر أهمية بالغة وجعلته أصلا كبيرا يندرج تحته كثير من الأحكام الفقهية ، ومن القواعد المتعلقة بالضرر، قاعدة (الضرر يُزال) وهي أساس لمنع الفعل الضار وترتيب نتائجه في التعويض المالي أو العقوبة ، وهي السند في جلب المصالح ودرء المفاسد[1]،فهي أصل لمجموعة من القواعد الفقهية، ومنها القواعد المتعلقة بحماية البيئة المائية والمحافظة عليها ومن القواعد المتفرعة عنها:

قاعدة (الضرر لا يزال بمثله)

وقاعدة : (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف)

وقاعدة: (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما) وقاعدة: (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام)

وقاعدة : (درء المفاسد أولى من جلب المصالح) ، ونظرا لأهميتها اعتنى فقهاء الشريعة الإسلامية و المهتمون بالعمارة الإسلامية بمسائل منع الضرر و وجوب إزالته إذا وقع في البنيان والشوارع والمجاري المائية وغيرها .

وقد تكلم فقهاء الشريعة الإسلامية عن الأضرار الحاصلة في المياه وتعرضوا لأمثلة من ذلك انطلاقا من الأحاديث النبوية الواردة في ذلك منها:

-عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه) [2] .وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال : (اتقوا اللعانين قالوا : وما اللعانين يا رسول الله ؟ قال : التخلي في طريق الناس أو ظلهم)[3].

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (اتقوا الملاعن الثلاث ، قيل : ما الملاعن يا رسول الله ؟ قال: أن يقعد أحدكم في ظل يُستظَل فيه أو في طريق أو في نقع ماء[4]) وفي بعض الأحاديث موارد الماء.

فالتخلي في الموارد المائية هو من الضرر الذي يجب منعه قبل الحصول ، ويجب إزالته وإزالة آثاره إذا وقع ، وإذا كان رسول الله ﷺ ذكر البول في الحديث أو التخلي في الموارد المائية فإن النهي ينصرف إلى كل ما يلوث البيئة المائية ويفسدها من الأقذار و الملوثات ،فهناك ما هو أشد قذارة وأكثر إفسادا من البول ، خاصة في زمننا هذا الذي تعددت فيه الملوثات ومصادرها وأصبح خطرها أعظم على الإنسان والحيوان والنبات.

وإلى ذلك ذهب كثير من أهل الفقه حيث نبهوا على منع تلويث المياه وتحريمه بأي ملوث كان سواء كان بسبب النجاسات المعهودة في كتب الفقهاء أو غيرها ، بل إن كثير من الفقهاء عللها بالقذارة مهما كان مصدرها ، فيكون الحكم هو تحريم تلويث المياه بأي نوع من أنواع الملوثات المستقذرة ، يقول ابن دقيق العيد : " إن ورود النجاسة على الماء مؤثر فيه ومطلق التأثير أعم من التأثير بالتنجيس ... ولا يتجه تخصيص بول الآدمي منها ، بل المناسب التنزه عن الأقذار فيكون ما هو أشد قذرا أوقع في المعنى وأولى بالنهي عنه ، فذكر البول وقع تنبيها على غيره مما يشاركه في معناه من القذارة [5]" ، وإلى تحريم تلويث المياه ذهب أكثر الفقهاء جاء في حاشية الرملي على أسنى المطالب " والصواب تحريم البول في الماء لأنه ينجسه ويتلف ماليته و يغري غيره باستعماله " [6]

فمن الأضرار التي يسببها تلويث الماء أنه ينجسه فلا يصبح صالحا للطهارة أو الانتفاع و يخرجه ذلك عن صفته المالية فيفقد ماليته ويصبح غير صالح للتعامل ببيعه أو هبته وهو نوع من الإتلاف، وقد يستعمله شخص آخر وهو لا يعلم بنجاسته فيتضرر بذلك.

ومن تطبيقات قاعدة وجوب إزالة الضرر التي ذكرها الفقهاء : أنه من أنشأ كنيفا أو أحدث بالوعة لتصريف المياه القذرة قرب بئر أحد فأفسدت ماء تلك البئر فيجب دفع الضرر ، فإذا كان غير ممكن دفع الضرر بوجه ما فإنه يجب ردم الكنيف أو البالوعة[7].

وجاء في المعيار المعرب عن سؤال يتعلق بالقنوات و المراحيض التي تصب في النهر ،هل تنقطع ويمنع من أراد إحداث شيء من ذلك أم لا ؟ فكان الجواب : " ... إذا كان ذلك يفسده فقطعه لازم وتغييره واجب " وقال : وأجاب ابن رشد في نفس المسألة : " والحكم بإزالة الضرر واجب والقضاء به لازم وعلى الحاكم أن ينظر في ذلك إذا اتصل به الأمر و لا يسعه السكوت " وذكر أمثلة عن ذلك والفتاوى المتعلقة بذلك وكلها تقضي بقطع الضرر عن المجاري المائية وإزالته [8].

ولم يكتف الفقهاء بمنع تلويث المياه وإزالة الضرر عنها بل نجد منهم من يذهب إلى تحديد المقدار الواجب احترامه في إنجاز قنوات صرف المياه القذرة حتى لا ينتقل أثرها إلى المياه النقية فجاء في كتاب رياض القاسمين : " وينبغي أن يكون بين البالوعة وبئر الماء مقدار ما لا تصل النجاسة إلى بئر الماء وقُدر في الكتاب بخمسة أذرع أو سبعة ، وذلك غير لازم إذ المعتبر عدم وصول النجاسة وذلك يختلف بصلابة الأرض ورخاوتها " [9]

وقد أوكلت مهام مراقبة الحفاظ على المياه للمحتسب الذي من مهامه مراقبة عمل السقائين ومنعهم من إفساد المياه وتلويثها فمن مهامه منع النساء من الغسيل بالقرب من أماكن السقاية ومنع رمي الأقذار على ضفتي الوادي أو النهر ، ومنع إرسال مياه الصرف الصحي في الأزقة ، ومنع رمي الأوساخ والقاذورات في مجاري المياه[10].

ومن أهم الجرائم المتعلقة بالموارد المائية التي كانت تتصدى لها محكمة المياه في بلنسية جرائم تلويث المياه ، فكان مسؤول الساقية ومساعدوه يراقبون تلك الجرائم ، وتجري المحاكمة في محكمة المياه ومن الجرائم تبذير الماء سرقة المياه وغسل الثياب أو الصوف في القناة وجريمة غمر الطريق بالماء أو غمر المحاصيل بالمياه[11] ، وهي كلها أفعال تؤثر على الموارد المائية من الناحية الكمية أو النوعية ، تصدى لها الفقهاء وكانت قضاياها تعرض على الفقهاء أو القضاة. [12]

المبحث الثاني : قاعدة الضمان ودورها في المحافظة على البيئة المائية .

يشمل قاعدة الضمان مجموعة من القواعد الفقهية تلعب دورا كثيرا في المحافظة على أموال الناس وقد عدد الفقهاء هذه القواعد وفضلوها تفصيلا ونذكر بعضها على سبيل المثال : (إذا اجتمع المباشرو المتسبب أضيف إلى المباشر) وقاعدة (لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير إلا بإذنه) .

وقاعدة : (الاضطرار لا يبطل حق الغير)وقاعدة (ما لا يمكن الاحتراز منه لا ضمان فيه)[13]

تعتبر قاعدة الضمان من القواعد الفقهية التي تشمل على حماية الموارد المائية فالقاعدة : "السبب في الإتلاف يوجب الضمان [14]" معناها أن من تسبب في إتلاف مال شخص أو نفسه ضمن ما أتلفه سواء كان متعمدا أو مفرطا ، التلف : هو ذهاب المنفعة المقصودة من الشيء[15] ، أو هو حدوث ما يوجب خروج العين بمادتها وهيئتها عن ما يخصها من وجوه الانتفاع المعتد به ، والإتلاف : إخراج الشيء عن أن يكون منتفعا به منفعة مطلوبة منه عادة[16] ، أو هو قيام فاعل بشري بعمل يؤدي إلى التلف مباشرة أو يكون موجداً لسبب يؤدي إلى التلف.

والضمان كما عرفه الفقهاء : " هو التزام بتعويض مالي عن ضرر للغير[17]" ، فالضمان هو الالتزام بتعويض الغير عما لحقه من تلف المال أو ضياع المنافع، أو عن الضرر الجزئي أو الكلي الحادث بالنفس الإنسانية[18] ، والشريعة الإسلامية قررت هذا المبدأ في التعويض حفاظا على أموال الناس وقمعا للعدوان وجبرا للضرر الذي يلحق المتضرر في ماله أو نفسه.

وأسباب الضمان ثلاثة : العقد ووضع اليد والإتلاف ، وما يهمنا هنا السبب الأخير الذي هو الإتلاف وهو ما أشرنا إليه من قبل في تعريف الإتلاف : " إخراج الشيء من أن يكون منتفعا به منفعة مطلوبة منه عادة" [19]

ومن التطبيقات العملية لنظرية الضمان إفساد الموارد المائية بمختلف الملوثات ، فإن من أحدث في المياه حدثا وسبب ضررا لأحد من الناس يُلزم بالتعويض يقول أبو يوسف: "إن الفرات ودجلة بمنزلة طريق المسلمين فليس لأحد أن يحدث فيهما شيئا ، فمن أحدث فيهما شيئا فعطب بذلك عاطب ضمن[20]"

فهذا تنبيه منه على أن قاعدة الضمان يسري تطبيقها على إفساد البيئة المائية وتستخدم لحماية الموارد المائية من الملوثات أيا كان نوعها لأنها مما يسبب الضرر للناس والحيوان والنبات ، وهو ما يعبر عنه بمبدأ الملوث يدفع في القوانين الحديثة إلا أن قاعدة الضمان أدق وأحكم .

المبحث الثالث :قواعد تخطيط المدينة وأثره في حماية البيئة المائية

المطلب الأول : اختيار موقع المدينة

لقد تنبه المسلمون للآثار الصحية السيئة التي تسببها المياه الملوثة لسكان المدينة ، فتم اعتماد خطط وتصاميم هندسية وإجراءات وقائية في مواجهة الأمراض والأوبئة الملازمة للمعمار

المائي الحضري ، وقد يكون انتشار الأوبئة الناجمة عن المياه بسب عوامل بشرية أو طبيعية .

فالأسباب الطبيعية تكمن في نوعية المياه المجاورة للتجمعات السكانية وموقع المدينة في حد ذاتها مثل شدة الرطوبة وقرب المدينة من المستنقعات والبرك الراكدة ، " فالمدن التي يغلب على أهلها شرب المياه الراكدة التي في بطون الأودية و المارة بالغياض و الآجام ... فإن أمزجتهم تكون أتم استعداد للتأثر ... وكذلك أرباب المياه الكبريتية والتي فيها حدة كسكان الحامات[21]" وأما الأسباب البشرية فيتمثل أخطرها في طرح النفايات الصلبة أو السائلة في المجاري المائية بفعل عدم توفر بعض الدور والأحياء على المراحيض وشبكة الصرف الصحي[22]لذلك تكررت تحذيرات المحتسبين للسكان من إلقاء تلك النفايات لما له من انعكاسات صحية على السكان ، ومراعاة للشروط الصحية منع المصابون بالأمراض المعدية من الاقتراب من مصادر المياه " لأن ورودهم الماء و إدخال أوانيهم فيه مما يضر بالأصحاء" [23].

وقد ذكر الطبيب المصري أبو الحسن علي بن رضوان بن جعفر[24]المتوفى سنة 453 هـ " ... وأردأ ما يكون النيل بمصر عند فيضانه وعند وقوف حركته ، وعلى ذلك فينبغي أن يغلى الماء ... فرداءة ماء النيل ناتجة من وقوف حركته في الصيف ومن حركة زيادته في الشتاء لأنه يجلب معه الأقذار و العفونات ، ولذلك يجب أن يسقى ماء النيل من المواضع التي فيها جريانه أشد والعفونات فيها أقل[25] .

المطلب الثاني: إبعاد بعض الصناعات المفسدة للبيئة المائية

ومن أجل المحافظة على صحة المواطنين ومنعا للتلويث البيئة بصفة عامة والبيئة المائية بصفة خاصة أبعدت بعض الحرف كالدباغة والفخارة وأفران الجير إلى خارج أسوار المدينة لمنع وصول الأذى للسكان وتفاديا لتسرب مياه قنواتها وصهاريجها إلى قنوات الماء الشروب[26]، وكانت تلك الإجراءات الوقائية والتنظيمية في تخطيط المدينة تهدف إلى تطويق الأمراض والطواعين التي تسببها المياه.[27]

المطلب الثالث : مبادئ وأحكام تنظيف القنوات والمجاري المائية

نظرا لأهمية نظافة القنوات والمجاري المائية وعظم أثر ذلك على صحة السكان وعلى معيشتهم ، فقد نظم الفقهاء طرق تنظيف المجاري المائية ، وبينوا في قواعد محكمة مسؤولية ذلك ، وحددوا مصاريف تلك الأشغال ومن يجب عليه فعل ذلك.

فأما الأنهار الكبيرة فنظافتها على بيت مال المسلمين لأن ملكيتها عامة ومنفعتها لسائر المسلمين فيقوم السلطان بذلك فإن لم يتسع بيت مال المسلمين على ذلك يجبر الناس على تطهيرها وأما الأنهار الصغيرة والقنوات المشتركة بين مجموعة محصورة من الناس فنظافتها وإصلاحها على من ينتفع بها ، وتكون مصاريف عملها عليهم ،ومن امتنع فإنه يجبر على المشاركة في الإصلاح أو التنظيف.[28]

ونجد أن ابن الرامي المالكي قد فصل تفصيلا دقيقا في مسائل منها كنس مراحيض الدور والقنوات المشتركة بين الجيران ، وأحكام كنس القنوات التي تجري في الأزقة ، وإصلاح مجاري البساتين وغيرها من المسائل التي تعنى بجانب النظافة ومنع التلوث عن المجاري المائية سواء داخل المدينة أو في البساتين[29].

وكان حرص بعض السلاطين على الحفاظ على نقاوة المياه وتدفقها قد جعلهم يحبسون أموالا كبيرة للقيام بشؤون القنوات ونظافتها فتطهير قنوات وادي فاس مثلا رصدت له أحباس خاصة في عصر بني مرين.[30]

المطلب الرابع : تجريم فعل الإضرار بالبيئة المائية

يعتبر الإضرار بالبيئة المائية من الجرائم في نظر الفقه الإسلامي ، فلم يقتصر الفقه الإسلامي على نفي الضرر بالمياه بل تعداه إلى تجريم تلك الأفعال المضرة بالبيئة بصفة عامة والبيئة المائية بصفة خاصة ، فالقرآن الكريم نهى عن الفساد والإفساد في الأرض قال تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .[31]﴾ و يشمل أي نوع من الإفساد في الأرض وقد جاء في القرآن الكريم في النهي عن الفساد وإهلاك الحرث والنسل ، واعتبار ذلك جريمة نكراء تستحق العقوبة الدنيوية والأخروية قال تعالى ﴿ : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث و النسل و الله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾ [32] كما ينبه القرآن الكريم إلى أن انتشار الجرائم البيئية وظهور الفساد هو سبب من أسباب عدم القيام بالمسؤولية نحو البيئة من طرف الإنسان ، كما يحدث في زمننا هذا من جرائم بيئية تؤثر على حياة الإنسان والحيوان والنبات ، بسبب ما يلقيه الإنسان من ملوثات في البحر وفي المجاري المائية

السطحية وكذلك ما يمكن أن يتسرب إلى أعماق الأرض فيلوث المياه الجوفية قال تعالى ﴿ : ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون[33] ﴾ .

إن فقهاء الشريعة الإسلامية تفطنوا لذلك وحرموا إلقاء القاذورات أو الملوثات في المجاري المائية أو في الآبار واعتبروه جريمة يعاقب عليها الإنسان ، لأن ذلك يدخل في الجرائم التي لم تحدد الشريعة الإسلامية لها عقوبة محددة وهو ما يسمى بجرائم التعزير في الفقه الجنائي الإسلامي.

المطلب الخامس : تجريم سرقة المياه

اعتبر فقهاء الشريعة الإسلامية سرقة المياه جريمة يعاقب عليها وذلك باعتبار السرقة التي تقع على الماء إنما تقع على مال للغير ، وإنما اختلفوا في إقامة الحد على سارق المياه ، فالشخص الذي يستولي على المياه من الأنابيب أو المعبأ في القارورات أو المستودعات التي تختزنه فيها هيئه لتنقية المياه وتوزيعها دون أن يتفق معها على ذلك يعتبر سارقا ، ومنها التوصيل غير الشرعي لقنوات المياه ، أو عدم تسديد الفاتورة[34] .

فالفقهاء اشترطوا في المال المسروق شروطا هي :

- أن يكون الشيء المسروق مالا.
- أن يكون مملوكا للغير.
- أن يكون منقولا.
- أن يكون محرزا.
- أن يبلغ نصابا ليقام الحد على السارق عند من يقول بإقامة الحد على سارق الماء.[35]

وعند النظر في هذه الشروط نجد أنها تتوفر في الغالب في سرقة الماء ، فالماء يعتبر مالا متقوما عند أغلب الفقهاء ويجوز بيعه وهو منقول ومحرز ، فالماء لم يعد باقيا على أصل خلقته وصورته المباحة بل دخلتها يد الإنسان بالصناعة في استخراجها ومعالجتها ونقلها ، وخاصة عندما يوضع في الخزانات والأنابيب أو القارورات ، والماء قد يكون مملوكا للدولة أو مملوكا لأحد الأفراد أو الأشخاص المعنوية كالشركات التي تشتغل في تعبئة المياه ، وتتقاضي قيمة المياه مقابل عمليات الاستخراج واالتوصيل والمعالجة فقد أصبحت المياه في عصرنا الحالي تتطلب أموالا عظيمة لتنقيتها وتعبيئتها ونقلها إلى المستهلك[36].

ويبقى الخلاف في كون سرقة المياه توجب حد السرقة أم لا فالحنفية لا يرون قطع يد سارق المياه لأنه مباح في الأصل وما كان مباح الأصل إذا تملكه أحد الناس ثم سرق لا يجب فيه القطع والحنابلة لا يرون قطع يد سارق المياه لأن الماء مما لا يتمول عادة[37]، ويرى المالكية والشافعية في أصح الأقوال عنهم وقال

به بعض الحنابلة وقال به يوسف من الحنفية [38] أن سرقة الماء توجب الحد وذلك لأن الماء متمول عادة ويجوز بيعه[39].

المبحث الرابع : قاعدة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة

المطلب الأول : فقه القاعدة

جرت هذه القاعدة على ألسنة الفقهاء، ولم تختلف عباراتهم كثيرا، وتعني القاعدة أن تصرفات الحاكم في قضايا الأمة يجب أن تكون وفق المصالح العامة، ووفق مقاصد الشريعة الإسلامية في جلب المنافع ودفع المضار، وكل تصرف لم يراع مصالح الأمة فهو باطل.

ويتوسع فقهاء الشريعة الإسلامية في نطاق تطبيق القاعدة لتشمل كل من يتولى أمرا من أمور المسلمين صغر أو عظم، فصاغها السبكي كما يلي : (كل متصرف عن الغير فعليه أن يتصرف بالمصلحة) أما الإمام القرافي فقد أوردها بالصيغة التالية : (اعلم أن كل من ولي ولاية الخلافة فما دونها إلى الوصية لا يحل له أن يتصرف إلا بجلب مصلحة أو درء مفسدة . [41])

المطلب الثاني : شروط إعمال القاعدة

ويشترط الفقهاء لإعمال هذه القاعدة شرطين :

1- أن يكون مختصا أي يتصرف في مجال ولايته وفي حدودها.
2- أن تتوافر في الولي شروط الوكيل لأنه يتصرف عن غيره أي في رعاية مصالح من وُكّل عليه.
3- أن يكون التصرف عائدا بالنفع على الموكل عليه ، أي فيها نفع دنيوي أو أخروي أوبهما معا. [42]

وعليه فيكون الهدف من التصرف جلب المصلحة ودفع المفسدة ، فإذا ترتب على التصرف مصلحة في ميزان الشرع فهو نافذ في حق المولى عليه ، أما إذا ترتب على التصرف مفسدة فإنه يبطل.

المطلب الثالث : تطبيقات القاعدة في مجال حماية الموارد المائية

الفرع الأول : تقييد الانتفاع بالمياه

وهذا إذا كان الانتفاع يؤدي إلى مفسدة تلحق بالمجتمع ، ومعلوم أن استغلال المياه والاستهلاك غير العقلاني لهذه الثروة في عصرنا أدى إلى الكثير من الهدر ، فللسلطات أن تضع شروطا وقوانين وضوابط للانتفاع بالموارد المائية سواء للاستهلاك المنزلي أوالزراعي أو الصناعي .

الفرع الثاني : تشريع عقوبات على التعدي على الثروة المائية

فالشريعة الإسلامية أتت بمبادئ وأسس للمحافظة على الموارد المائية كما ونوعا ، ونظرا لما يلحق الثروة المائية من تلوث وإفساد وهدر ،وقد استفحلت هذه الجرائم الماسة بالمياه ، كسرقة المياه وتلويثها، فإنه تطبيقا للقاعدة يجب على السلطات أن تشرع عقوبات رادعة من باب التعازير للمحافظة على المياه

الفرع الثالث : فرض الرسوم والضرائب من أجل حماية الموارد المائية

بناء على القاعدة فإنه يجوز فرض رسوم على استعمال المياه لاستعادة التكاليف أو جزءا منها أو من أجل إجراء تدابير للمحافظة على المياه.

الفرع الثالث : الانضمام لاتفاقيات التعاون الثنائية والدولية لحماية الموارد المائية

من باب التعاون على البر والتقوى ، وتطبيقا للقاعدة فيمكن للحكومة أن تعقد الاتفاقيات الدولية للمحافظة على الثروة المائية الباطنية أو السطحية المشتركة ، وإقامة الندوات والمؤتمرات والأبحاث العلمية.

خاتمة :

و في نهاية هذا البحث نصل إلى النتائج و التوصيات التي نجملها فيما يلي :

النتائج :

شغلت القواعد الفقهية حيزا كبيرا من اهتمام فقهاء الشريعة الإسلامية ، فبذلوا جهودا كبيرة في صياغتها وتنظيمها ، والتخريج عليها، ، كما بذلوا جهودا في استنباطها من الأصول الشرعية ، ومبادئ اللغة العربية ومسلمات المنطق، واشتغل بالتأليف فيها الفقهاء قديما وحديثا ، وذلك نظرا لما تلعبه من دور في تنظيم الفقه وتسهيل الحفظ والاستنباط.

وتلعب القواعد الفقهية دورا كبيرا في الكشف عن الأحكام الفقهية الجزئية المتعلقة بحماية الموارد المائية، كقواعد نفي الضرر أو قاعدة الضمان أو قواعد تنظيم المدينة الإسلامية .

التوصيات :

1- بذل المزيد من الدراسات على القواعد الفقهية وخاصة ما تعلق بحماية البيئة أو حماية الموارد المائية

2- ضرورة العناية بقواعد تنظيم المدينة في الفقه الإسلامي وما تلعبه من حماية للبيئة.

الهوامش :

1- البورنو محمد صدقي ، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ، الرسالة العالمية ،بيروت ، ط 4 ، 1996،ص 254.

2- سبق تخريجه ص 37.

3- سبق تخريجه ص 37

4- رواه أحمد في مسند عبد الله بن عباس وصححه الحاكم.

5- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، مطبعة السنة المحمدية ، د ط ، د ت ، ج 1 ، ص 72.

6- الأنصاري زكريا بن محمد ، أسنى المطالب في شرح روض الطالب وبهامشه حاشية الرملي ، دار الكتاب الإسلامي ، بيروت ، د ط ، د ت ، ج 1 ، ص 48.

7- درر الحكام شرح مجلة الأحكام ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 2003 ، ج 3 ، ص 214 - 217.

8- الونشريسي ، المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1981 ج 8 ص 27 - 28.

9- القاضي كامي محمد بن احمد الإدرنوي تحقيق مصطفى بن حموش ، رياض القاسمين ، عالم المعرفة ، الجزائر ، د ط ، 2008 ، ص472.

10- ابن عبدون ، رسالة في الحسبة ، في ليفي بروفنسال ، ثلاث رسائل في آداب الحسبة و المحتسب ، مطبوعات المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية ، ص 32.

11- Tomas F G , Irrigation and Society in medieval Valencia p 54, posté sur le lien: http://libro.uca.edu/irrigation/irrigation.htm , le :09 / 01/ 2016 h 21:02 .

12- هزرشي عبد الرحمان ، ضوابط استغلال المياه في الفقه الإسلامي و القانون الجزائري ، رسالة دكتوراه في الشريعة و القانون، جامعة باتنة 1 ، كلية العلوم الإسلامية ، 2017 ، ص 285.

13- إدريس صالح الشيخ فقيه ،القواعد والضوابط الفقهية في نظرية الضمان ، رسالة ماجستير في الفقه وأصوله ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، 2006 ، ص 71 وما بعدها.

14- القرافي شهلب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة ، تحقيق محمد بوخبزة ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1994 ، ج 6 ص82.

15- محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي ، معجم لغة الفقهاء ،دار النفائس ، بيروت ، ط 2 ،1988 ، ص 144.

16- نفسه ، ص 41.

17- مصطفى أحمد الزرقاء ، المدخل الفقهي العام ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 1998 ، ص 1017.

18- الزحيلي وهبة ، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ط 9 ، 2012 ، ص 22 .

19- الزحيلي ، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي ، ص 65.

20- الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، د ط ، 1979 ، ص 93.

21- محمد العربي الخطابي الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1988 ج 2 ، ص 171 .

22- سعيد بن حمادة ، الماء و الإنسان في الأندلس خلال القرنين 7 و 8 ه ، دار الطليعة ، بيروت ، ص 117.

23- الونشريسي ، مرجع سابق ، ج 6 ص 422.

24- أبو الحسن علي بن رضوان بن جعفر الطبيب المصري المعروف ولد بمصر ، كان أبوه فرانا ، طلب العلم ونبغ في الطب حتى أصبح رئيس الأطباء ت 453 ه .(ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ط ، دت ، ص 509.)

25- ابن رضوان أبو الحسن على ، دفع مضار الأبدان عن أهل مصر ،مكتبة ابن قتيبة تحقيق عبد المجيد دياب ، الكويت ، 1995 ، ص 91.

26- محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، الكويت عدد 128 أوت 1988، ص 206 . يحي وزيري ، العمارة الإسلامية والبيئة الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي ،عالم المعرفة ، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، الكويت ،عدد 304 يونيو 2004 ص 49.

27- سعيد بن حمادة ، مرجع سابق ، ص 118.

28- السمرقندي ، تحفة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1994 ، ج 3 ، ص 319، الكاساني ، مرجع سابق ، ج 6 ص 161 . مجلة الأحكام العدلية ، مرجع سابق ، (المادة 1322 و 1323) .

29- ابن الرامي ، الإعلان بأحكام البنيان ،تحقيق فريد بن سليمان ، مركز النشر الجامعي ،د ط ، 1999 ص 132 - ابن الرامي ، المرجع نفسه ، ص 126 وما بعدها.

30- عمر بن ميرة ، النوازل و المجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط ، سلسلة رسائل جامعية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس أكدال ، الرباط ، ط 1 ، 2012 ، ص 332.

31- الاعراف آية 56 .

32- البقرة 206.

33- الروم 41.

34- المرشدي فهد بن بادي ، نوازل السرقة و أحكامه الفقهية ، دار كنوز إشبيليا ، الرياض ، ط 1 ، 2003 ، ص 259 ، محمد سعيد محمد البغدادي ، المال العام و أحكامه في الفقه الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية ، دار البصائر ، القاهرة ط 1 ، 2008 ص 463.

35- عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالتشريع الوضعي ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ، ط 14 ، 2000 ، ج 2 ، ص 542 وما بعدها .

36- المرشدي فهد بن بادي ، مرجع سابق ، ص260.

37- ابن قدامة ، المغني ، ج 12 ، ص 423 . العيني بدرالدين ،البناية شرح الهداية ، دار الكتب العلمية ،

38- بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ج 12 ، ص 316 .ابن نجيم ، مرجع سابق ج 5 ، ص 59.

39- المرشدي فهد بن بادي ، المرجع نفسه ، ص 259.

مالك بن أنس ، المدونة (رواية سحنون)،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1994 ، ج 4 ، ص 536 ، الدسوقي محمد بن عرفة ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، دار إحياء الكتب العربية ،د ت ، د ط ، ج 4 ، ص 518 - الخرشي ، مرجع سابق ، ج 8 ، ص 131.

40- الأشباه والنظائر ، ج 1 ، ص 152.

41- الفروق ، ج 4 ، ص 39.

42- قطب الريسوني ، قاعدة تصرفات الإمام على الرعية منوط بالمصلحة وتطبيقاتها المعاصرة في المجال البيئي ، دار الكلمة القاهرة، ط 1 ، 2013 ، ص 29 .

المراجع :

1- ابن الرامي ، الإعلان بأحكام البنيان ،تحقيق فريد بن سليمان ، مركز النشر الجامعي ،د ط ، 1999.

2- ابن رضوان أبو الحسن على ، دفع مضار الأبدان عن أهل مصر ،مكتبة ابن قتيبة تحقيق عبد المجيد دياب ، الكويت ، 1995.

3- ابن عبدون ، رسالة في الحسبة ، في ليفي بروفنسال ، ثلاث رسائل في آداب الحسبة 41

4- المحتسب ، مطبوعات المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية.

5- ابن قدامة ، المغني ، ج 12 ، ص 423 . العيني بدرالدين ،البناية شرح الهداية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ج 12 ، ص 316 .ابن نجيم ، مرجع سابق.

6- أبو الحسن علي بن رضوان بن جعفر الطبيب المصري المعروف ولد بمصر ، كان أبوه فرانا ، طلب العلم ونبغ في الطب حتى أصبح رئيس الأطباء ت 453 ه.

7- ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ط ، دت ،.

8- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، مطبعة السنة المحمدية ، د ط ، د ت.

9- إدريس صالح الشيخ فقيه ،القواعد والضوابط الفقهية في نظرية الضمان ، رسالة ماجستير في الفقه وأصوله ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، 2006 ،.

10- الأنصاري زكريا بن محمد ، أسنى المطالب في شرح روض الطالب وبهامشه حاشية الرملي ، دار الكتاب الإسلامي ، بيروت ، د ط ، د ت.

11- الباحسين يعقوب بن عبد الوهاب ، القواعدالفقهية ، مكتبة الرشد ،الرياض ،ط 2 ، 1999.

12- البورنو محمد صدقي ، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ، الرسالة العالمية ،بيروت ، ط 4 ، 1996،ص 254.

13- التافتازاني ، التلويح على التوضيح ، مكتبة صنائع 1310 ه .

14- الجرجاني علي بم محمد الشريف ، التعريفات تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ،د ط ، د ت.

15- أبو يوسف ، الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، د ط ، 1979.

16- درر الحكام شرح مجلة الأحكام ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 2003.

17- الدسوقي محمد بن عرفة ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، دار إحياء الكتب العربية ،د ت ، د ط

18- الزحيلي ، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي.

19- الزحيلي وهبة ، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ط 9 ، 2012 .

20- سعيد بن حمادة ، الماء و الإنسان في الأندلس خلال القرنين 7 و 8 ه ، دار الطليعة ، بيروت.

21- السمرقندي ، تحفة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1994

22- الكاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود ، بدائع الصنائع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1986 .

23- عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالتشريع الوضعي ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ، ط 14 ، 2000 .

24- عمر بن ميرة ، النوازل و المجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط ، سلسلة رسائل جامعية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس أكدال ، الرباط ، ط 1 ، 2012.

25- القاضي كامي محمد بن احمد الإدرنوي تحقيق مصطفى بن حموش ، رياض القاسمين ، عالم المعرفة ، الجزائر ، د ط ، 2008.

26- القرافي شهلب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة ، تحقيق محمد بوخبزة ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1994.

27- مالك بن أنس ، المدونة (رواية سحنون)،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1994 ،

28- محمد العربي الخطابي الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1988 .

29- محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي ، معجم لغة الفقهاء ،دار النفائس ، بيروت ، ط 2 ،1988.

30- محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، الكويت عدد 128 أوت 1988،

31- يحي وزيري ، العمارة الإسلامية والبيئة الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي ،عالم المعرفة ، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، الكويت ،عدد 304 يونيو 2004.

32- . المرشدي فهد بن بادي ، نوازل السرقة و أحكامه الفقهية ، دار كنوز إشبيليا ، الرياض ، ط 1 ، 2003.

33- محمد سعيد محمد البغدادي ، المال العام وأحكامه في الفقه الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية ، دار البصائر ، القاهرة ط 1 ، 2008.

34- مصطفى أحمد الزرقاء ، المدخل الفقهي العام ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 1998.

35- نور الدين الخادمي ، القواعد الفقهية ، مجموعة محاضرات ، جامعة تونس الافتراضية ، 2007 ،.

36- هزرشي عبد الرحمان ، ضوابط استغلال المياه في الفقه الإسلامي و القانون الجزائري ، رسالة دكتوراه في الشريعة و القانون، جامعة باتنة 1 ، كلية العلوم الإسلامية ، 2017 ،.

37- الونشريسي ، المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1981.

38- Tomas F G , Irrigation and Society in medieval Valencia p 54, posté sur le lien:http://libro.uca.edu/irrigation/irrigation.htm , le :09 / 01/ 2016 h 21:02 .

موقف الاستعمار الفرنسي من النشاط الإصلاحي والتعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة

عبد العزيز نارة

دكتوراه تاريخ معاصر

ملخص :

أن نشاط الحركة الإصلاحية والتعليمية لجمعية العلماء المسلمين عانى كثيرا من ضغوطات وقرارات تعسفية جائرة اتخذتها الإدارة الفرنسية من أجل إيقافه رغم أن الإدارة الاستعمارية وموظفوها في بادئ الأمر أظهروا نوعا من اللامبالاة للمشاريع الإصلاحية في الجزائر بصفة عامة، ولكن سرعان ما ضيقت الخناق عليها من خلال إصدار قوانين زجرية في حق التعليم كغلق المدارس ومنع المعلمين من التدريس بدون رخصة.

وهذه المضايقات لم تسلم منها منطقة الجلفة، فقد سعت السلطات الفرنسية بكل الوسائل للحد من انتشار العلم الإصلاحي ونجاحه، وذلك بمنع رجال الإصلاح من مزاولة عملهم المتمثل في إلقاء المحاضرات والدروس، وشددت الرقابة على تحركاتهم لتسهيل مهمة سجنهم أو نفيهم، وكل ما تعرض له أبناء الجلفة سواء كانوا معلمين أو حتى تلاميذ من تعذيب وتنكيل وسجن ونفي أمثال الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي وتلاميذه والشيخ محمد الرايس والشيخ محمد شونان وغيرهم، هو جراء قيامهم بواجبهم الوطني المتمثل في التضحية والدفاع عن الوطن وتخليصه من الاستعمار الفرنسي.

مقدمة:

عاشت الجزائر فترة الاستعمار الفرنسي (1830 – 1962م) أخطر أوضاعها الأمنية والسياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية، فكانت بحاجة إلى هيئة شعبية منظمة، تكافح للدفاع عن هويتها الحضارية العربية والإسلامية، حيث كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر بمثابة رد فعل على السياسة الاستعمارية ونوع آخر من المقاومة، فقد حمل أعباء التجربة النضالية، وبذل المؤسسين الأوائل للجمعية رفقة المساندين لها في كل أرجاء الوطن جهودهم وطاقاتهم للحفاظ على هوية الأمة وعقديتها، والدفاع عن الشخصية الجزائرية في وجه خطط الاستعمار التغريبية، والتصدي للخرافات والبدع التي شوهت الإسلام، وثقافة المجتمع العريقة وقيمه الحضارية، وقد كانت منطقة الجلفة تعاني كثيرا من سياسة الاستعمار الفرنسي، لذا وقفت جنبا إلى جنب مع جمعية العلماء المسلمين وساندت حركتها الإصلاحية والتعليمية وتبنت أفكارها، فكانت مخططات الإدارة الفرنسية بمنطقة الجلفة تعمل على عرقلة أي عمل إصلاحي أو تعليمي، وتكيد المكائد لرجال الإصلاح، ورغم هذا إلا أن أبناء الجلفة ضلوا صامدين في وجه المستعمر الفرنسي.

لقد كانت محاربة العقيدة الإسلامية، وإنهاء تأثيرها على حياة الفرد والمجتمع الجزائري، هدفا أساسيا عمل الاستعمار الفرنسي على تحقيقه، لأنه كان يدرك أن بقاءه في الجزائر واستمرار سيطرته عليها مرهون بمدى تمكنه من فك الارتباط بين الإنسان الجزائري وعقيدته الإسلامية، لذلك استعمل الاستعمار الفرنسي شتى الطرق ومختلف الأساليب من أجل تخريب جمعية العلماء في الجزائر عامة وفي منطقة الجلفة خاصة، وقام بمحاولات كثيرة، وكان من أبرزها محاولة تفجير الجمعية من الداخل واحتوائها وتحريفها عن مسارها ومنهجها الإصلاحي الجهادي والتعليمي وخطها الحضاري التغييري الأصيل.

ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل الآتي: كيف كان موقف الاستعمار الفرنسي من النشاط الإصلاحي والتعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟

أولا: السياسة الفرنسية اتجاه العمل الإصلاحي لجمعية العلماء بمنطقة الجلفة:

عملت جمعية العلماء المسلمين من خلال المبادئ التي أطرتها والوسائل التي اعتمدتها للحفاظ على كل مقومات الهوية الوطنية الجزائرية التي كان الاستعمار الفرنسي يحاول القضاء عليها، وقد تكاتفت مجهودات رجال الحركة الإصلاحية في أنحاء الوطن من أجل تحقيق غايتهم وكان من بينهم أبناء منطقة الجلفة هاته المنطقة التي شهدت معاناة كبيرة في نشر الحركة الإصلاحية والتعليمية وذلك لأن الاستعمار الفرنسي يرفض أي محاولة للمقاومة أو إخلال بالقوانين التي كان يفرضها على أهالي المنطقة، لذلك كانت هذه الحركة الإصلاحية في منطقة الجلفة تثير الإدارة الاستعمارية فكان رد فعل الفرنسيين أن استعمل كل أساليبه القاسية لتوقيف النشاط الإصلاحي من الاستمرار.

1/ المخططات الفرنسية للحد من الحركة الإصلاحية بمنطقة الجلفة:

رحبت منطقة الجلفة بفكرة النشاط الإصلاحي والتعليمي الذي أحدثته جمعية العلماء المسلمين وكانت تصف إلى جانبها وتعمل على إنجاح برنامجها خاصة وأن الجلفة كانت أحوج لمثل هذا النشاط النهضوي، وقد برز على الساحة الثقافية علماء ورجال مصلحين خاضوا معركة ضد المستعمر الفرنسي من أجل توجيه السكان وإرشادهم وتثقيفهم وتعليمهم ما ينفعهم، وحثهم على التصدي لكل ما يمس بمقومات الشخصية الجزائرية، وهذا عن طريق تأسيس المدارس والنوادي الثقافية أو عن طريق المساجد وغيرها من الوسائل المعتمدة، هذا ما دفع بالسلطات الفرنسية لتشديد

المراقبة على كل حركة تشك في أنها ستحدث خطرا على بقائها في الجزائر.

لقد كانت منطقة الجلفة وما جاورها تعيش أسوأ المراحل في ظل الاستعمار الفرنسي، ولم يكن الوضع الاقتصادي والاجتماعي أحسن حالا مما كانت عليه الجزائر سياسيا بصفة عامة، فالاستعمار الفرنسي كان يتهيأ للاحتفال بمرور قرن على احتلاله للجزائر وانتصاره عسكريا على مختلف الثورات والمقاومات الشعبية المسلحة وعلى تطويعه للسكان والأهالي جراء تمردهم ضد فرنسا ووقوفهم حجر عثرة في طريق أطماعها التوسعية الاستعمارية.

كما أصبحت كل الأراضي خاضعة لفرنسا فكذلك المستوطنون أصبحوا يسيطرون على كل شيء، ويتحكمون في وسائل الإنتاج وفي قوت الشعب الذي لم يعد قادرا على توفير لقمة العيش جراء الإجراءات المجحفة التي تطبقها الإدارة الاستعمارية، وسياسة العقاب الجماعي المطبقة عليه بعد تزايد حدة الكره للمستعمر وأصبح الشعب في درجة العبيد مما جعل الفقر ينتشر مع الجهل الذي أصاب الأمة[1]، حيث ذكر الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف بأنه: "حدثت بعثرة في التراث وتحطيم المدارس، وتحويل المساجد إلى كنائس تمارس فيها الطقوس المسيحية، وقد فعلت ذلك بأموال المسلمين واضطهاد علمائهم، وتمزيق وحدتهم الفكرية والاجتماعية، فارتبكت العلوم ونضب معينها وهاجر العلماء وتشتت وحدة القبائل التي كانت تربط بينها الثقافة العربية الإسلامية، وانحط المستوى العلمي من الناحية العربية انحطاطا كبيرا، وأخذت الكتاتيب القرآنية تتوارى تدريجيا حتى أوشكت على الزوال، وحاولت السلطات الفرنسية أن تعوض هذه الكتاتيب بالمدارس الابتدائية ولكن تلك المدارس لم تف بحاجات الراغبين في التعليم..."[2].

بالرغم من كل ذلك إلا أنه يمكن القول أنه على عكس الظروف الاجتماعية الصعبة والحالة السياسية والاقتصادية المتردية التي كانت تعيشها الجزائر ومناطق الجنوب آنذاك، وظروف المنطقة القاسية حيث تبدو صور مظاهر الحرمان والبؤس والفقر والعوز خاصة وأن المنطقة عرفت مجاعات مثل: عام القحط والجفاف، وتقلبات اجتماعية واقتصادية إذ كانت محرومة ومعزولة وخارج إطار الحكم المدني، وجعلتها فرنسا ضمن المحميات العسكرية عكس مناطق الشمال التي كانت تتمتع بحكم مدني وهذا باعتبار المنطقة نقطة تمرد ضد فرنسا منذ المحاولات الأولى للسيطرة عليها.

إلا أن البيئة الثقافية كانت مزدهرة بل وعرفت أزهى فتراتها، وكانت

المناطق المحيطة بالجلفة والتي تمتد من الأغواط وغرداية جنوبا إلى تقرت وبسكرة شرقا، حيث نجد أن حركة الثقافة كانت نشطة وبروز أعلام الفكر والثقافة والأدب. بالإضافة إلى النشاط الإعلامي المكثف وإنشاء الصحف، وانتشار زوايا العلم في كل ربوع المنطقة، ويرجع الفضل في حفظ اللغة العربية وارتباط الشعب بهويته إلى الكتاتيب التي يتلى فيها القرآن الكريم ويعلم فيها الصبيان، وإلى مقرات كانت منتشرة في أماكن التعليم برغم بساطتها إلا أنها ساهمت في تخريج الأئمة والشيوخ والمعلمين وحتى الوطنيين الذين أخذوا عنها خاصة: الشيخ خليل، الجوهر المكنون، البردة، الهمزية، خلاصة الوفا، منظومة البزرنجي، الأجرومية، بانت سعاد، قطر الندى لابن هشام الأنصاري، متن الرسالة لابن زيد القيرواني، البيقونية في علم الحديث، الرحبية في علم الفرائض، متن ابن عاشر، وألفية ابن مالك...إلخ.

إلا أنه وبالرغم من سياسة التجهيل ومحاولة القضاء على الهوية الوطنية وكل ما يربط الجزائريين بدينهم ولغتهم ووطنهم، إلا أن هناك من كرس حياته للتعليم العربي الحر ولتلقين أبناء الشعب مبادئ اللغة العربية والقرآن الكريم ممن كانوا يرون بأن التعليم واجب ديني شرعي وجهاد[3].

لقد نشطت الحركة التعليمية بظهور جمعية العلماء المسلمين باعتبارها حركة عربية إسلامية إصلاحية، والتي عملت على إنشاء النوادي والمدارس والمعاهد، وهو الشيء الذي فاجأ فرنسا وحكامها وأفسد عليهم ما كانوا يخططون له، فعملوا كل ما في وسعهم من أجل التصدي للسياسة التي انتهجتها الجمعية، ووقفوا بالمرصاد في وجه التعليم والمدارس المستقلة التي ترى فيها خطرا على بقائها.

لقد كان الصراع على أشده خاصة حول التعليم العربي والديني ومنع المستعمر للمدارس من مزاولة نشاطها التعليمي والزج بالمعلمين الأحرار ومدرسي جمعية العلماء المسلمين في السجون، ونفي بعضهم ووضع آخرين تحت الإقامة الجبرية ومتابعة وترصد لحركة الآخرين.

بل والأكثر من ذلك ما ذكره الشيخ عبد القادر المسعدي من العقوبات المسلطة حتى على التلاميذ والطلبة الذين يلتحقون بتلك المدارس، أو ممن يستمعون للدروس أنهم يتعرضون لأقسى أنواع العذاب وذلك من أجل توقيف رجال الإصلاح عن ممارسة نشاطهم التعليمي.

باعتبار أن التعليم العربي الحر كان يشكل خطرا على بقاء المستعمر وحتى على المحافظين من المعلمين وأئمة

النظام الموالين للاستعمار، ورجال الطرق والدجالين، وكانوا هم الآخرون مساهمين في المكائد إذ عملوا كل ما في وسعهم للوشاية بالعلماء البارزين الذين نافسوهم على رياسة العلم والدين وفضحوا وكشفوا مستواهم العلمي الحقيقي[4].

كان قيام التعليم الحر والحركات الحرة للإصلاح الديني والاجتماعي إلا رد فعل وطني للتعليم الموجه لخدمة المستعمر والحركات الدينية الدائرة في فلكه والمسخرة لأهدافه، وبالرغم من أن المواطنين عملوا على تشييد عدد من المساجد بأموالهم الخاصة، ومسارعة الخيرين وعامة الشعب إلى إقامة المصليات، بالإضافة إلى انتشار المدارس والنوادي الإسلامية التي كانت تشرف عليها جمعية العلماء عبر القطر الوطني والتي أقلقت المستعمر مما جعلها تصدر عددا من القوانين المجحفة للتضييق على النشاط الديني والتعليمي كما أوردنا سابقا[5] .

2/ ردود فعل الإدارة الفرنسية على نشاط رجال الإصلاح بمنطقة الجلفة:

كثفت الإدارة الفرنسية مراقبتها على رجال الإصلاح في منطقة الجلفة لأنها لاحظت مدى تأثير نشاطهم على السكان الذين رأوا في الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين نجاتهم من الجهل والانحطاط والمفاسد التي لحقت بهم، وكذلك التخلص من التسلط الاستعماري وحكمه الجائر، لذلك سعت السلطات الفرنسية بشتى الطرق لفرض هيمنتها على أهالي منطقة الجلفة خاصة فيما تعلق بشل حركة التعليم والإصلاح.

أ: الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي ومظالم حاكم مسعد والإدارة الفرنسية:

كان لتفشي الجهل وانتشار البدع والمفاسد في أوساط منطقة الجلفة دافع قوي إلى سعي رجال الإصلاح والتعليم لمحاربتها والقضاء عليها، وذلك من خلال ما يقدمونه من دروس ومواعظ وإرشادات ومحاضرات سواء في المدارس أو النوادي الإسلامية أو المساجد، كما كانت سياسة الاستعمار الفرنسية المنتهجة ضد الأهالي ومحاولة تجهيلهم والقضاء على هويتهم الوطنية والدينية سبب آخر في توحد مجهودات هؤلاء العلماء ورجال المنطقة من أجل مقاومة كل هاته المخططات.

إن من بين المصلحين الذين تعرضوا للظلم الاستعماري في منطقة الجلفة هو الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي، فقد كان المسعدي كغيره من العلماء والمفكرين ورجال الإصلاح كان على علاقة مباشرة مع المجريات والأحداث التي تلحق بالمنطقة التي ترعرع فيها، بحيث لم ينقطع عنها باعتباره أحد أبرز المساهمين

والمؤثرين فيها، فقد وقف ضد المستعمر والمكائد والدسائس التي كان يقوم بها أعوان فرنسا للإيقاع به والتزامه بالتعليم الحر وتأثره البالغ بقانون 08 مارس المشؤوم الذي منع التعليم إلا برخصة6.

أما الشيء المهم في ذلك هو التحاقه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أصبح عضوا فاعلا في صفوفها وعضوا في جمعيتها العامة وربط علاقات متينة مع شيوخها خاصة الشيخين عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، فكان يتبادل معهما الزيارة والرسائل كما وسبق أن أشرنا لذلك[7].

لقد حظي الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي بمكانة كبيرة بين أهالي الجلفة وقدم الكثير لأبنائها وبذل كل ما في وسعه لتعليمهم وإرشادهم، إلا أنه ورغم كل هذا لم تكن مهمته سهلة فقد تعرض المسعدي لعدة مصاعب ومتاعب زادت من معاناته كثيرا كوفاة والده وأخيه،كما زج به في السجن في حكم الكومندان شومر وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منطقة المعلبة وقد ذكر ذلك في رسالة بعث بها إلى صديقه ابن عياش بن الطيب يذكر فيها أنه أقام بالمعلبة وقد سئم البقاء فيها.

بالإضافة إلى وشاية أفضت به إلى السجن ونبهت الاستعمار إلى أمره، مما جعله يترصد خطاه ويتعقب تحركاته وعدّه خطرا على الأمن العام وعلى فرنسا، وفي ذلك يقول المسعدي:"أما سجني فلأغراض شخصية فانصرف أولئك الطلبة بدافع المنافسة والحسد على الرتبة العلمية والمواهب الربانية فقط من قاضي البلدة وحاكمها، كما أوضحته الجرائد الحرة ومابقي سينشر بأوضح بيان وأجلى برهان وهاأنذا-بحمد االله طليق- أتبع القضية شرعا بعد أن عرف أولوا الأمر بأنها تهمة مزورة ودعوى مغرضة زائفة غير مبررة والبحث جار ونحن الطالبون، ولن يضيع حق وراءه طالب ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره نجاحكم الكافرون، وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون"[8].

لعل أول عمل قام به الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي بعد عودته إلى مسقط رأسه تأسيسه لمجلس علم وتربية سياسية فعلم الناشئة علوما عديدة، وعمل على تغيير بعض المفاهيم الخاطئة، وعبأ الكثير من أهالي منطقة الجلفة للتحرك ضد الاستعمار الفرنسي، مما جعله يتعرض للسجن والتعذيب مرات عديدة وللنفي كذلك[9].

امتهن المسعدي التعليم حين أدرك أن رسالة العلم والتربية هي أعظم عمل قد يقدمه الإنسان لوطنه ومنطقته التي عاش فيها، ومدى مشروعيته إذا

اعتبره واجبا دينيا شرعيا، وجهادا يضطلع به، فيقول: "لم يكن ببلدي من يحسن هذه الصنعة مثلي، ولذلك وجب علي التعليم شرعا"[10].

ولعل ذلك ما نادى به العلامة ابن باديس مبينا مسؤولية العلماء أمام الله، وأجيال المسلمين المتعاقبة حيث يقول: "مسؤولية العلماء عند الله فيما أصاب المسلمين في دينهم لعظيمة، وان حسابهم على ذلك لشديد طويل ذلك بما كتبوا من دين الله، وبما خافوا في نصرة الحق سواء بما حفظوا على درجاتهم عنده وبما شحوا ببذل القليل من دنياهم فيما يرضيه وبما بذلوا وأسرفوا في الكثير من دينهم فيما يبغضه ونصحوا لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم، فقامت بهم حجة الله...وتداولت بهم أجيال المسلمين إرث النبوة واتصل بهم سند الحق، وانفضحت بهم شبه الباطل..."[11].

وإيمانا بهذه المسؤولية الملقاة على عاتقه، وتشربا بروح الرسالة النبيلة، لم يأبه بما تعرض له من مضايقات كثيرة، لا من قبل الاستعمار فحسب بل من قبل بعض المعلمين وأئمة النظام الموالين للاستعمار، و رجال الطرق، والدجالين، إذ عملوا ما كلفي وسعهم للوشاية بالعلماء البارزين الذين نافسوهم على رئاسة العلم والدين، وفي ذلك يقول: "ولما تعاطيت التعليم رفض بعض الناس جميع الطلبة ـ أي المعلمين والأئمة الذين كانوا يترأسون الدين ولغة القرآن لم لما يجدوا فيهم الكفاية بل قالوا أنهم ما كنتم تجهلون"[12].

كان للشيخ تأثير كبير في بعث الحركة الإصلاحية، فضيقت عليه الإدارة الفرنسية ومنعته من أداء رسالته، بل أن عيون الاستعمار كانت تسجل كل حركاته، كما كان للشيخ عبد القدر بن إبراهيم أعداء من رجال الطرقية حيث اتهموه لدى الحاكم بتحريض الناس على الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، وخضع بريده للمراقبة، إذ تفتح كل الرسائل الموجهة إليه ويطلع عليها الحاكم قبل تسليمها له .

لقد منع المسعدي من طرف حاكم مسعد من إلقاء الدروس بالجامع العتيق بمسعد سنة 1928م، بعد وشاية من القاضي عرابي عطاء الله والذي كان أحد تلاميذه يكن له الكراهية والبغض، فأخبر الحاكم بأن المسعدي يدرس لهم كتاب بعنوان "السيف المسلول" وهو من الكتب الممنوعة لأنه مشتمل على ذم الاستعمار وينكر أعمال الطرق الصوفية، فأمر بإيداعه الحبس وبقي فيه مدة 23 يوم، وقد أوكل له أخوه محمد محامي من بلدته يسمى لا فاريارو "Lavariaro"ثم أفرج عنه.

عاود المسعدي نشاطه التعليمي من خلال الوفد الذي بعثه له مصطفى القاسمي لتدريس التلاميذ في بيته، ولما زاد عددهم طلب من إمام المسجد العتيق رخصة للتدريس في المسجد لكنه رفض، فتوجه للجلفة لمحاولة الاتصال بالحاكم للحصول على رخصة للتعليم، ويظهر ذلك من خلال الرسالة التي وجهها لشيخه العبيدي، حيث يقول:"أما قصتي التي كنت أخفيها عليكم لئلا نخبركم..أنه في السنة الماضية قدم علي ركب كانوا بالهامل يحملون رسالة من الشيخ مصطفى يأمرني بالإقراء والتدريس، فأخبرتهم بما فتح الله علي من الفراسة الإيمانية بأن عاقبة الأمر تكون غير محمودة، لكن أسعفكم واستسلم للأقدار...فأخذت أعلمهم الحديث والفقه في بيتي إلى أن تكاثروا فلم تعد البيت تسعفهم فطلبوا تدريسهم بالمسجد الجامع وعندما ذهبت إلى إمام المسجد ومع علمي بنفاقه الباطني فسألته أن يأذن لنا بالتدريس فأحال ذلك على حاكم الرباط (مسعد)...فامتنع امتناعا باتا...وقد وعدني الشيخ مصطفى القاسمي بأنه يتدخل في الأمر...وعليه فإنني لا أرغب في الرجوع إلى مسعد إلا وبيدي رخصة."...

إلا أن شيخه العبيدي كان يحرضه على بث العلم والتأكيد على ذلك ويقول في رسالة مؤرخة في 20 رمضان 1347ه/ 02 مارس 1929م:"وإياكم أن تتركوا العامة بغير دروس وعظ وإرشاد فإنكم مسؤولون على ذلك..."[13].

وفي إحدى الرسائل التي تبادلها الشيخ المسعدي مع الأستاذ عمر دهينة المدرس بمدينة مليانة يشرح له جملة من العراقيل ويطلب منه التوسط من خلال معارفه للحصول على رخصة للتعليم، وكان رد صديقه عمر دهينة في رسالة مؤرخة في 19 جانفي 1936م، حيث جاء فيها: "الأخ الكريم السيد عبد القادر بن إبراهيم سلاما وتحية وبعد، بلغني اليوم مكتوبكم فكان سروري عظيما لما حمل لي من أخباركم المرضية -وإن كنتم لم تبلغوا إتمام مناكم- ثم لما أبديتموه من الثقة نحوي والمحافظة على العهد عهد صداقتنا الخالصة، قد كنت أكدت لكم عند افتراقنا في الصيف الماضي أن تخبروني بما عسى يطرى لجنابكم من أذى أو ظلم من طرف الذين لا يؤمن أذاهم، وكانت نيتي في ذلك أن أبلغ شكواكم إلى أناس من أصدقائي لهم علاقات ببعض الجرائد الفرنسية فينشرون الخبر على أعمدتها ليذاع في الناس ويصل إلى الدوائر الحكومية، فيكف الظالمون عن ظلمهم.

أما اليوم فقد سألتم مني شيئا لست والله بقادر عليه إذ لا رابطة لي ولا مواصلة مع من لهم في ذلك الحل، هذا

مع أني أظن كل الظن أن طلبكم الذي قدمتموه سيستجاب نظرا إلى التساهل الذي حدث أخيرا من الحكومة نحو العلماء ونحو التدريس الحر، وأنتم تعلمون أنها أباحت للجمعية الجزائرية إصدار جريدة البصائر، فلكم أن تذكروا ذلك –إن آل الأمر إليه- حاكم الدائرة بالجلفة، إما بنفسكم أو بواسطة الأخ محمد بولنوار وإني أعرفه لا يقصر في حقكم، جدوا في عزيمتكم وعلى الله حسن النجاح"[14] .

ونجد في رسالة أخرى له من الجلفة يوم 22 مارس 1936م يبشر ويؤكد لصديقه بن عياش بن الطيب بأن قضية التعليم والحصول على رخصة "...فإن الأمر المرجى فهو لازال في طي الخفاء وعلى كل حال فالمسألة مبسوطة الآن في القاهرة ونواب المسلمين يتكلمون عليها بجد وحماس زائدين وعليه فالمظنون أنه سيخرج إذن عام في تدريس العلوم العربية من دون شروط ولا قيد..."[15] .

ثم يضيف قائلا متحدثا عن نفسه وعن معاناته مع هؤلاء السائرين في ركاب العدو، مبينا سبب هذه الأحقاد قائلا: "وهذا هو السبب الوحيد الذي أوغر صدورهم وأثار فيهم كثيرا من الأحقاد عني، ولكنهم لم يجدوا لدى العامة مطعنا في علمي ولا عرضي."

غير أن تلك الأحقاد، والضغائن، والمكائد، والدسائس، ما هي إلا سحابة داكنة لم يسلم منها مصلح جزائري يعيش مأساة بلاده، تلك المأساة التي لم تتوقف عند حدود المضايقات فحسب بل كانت سببا بالنسبة للمسعدي في سجنه وتعذيبه ونفيه، والأدل على ذلك من أنه اشتغل بالتعليم في الجلفة التي نفي إليها ليكون على مرأى ومسمع من قيادة المستعمر[16] .

ب: سجن ونفي وتعذيب الشيخ محمد الرايس:

كان لابد على كل مواطن جزائري أن يحمل راية الكفاح وأن يضحي بالنفس والنفيس في سبيل الدفاع عن الوطن وعن الهوية الوطنية والحفاظ على كل مقوماتها بما فيها اللغة العربية التي عمل المستعمر الفرنسي على صد كل من يحاول تعليمها أو التكلم بها، لذلك كان العمل في هذه الفترة كبير جدا من خلال تأسيس المدارس والنوادي الإسلامية وبناء المساجد وغيرها سواء عن طريق التبرعات الخيرية من قبل السكان أو بدعم من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هذه الأخيرة التي صبت كل اهتمامها لتخليص أبناء الجزائر من الأمية بتعليمهم وتثقيفهم وربطهم بدينهم الإسلامي وتاريخهم وحضارتهم، وتوحيدهم تحت قيادة واحدة، وأن لا ينخدعوا بالوعود

الفرنسية فكانت بذلك مركزا وصرحا فكريا ومرجعا أساسيا في الدين والجهاد من أجل نيل الاستقلال .

ومن الشخصيات البارزة التي كان لها تأثير كبير وفعال على المجتمع وعملت بكل الطرق والوسائل من أجل إصلاح كل ما آل إليه أبناء المنطقة خاصة في الميدان التعليمي والإصلاحي الشيخ محمد الرايس، الذي سهلت عليه عدة عوامل من مهمته ومن أهمها ما قدمته له جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مساعدات كبيرة وتوجيهات حيث تفاعل مع ما تقدمه، وعمل على تحقيق الأهداف والمبادئ التي تأسست من أجلها ولم يكن عمله في هذا المجال فحسب بل شارك حتى في العمل السياسي من أجل مقاومة الاستعمار الفرنسي.

ساند الشيخ محمد الرايس قضية بلده الجزائر المستعْمَر وحمل على عاتقه مسؤولية الدفاع عنها، مدركا تماما بأن واجبه الوطني يلزمه بتقديم كل ما بوسعه لإصلاح ما يمكن إصلاحه، وقد كان عمله مكثفا في تلك الفترة، وبغض النظر على ما قدمه من عمل في الجانب التربوي والتعليمي، قد برز عمله السياسي بشكل فعال ما آثار حفيظة الاستعمار الفرنسي، وأدى ذلك الأمر لتتبعه ومحاولة إفشال نشاطه وذلك بسجنه وتعذيبه،وكان ذلك سنة 1937م كما تم الإشارة سابقا .

ابتداءا من صيف 1956م سجن ونفي وعذب في فترات متفرقة إلى غاية 1960م، وقد كتب الشيخ محمد الرايس ست صفحات بعنوان: "هنا تسجيل أعمالي في الثورة وموقفي من ابن الونيس."

كان الشيخ محمد الرايس يعرف بالشجاعة وقوي في مواقفه، شديد الحب لدينه ولغته ووطنه، وشديد العداء والبغض لفرنسا وأعوانها، وكان يرى الجهاد المسلح ضد الاحتلال الفرنسي هو الحل، ولا يقنع بالمطالبات السياسية[17].

ومن قوله:

إن كنت تنــكر ما يــأتي العــدو فقم
بالسيـف لا باحتجاج القول والصحـف
واغش المعارك لا تخش الهـلاك فـلا
يعطي الحقـوق الذي يخـشى من التلف

وكان التخلص من الاحتلال، ونيل الحرية من أكبر ما يشغل فكره، فالسعادة عنده هي الحرية، والحرية هي السعادة، وكل تعريف للسعادة غيره فهو أوهام وأوهام.

وضمن هذه المبادئ في قصيدة له بعنوان: "آراء في السعادة" فقال في مطلعها:

قالوا السعـادة كثر المال تجمعه
أو أن تعيش عـن الأمراض مبتعدا
أو أن تكون محبــا عاشقا كلفـا
بالغـانيات أسيــرا للهـوى أبــدا

قلت السعادة عند غير ما ذكروا
شتـان ما بيننـا رأيـا ومعتقـدا
إن السـعادة في محياي منطلـقا
حـرا عزيزا لدى الأدنين والبعدا

كذلك كتب الشيخ محمد الرايس عن وجوب تحرير الوطن من الاستعمار الفرنسي والتصدي لكل مخططاته في بيت له قائلا18:

أهـاب بنـا صـوت أجـدادنا
ينـادي الوغـى الوغـى الكمـينا

لقد ساهم الشيخ محمد الرايس في الثورة التحريرية بقلمه وتعليمه في سبيل تحرير وطنه من المخططات الفرنسية[19]، وقد عرفت مقالاته التي ينشرها بصحف جمعية العلماء المسلمين بعدائها الشديد للمستعمر حيث نجد أن قلمه كان مسلطا عليه ويكشف حقائقه وألاعيبه[20]، وبسبب أعماله المخالفة للسلطة الاستعمارية تعرض الرايس طيلة قرابة خمسة سنوات للعذاب والتنكيل والسجن وعندما أطلق سراحه واصل تعليمه بعد الاستقلال بمدينة مسعد[21].

ج: معاناة الشيخ محمد شونان من مضايقات الإدارة الفرنسية:

تميز الشيخ محمد شونان بالشجاعة والصراحة الوطنية الصادقة الحقة وتلك الخصال عرضته لعداوات كثيرة كانت سببا في سجنه قبل الثورة وأثناءها وبعد الاستقلال، وهو رجل لم ينسه الدفاع عن الوطن واجباته نحو حضارته وأمته وما تمليه عليه من ضرورة العمل لأجل وحدتها الثقافية والسياسية وكانت تلك الوحدة هي الغاية الكبرى التي دأب على العمل لأجلها[22].

وفي سنة 1913م وخلال عودة الشيخ عبد الحميد بن باديس من الأراضي المقدسة كان الشيخ محمد شونان في استقباله بمدينة قسنطينة، وأثناء ذلك اللقاء دار حوار طويل بين الشيخ شونان والشيخ عبد الحميد بن باديس حول الأوضاع التي آلت إليها البلاد جراء السياسية الاستعمارية التي مارسها الفرنسيون والتي استعمل فيها جميع أساليب التعذيب والتهميش ومحاولة طمس الهوية الوطنية والإسلامية لهذا الشعب، بالإضافة إلى ذلك تم الحديث عن بداية ظهور بوادر لإنشاء حركة إصلاحية تعنى بشؤون المسلمين، كما تواصل الشيخ محمد شونان بالشيخ عبد الكريم الخطابي حتى أنه سجن معه لمدة ستة أشهر تعرضا فيها لأقصى وأبشع أنواع التعذيب، وفي سنة 1919م واصل الشيخ نضاله في صفوف حزب شمال إفريقيا مناضلا وفيا وصادقا كما تم الإشارة لذلك سابقا[23].

وقد تأثر الشيخ محمد شونان بخصال وأخلاق قومه الذين اشتهروا بالعروبة والشجاعة في الحق وهي أبرز الأخلاق التي ورثها، كذلك إباء الضيم والأنفة منه، والثبات على المواقف، وقد شهد له الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه بذلك من مراسلة وجهها إليه من قسنطينة بتاريخ 1357هـ/ 1938م وذلك إذ خاطبه قائلا: "أما بعد فقد جاءني كتابكم وعرفت منه موقفكم الصادق الثابت النزيه أمام من يحاول صد الناس عن تعلم دينهم ولغة دينهم وأود أن تأذنوا لنا بنشره بالبصائر ليكون عبرة ويبعث إخوانكم على الإقتداء بكم..."[24].

عقب أحداث 08 ماي 1945م تعرض الشيخ محمد شونان لأبشع أنواع التعذيب والتنكيل، وقام المستعمر الفرنسي بنفيه إلى أدرار وإبعاده ، حيث استغل الشيخ شونان فترة العقوبة والنفي في القيام بمهمة التدريس، لعيود بعد ذلك لمدرسة الجلفة سنة 1947م، وخلال هاته الفترة تكونت علاقة بينه وبين السياسي والزعيم فرحات عباس، ليكمل نضاله السياسي والفكري والإصلاحي بالكفاح والجهاد منخرطا ضمن صفوف جيش التحرير الوطني، ومسؤولا بالولاية السادسة[25]، وكان نضاله وجهاده بارزا وفعالا، مما جعله عرضة للسجن سبع مرات على التوالي، ليحكم عليه بالإعدام في آخرها، ليكون مصيره النفي إلى المغرب مرة أخرى[26].

لم يوقف كل هذا من عزيمة وإصرار الشيخ شونان على مساندة وطنه ودعمه على في أصعب الظروف وقد بقي يواصل عمله النضالي والسياسي والمادي، حيث كان ينتزع ما نسبة 10% من مداخليه لصالح الحكومة المؤقتة، ولم تنقطع اتصالاته المكتوبة بسعد دحلب والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ خير الدين، وفرحات عباس، ومحمد بن سالم من الأغواط، إلى أن نالت الجزائر الاستقلال بفضل ما قدمه الشيخ محمد شونان ورفاقه[27] .

لقد سجل الشيخ محمد شونان انطباعه حول الحوادث والملابسات التي عرفتها منطقة الجلفة في فترة الثورة التحريرية في مذكراته، خلال تلك الفترة العصيبة من تاريخ الجزائر، في بيان مؤرخ له بالجلفة في شهر أفريل 1958م، حيث يقول: "..إنني قاسيت وعانيت كثيرا من مضايقات الجيوش الثلاثة التي عرفتها المنطقة، ومنها جيش العميل بلونيس المرفوض بالاتفاق، وأنني كنت على اتصال دائم ومستمر، رفقة زملائي: قاضي نعاس، حسان عبد القادر بن النوار، علي بن علية، والنعاس بن بولرباح،

إبراهيم بن باب عمي، بن سالم بن عبد القادر بن القرن، كحول محاد بن البشير، وجابوري محمد بن علي، الدروازي الحاج فايد، حاشي مصطفى، آيت موهاب رمضان، مومن محمد الصغير، أمجكوح محمد، النعاس عبد الله، بجبهة التحرير وجيشها، وأننا باشرنا الدعاية للثورة منذ سنة 1955م، كما اتصلنا بالعقيد الشريف قائد الولاية السادسة آنذاك عن طريق أحمد فخار "المداني"، واتصلنا بلجنة التنسيق والتنفيذ التابعة لجبهة التحرير، وأصبحنا منضمين فعليا لها، وقد أنيطت بنا مهمة الدعم المادي والإعلامي اللوجستيكي وقد ذكرت في بيان أن العقيد مصطفى بن بولعيد أرسل في حينه كتابا إلى قيادات الجيوش الموجودة بالمنطقة، مجبرا إياهم فيه على الانضمام إلى جبهة التحرير وجيشها جيش التحرير، وهذا البيان فيه حقائق وليس فيه إقصاء ولا إساءة إلى أحد، فكل اجتهد في الدفاع عن الوطن، منهم بالمال، ومنهم باللسان، ومنهم بالقلم، وقد اختلفت خططهم، وفهومهم وآراؤهم وتقديراتهم...، وقد كانت خاتمة اجتهادهم حسنى، فقد أخرجوا فرنسا غير مأسوف عليها، وجعلوا علم الجزائر يرفرف في كل قطعة غالية وفي كل شبر ثمين..."[28].

ثانيا: موقف الاستعمار الفرنسي من نشاط مدرسة الإخلاص:

عندما يذكر الاستعمار الفرنسي للجزائر يتبادر إلى أذهاننا موقفه من اللغة العربية والمشهور عنه انه حارب هذه اللغة بمختلف الوسائل[29]، فقبل الحرب الامبريالية الأولى كانت الإدارة الاستعمارية تبدي نوعا من التسامح إزاء وجود الكتاتيب القرآنية لان التعليم فيها لا يؤثر على المحيط.

وعندما شرع العلماء في تعليم اللغة العربية التي لا بد منها لفهم الدين وتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتقود عملية الإصلاح ولتطور التعليم، فإن السلطات الفرنسية قابلت ذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات والقوانين التعسفية الرامية كلها إلى إجهاض الحركة الإصلاحية وتهميش اللغة العربية لغة القرآن باعتبارها وسيلة أساسية للتبحر في الدين الإسلامي ولإحداث النهضة الفكرية التي تسبق كل ثورة، ومن جملة القوانين المزرية ذلك القانون الذي يجعل اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر الأمر الذي ترتب عليه ملاحقة معلميها وتغريمهم وحبسهم بعد غلق مدارسها[30].

1/ التضييق على حرية نشاط المعلمين والتلاميذ:

جاء في العدد 56 من جريدة البصائر أن جمعية العلماء قامت بإعداد قائمة ضخمة من المعلمين لتولي التدريس في مدارسها ولمحاربة الأمية، فجندت منهم رجالا لا ينثنون ولا ييأسون ورشحتهم فرشحت منهم خيرة أبناء الجزائر المعلمين ونصبتهم فنصبت منهم أعلام هداية للجيل الجديد وأقطاب تربية وتثقيف له، وإذا كانت جمعية العلماء قد أطلقت على مدارسها اسما واحدا وهو التربية والتعليم فهؤلاء هم المربون وهؤلاء هم المعلمون وهؤلاء هم جنود العلم بهذه الصفات شرفا وفخرا، نعم هؤلاء هم جنود العلم وإن من خصائص الجندي المشقة والنصب[31].

ولأن المعلم قد أنيطت بعهدته مسؤولية كبرى وأمانة عظمى وهي تربية الناشئة وإعدادها للحياة، لأن الأمة قد ألقت إليه بأبنائها وفلذات أكبادها وحشدتهم إلى المدارس من أجل التربية والتنشئة، فإذا أدرك المعلم قيمة التربية الاجتماعية علم أنه أمام واجب إنساني مقدس، وأنه أمام بناء أنفس وعقول فإذا قام بواجبه أمكن له أن يهيئ جيلا صالحا لأن يخوض غمار الحياة التي تتطلب منه أن يكون معدا لها أتم الإعداد[32].

فالمعلم في الأوساط الجاهلة وخصوصا المصابة بداء الاستعمار منها رسالته قد تجاوزت محيط المدرسة فهي تشمل جزءا كبيرا من الأمة على حسب الوسط وقيمة المعلم ودرجة استعداده في العلوم والمعارف، إذ يجب عليه قبل كل شيء أن يمهد رسالته ويهيئ الجو الصالح لتبليغها وذلك بتصحيح عقائد الأمة وإزالة الخرافات والأوهام من عقولها وأفكارها واجتناب أسباب اليأس والفشل من قلوبها،وإحياء الشعور والأمل والرغبة العلمية في نفوسها حتى تستعيد شعورها الفطري الذي مسخه الجهل والاستعمار فيها، وتقبل على العلم برغبة وتشوق ثم لا يقف إصلاح المعلم للأمة عند التهيئة فحسب، بل يجب أن يسير مع التعليم في المدرسة جنبا لجنب وإلا كانت حياته المادية والأدبية معرضة للخطر،ومن ثم تتسع رسالة المعلم فيصبح واعظا في الأمة ومعلما في المدرسة ولا يعتبر مؤديا لرسالته إلا إذا قام بهذا العمل المزدوج[33].

فالمعلم في الجزائر قد أتاحت له الحركة الإصلاحية التي استمد تعليمه ومعرفته منها وجعلت منه شخصية اجتماعية مؤثرة يحسده عليها زميله في التعليم الحكومي، وفي الغالب ينتمي إلى الطبقة المتوسطة من الشعب، تلك الطبقة الكادحة التي يتعلم أفرادها

الدروس الأولى في الصبر والكفاح منذ الصغر، وهو يتمتع بضمير حي وإحساس قوي بالواجب وحب صادق في العمل والإصلاح[34].

إلا أن هؤلاء المعلمين لم يسلموا من السلطات الاستعمارية التي كانت تراقب كل التحركات السياسية والإصلاحية في الجزائر،وتترصد كل تحركاتهم وتتابعها بدقة لتكيد لهم المكائد، وتقوم بمضايقة المصلحين بشتى الوسائل ونذكر من بين تلك المضايقات ما ذكر في العدد 178 من جريدة البصائر التي نشرت مقالا جاء فيه :"أن قاضي مسعد قائم بجد واجتهاد في السعاية بالمصلحين ويؤذيهم ويحول بينهم وبين البصائر"[35].

بالرغم من العراقيل والأزمات الداخلية التي تلقتها مدرسة الإخلاص بخصوص مواصلة مسيرتها العلمية والتربوية، فقد كانت ضغوطات خارجية تمثلت في الطرف الفرنسي الذي كان لها بالمرصاد حيث ضيقت على المعلمين والتلاميذ، ومن هذه الضغوطات نذكر تدخل فرنسا في المواد الدراسية، ومسائلات الفرنسيين للأطفال والتحقيق معهم[36].

وقد كان حاكم مسعد يتوعد محمد الرايس بالسجن وذلك من أجل المقال الذي نشرته جريدة البصائر بالعدد 140 تحت عنوان "مظالم بمسعد" ظنا منه أنه هو الذي كتبه[37]، كما سجن حاكم مسعد كل من عبد القادر بن إبراهيم الذي كانت تعترضه الإدارة الفرنسية وتعرقل سيره وتضيق عليه الخناق[38]، ومحمد الصغير الذي سجن مرتين ظلما بدون أي سبب يذكر فقد قام طاغية مسعد بتهديده وضربه وقال له أرسل إلى البصائر لتخلصك من يدي[39].

وهدد الرايس محمد بالنفي إلى طنجة الذي أجابه بقوله :"لماذا اخترت لنا من دون أرض الله الواسعة طنجة الكون أبينا منها؟ فان كان ذلك فهل تستطيع إخراج كل من اندمج في قوم أو طائفة وإرجاعه إلى أصله ووطنه الأول ثم قال له: إننا جزائريون منشئا ومولدا ودارا وإقامة وفي الجزائر نحيا ونموت وعليها نقف حياتنا وعلى حبها نبعث إن شاء الله رغم ما تحاولونه من فصلنا وإبعادنا عنها...فنحن اعلم منكم بأصولنا والأرض التي تناسبنا"[40].

وهذا الشيء نفسه ذكره الشيخ محمد الرايس في الرسالة التي بعث بها إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما منع من التدريس وهذا نصها :"...فقال أما تعلم بأنك مغربي إن تعد إلى التعليم قبل مجيء الرخصة أرجعك إلى وطنك المغرب، فقلت له:كيف لا زلت أسمى مغربيا،مع أني قلت لك إني ولدت هنا فقال لي

أنأباك مغربي ولا تعد إلى التعليم قبل مجـــيء الرخصـــة و أخـــرج عنـــي ولا تكلمني ..."[41].

لم يسلـــم معلمو وتلاميذ مدرسة الإخلاص من مضايقات السلطات الفرنسية وهذا ما قاله لي عبد الرحمن بن شريك: "عندما كنت مساعدا للأستاذ بلقاسم طاهري في مدرسة الإخلاص كلفني بمساعدته في تعليم مبادئ العربية للأطفال الصغار بحكم أني كنت أكبر سنا منهم في ذلك الوقت،وفي إحدى المرات قمنا بوضع احتفال للأولياء داخل المدرسة كنوع من أنواع التبرعات لسد حاجيات المدرسة،وهذه الفكرة جاءت من قبل الجماعة المؤسسة للمدرسة، ليطلع الأولياء على نشاطات المدرسة ولتوعيتهم للمزيد من التقدم،ولكي يقوموا بتوسيع هذا المجال قمت في ذلك الوقت بتعليم الأطفال أنشودة شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب إلى آخر الأنشودة وكانت من بين البرامج. بـــدا الشيـــخ بلقاســـم طـــاهري "بوسعادة"بتجويد آيات من القرآن الكريم افتتح بها الحفل،وكانت هذه الآيات تعبر على نوع من التوعية ودفع المستمعين إلى روح النضال تقريبا، بحيث كان هذا الاجتماع اجتماعا أخلاقيا سياسيا،وبعد مرور يومين أو ثلاث بلغ فرنسا الخبر، وبينما نحن ندرس أنا وبلقاسم طاهري حتى استدعتنا السلطات الفرنسية ودخلنا في تحقيق "س وج"حيث سألتنا عن الحفل ونشاطات كل واحد فينا ثم سألت عن الأناشيد ومن المسؤول عن تدريسها للتلاميذ...إلخ، وبعدمـــا اســـتجوبتنا قامـــت السلطات الاستعمارية بطردي من المدرسة كأستاذ وحتى كطالب فيها"[42].

وحتى التلاميذ لم يسلموا من مضايقة السلطات الاستعمارية لهم وهذا ما ذكرته الباحثة صليحة رقيق بأن عبد الحميد باديس حران حدثها عن الاعتداءات التي تعرضوا لها من قبل الإدارة الفرنسية قائلا: "إن مدرسة الإخلاص كانت تعلم الشباب الإحساس بالوطنية وذلك من خلال الأناشيد الوطنية الهادفة، بحيث كنت أدرس في مدرسة الإخلاص أنا وعبد الحميد عمران الزباش، ودروازي محمد، وكنا خارجين من المدرسة فرحين كالعادة نردد الأناشيد التي حفظناها داخل المدرسة، وكانت امرأة يهودية الأصل تسكن بالقرب من المدرسة اسمها سلطانة زوجة مســـؤول شـــرطة فـــرنسي فـــي المنطقة.وعلى العموم كنا نلعب كالعادة وهذا الحدث كان بداية الخمسينات بحيث قامت هذه اليهودية بشتمنا وسبنا بطريقة بشعة للغاية، استفزت بها دروازي محمد الذي قام بالرد عليها، وعند الرابعة تماما وبعد خروجنا من المدرسة ألقت الشرطة علينا القبض ونحن أطفال،ولما

وصلنا إلى إحدى مكاتب الشرطة الفرنسية وجدنا تلك اليهودية التي اتهمتنا بأننا شتمنا الرأس الفرنسية وأننا ننتد بفرنسا،فالتفت إليها دروازي محمد خائفا من الشرطي قائلا لقد شتمنا السلالة اليهودية المنخفضة ولم نقم بشتم فرنسا، فابتسم الشرطي وتركنا بعدها."

وهذه الرواية دليل على أن فرنسا لم تقتصر في اضطهادها على الكبار فقط بل تجاوزته حتى مست الأطفال[43].

2/ محاولة عرقلة نشاط المدرسة:

قامت جمعية العلماء بإنشاء المدارس وتولت تعيين المعلمين فيها، وهذا ما دلت عليه جريدة البصائر في العدد 336، بحيث ذكرت أسماء الناجحين في المناظرة ائتي أجرتها الجمعية أيام 25-29 أوت 1955 م، ومن بينهم محمد بلاحي ومحمد بوطي اللذين عينتهم في مدرسة الإخلاص بالجلفة[44].

وفي اجتماع للجنة التعليم المشرفة على المدارس العربية الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين بالمركز تحت رئاسة الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي، قررت لجنة التعليم باعتبار الشهادات العلمية كشهادة التحصيل من جامع الزيتونة شرطا أساسيا في قبول المعلمين بمدارس الجمعية[45]، كما قامت بتسطير برامج هذه المدارس وهذا ما ذكر في العدد 57 من جريدة البصائر بأن جميع المناشير الخاصة بجداول الدروس واللوائح الداخلية والقانون العام للمدارس التابعة لجمعية العلماء وقوائم المناداة اليومية كلها تحت الطبع[46].

فقد اهتمت جمعية العلماء بالمعلمين والتلاميذ على حد سواء، فقد طلبت من القائمين بأعمال الإدارة في المدارس الحرة بأن توافيهم بقوائم مشتملة على أسماء التلامذة الحاصلين على الشهادة الابتدائية الفرنسية من تلاميذ مدارسهم والسنة التي هم منتسبون إليها في التعليم العربي ودرجتهم في الامتحانات مع ملاحظة خاصة على ذكائهم واجتهادهم وسلوكهم[47].

هذا من جانب التلاميذ أما الأساتذة فقد اهتمت لأمرهم في مسألة زيادة أجورهم، فقد كتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عنهم ووصف معاناتهم وقال عنهم أنهم عماد جمعية العلماء في التربية والتعليم وأنهم العصب الذي يدير حياة هذه الحركة[48].

وقد قسمت جمعية العلماء التعليم العربي الابتدائي في مدارس جمعية العلماء على ست سنوات متوالية يحصل فيها التلميذ في الأخير على شهادة تسمى شهادة التعليم الابتدائي، بعدما يتشبع بالمبادئ الدينية على

وعملا،وبمبادئ التاريخ الإسلامي الذي هو جزء من الدين وأول تلك المبادئ السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين وذوي الآثار الخالدة في الإسلام من الصحابة والتابعين ويحفظ في هذه المراحل أجزاء من القرآن حفظا متقنا، مع فهم المفردات الغريبة وخلاصة المعاني ومبادئ التجويد دراية بكيفية تؤهله للتوسع في هذه المواد وبلوغ الدرجات العليا فيها إن لم ينقطع عن التعليم، وإن انقطع يستطيع بالمطالعة أن يقرأ ويفهم بشكل جيد.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فالبرامج التي سطرتها جمعية العلماء فرضت قانونين الأول توحيد الدراسة في كافة القطر الجزائري والثاني إرشاد المعلمين لأحسن الطرائق في التعليم ومعينة لهم على تنسيق المسائل في وقتها[49].

فلقد خاطب محمد البشير الإبراهيمي المعلمين بقوله: "أنكم جالسون على عروش ممالك رعاياها أطفال فسوسوهم بالرفق والإحسان"،كما بين لهم أن هؤلاء الأطفال أمانة عندهم وأنهم مسؤولون عنهم من ناحية التربية والتعليم وبين لهم ميول الطفل وكيفية التعامل معه من خلال دراسة دقيقة.

ثم خاطبهم بقوله:"...إنكم جنود الإصلاح فأصلحوا نفوسكم وداووها من داء الأنانية..."،وبين ما يفعله الاستعمار في الجزائر وواجباتهم نحو وطنهم بقوله:"أنتم معاقد الأمل في إصلاح هذه الأمة وإن الوطن لا يعلق رجاءه على الأميين"[50].

ولهذا فالاستعمار عاش طول حياته يبغض العلم ويرهب صوته ويطارد رجاله حتى إن أخوف ما يخاف منه أن يعرف الناس أن الحرية أشرف من الحياة، وأن التضحية في سبيل الدفاع عنها أرقى أنواع التضحية[51].

وعليه حارب الاستعمار الفرنسي اللغة العربية ومؤسساتها بشتى الوسائل بحيث سن القوانين الجائرة لقمع التعليم وإرهابه كأنه ارتكب جريمة من غير جرم واستوجب العقاب من غير ذنب،وقد حارب التعليم بكل المخططات، ومنعت الأمة من التقدم والنهوض، ودخلت عليها من باب فرق تسد، وأراد من ذلك جعل الأمة جاهلة منحطة، ومن أجل تثبيط العزائم وقتل الشعور والتمسك باليأس وغيرها، وما هذا إلا جزء مما يلاقيه التعليم العربي الحر من إرهاق و ظلم وبلاء من طرف المستعمرين[52].

فهذه المدارس الابتدائية التي تعني بها جمعية العلماء بصفة خاصة وتسطر برامجها وتعين لها قرابة السبعمائة من المعلمين، قد تمكنت خلال العشرين سنة الأخيرة من تكوين نخبة

إسلامية بالقطر الجزائري، تخرج منها منذ تكوينها ما يزيد عن المائة والخمسين آلفا من الفتيات والفتيان عدد تلاميذها كان يشمل يوم إعلان الثورة نحو المائة والخمسين ألفا، وكل هذه المدارس محاربة من الإدارة الاستعمارية محاربة سافرة فهي إن تغافلت عنها من جهة فإنها تضربها من جهات أخرى ضربات قاسية، فلطالما أوصدت أبواب المدارس دون شفقة، وهذا ما دلت عليه جريدة البصائر[53].

فقد ذكرت في العدد 107 أن جمعية العلماء كانت تطالب بإنشاء كلية إسلامية من الحكومة فتفاجأت بغلق مدرسة دار الحديث في تلمسان وهذه الحادثة ليست بالأمر الجديد على الحكومة الفرنسية، فمنذ بدأ تأسيس المدارس الحرة والحكومة الفرنسية تسعى على إغلاقها بغرض إرهاق الأمة الجزائرية[54].

كما قد ذكرت في العدد 106 إغلاق مدرسة مسكيانة لأنه لا يوجد هناك أماكن منظمة للتعليم العربي والمبادئ الإسلامية غير المدارس، ومحاربتها تعد محاربة للتعليم العربي والدين الإسلامي[55].

إن التعليم بمدرسة الإخلاص يختلف تماما عن أي مركز ثقافي تربوي آخر بمنطقة الجلفة، وذلك من خلال ما قامت به من أعمال لصالح تحسين مستوى التعليم بمنطقة الجلفة والارتقاء به وجعل تلاميذ الجلفة يتزودون بكل المعارف بدون عناء، ومن هذه الأعمال :

-تجسيد للبرنامج الإصلاحي والتعليمي في المنطقة طبقا لما جاءت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

-نوعية البرامج التربوية المقدمة وتنوعها والأطر التنظيمية القائمة عليها المدرسة.

-التدرج في مستويات التعليم (من السنة أولى إلى السنة الخامسة).

-قيامها بنشاطات أخرى موازية للتعليم.

-حملها للمشروع التعليمي والنضالي لشباب المنطقة خلال مسيرتها العلمية.

-تقدم المدرسة من خلال دورها مفهوم التعليم الحديث.

-تكريس المرجعية العربية الإسلامية لدى الناشئة[56].

بفعل ما كانت تقوم به مدرسة الإخلاص من أنشطة متنوعة جعل الإدارة الفرنسية تكثر من المضايقات وتتعمد إفشال هذه الأنشطة، وبالنسبة للمضايقات التي اعترضت المدرسة فقد ذكرت الباحثة صليحة رقيق أن محمد حفاف روي لها: أنه في الستينيات وبالضبط عام 1960م جاءت دوريات للشيخين محمد بلاحي ومحمد البوطي اللذين عينتهم جمعية العلماء في مدرسة الإخلاص بحيث نقلت السلطة الاستعمارية كل من الشيخين للحجز مدة

ثلاثة أيام بعد تفتيش وحجز كل الأختام الخاصة بالمدرسة بسبب وصول خبر للسلطات الاستعمارية بان المدرسة تقوم بتدريس تاريخ الجزائر ودروس وطنية ضد الاستعمار، فتاريخ الجزائر في ذلك الوقت كان محظورا وكنا ندرسه بشكل سري وأساتذتنا في ذلك الوقت رسخوا فينا فكرة أن الشعب الجزائري متحد وان الوحدة تؤدي إلى التحرر من الاستعمار[57].

لكن رغم ذلك لم تقم السلطات الاستعمارية بغلق المدرسة منذ أن تأسست فقد كانت تراقب وتفتش المدرسة بشكل مستمر بدون المساس أو غلق المؤسسة[58].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن المؤسسين والمعلمين تعرضوا للتعذيب والسجن وحتى النفي من أمثال الشيخ محمد شونان الذي نفي إلى أدرار وسجن في العديد من المظاهرات[59].

الخاتمة:

ونستخلص مما سبق دراسته حول موقف الاستعمار الفرنسي من النشاط الإصلاحي لجمعية العلماء بالجلفة عدة نقاط ندرجها على النحو التالي:

أن نشاط الحركة الإصلاحية والتعليمية لجمعية العلماء المسلمين عانى كثيرا من ضغوطات وقرارات تعسفية جائرة اتخذتها الإدارة الفرنسية من أجل إيقافه رغم أن الإدارة الاستعمارية وموظفوها في بادئ الأمر أظهروا نوعا من اللامبالاة للمشاريع الإصلاحية في الجزائر بصفة عامة، ولكن سرعان ما ضيقت الخناق عليها من خلال إصدار قوانين زجرية في حق التعليم كغلق المدارس ومنع المعلمين من التدريس بدون رخصة.

وهذه المضايقات لم تسلم منها منطقة الجلفة، فقد سعت السلطات الفرنسية بكل الوسائل للحد من انتشار العلم الإصلاحي ونجاحه، وذلك بمنع رجال الإصلاح من مزاولة عملهم المتمثل في إلقاء المحاضرات والدروس، وشددت الرقابة على تحركاتهم لتسهيل مهمة سجنهم أو نفيهم.

إن كل ما تعرض له أبناء الجلفة سواء كانوا معلمين أو حتى تلاميذ من تعذيب وتنكيل وسجن ونفي أمثال الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي وتلاميذه والشيخ محمد الرايس والشيخ محمد شونان وغيرهم، هو جراء قيامهم بواجبهم الوطني المتمثل في التضحية والدفاع عن الوطن وتخليصه من الاستعمار الفرنسي.

ورغم المعاناة الكبيرة التي عاشها هؤلاء الإصلاحيين أبناء المنطقة نجد بأنهم استطاعوا أن يحافظوا على بنية المجتمع دينيا ولغويا، كما أخذوا على

عاتقهم واجب النهوض بمنطقة الجلفة وتحسين مستوى السكان عن طريق التعليم والتوجيه والإرشاد، ورغم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتدهورة والصعبة لم يردعهم ذلك عن مواصلة تحقيق هدفهم وغايتهم المتمثلة في دعم الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين، والتي بدورها قدمت لمنطقة الجلفة ما يكفي من التوجيهات والمساعدات من أجل إحداث نهضة علمية إصلاحية بالمنطقة.

كما ركز رجال الإصلاح على جعل المتعلمين قوة تدافع عن الوطن بطريقة أو بأخرى سواء واصلوا مسيرة الحركة الإصلاحية بالتدريس في المدارس والنوادي الإسلامية أو إلقاء الخطب الدينية في المساجد هذا فيما تعلق بالجانب التعليمي والإصلاحي، أو مواصلة الكفاح عن طريق الانضمام إلى الأحزاب السياسية والمشاركة في العمل المسلح.

لم تكن مدرسة الإخلاص بعيدة عن مضايقات الاستعمار الفرنسي بل على العكس تماما فقد شدد الاستعمار الخناق على مدرسي المدرسة وتلامذتها وذلك من أجل القضاء عليها وإغلاقها، حيث قامت بسجن ونفي المسؤولين عنها وطردت بعض المعلمين وأرهبت التلاميذ، ولكن رغم كل هذه المضايقات والإجراءات التعسفية إلا أن مدرسة الإخلاص بمنطقة الجلفة بقيت صامدة تؤدي دورها الإصلاحي والتربوي حتى نيل الاستقلال بل وحتى إلى يومنا هذا.

الهوامش:

1- حفناوي بن عمار غول، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في التعليم العربي الحر بمنطقة أولاد نائل البصائر، ج 1، ع 458، الاثنين 03- 09 رمضان 1430ه/24-30 أوت- 2009م ص17.

2- بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945) ط: الأولى، دار البعث، الجزائر، 1981م، ص41.

3- حفناوي بن عامر غول، جمعية العلماء المسلمين ...، البصائر، ج 1، ع 458، مرجع سابق، ص17.

4- نفسه، ص17.

5- نفسه، ص17.

6- غول حفناوي بن عامر، الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي 1888/1956م "حياته وآثاره"، ط 2، يسطرون، الجيزة 2018م، ص47.

7- نفسه، ص ص47-48.

8- صالحه بن عبد الله، أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي-تحقيق ودراسة-، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، تخصص: تحقيق المخطوطات ونشرها، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر-باتنة، إشراف: معمر حجيج، 2014/2015م، ص ص114-115.

9- نفسه، ص117.

10- نفسه، ص117.

11- عبد الحميد بن باديس، العلماء والإصلاح الإسلامي، البصائر، س 1، ع 11، الجزائر، الجمعة 26 ذي الحجة 1354/ 30 مارس 1936م، ص1.

12- صالحه بن عبد الله، مرجع سابق، ص ص117-118.

13- علجية مقيدش، المجهود التعليمي لرجال الإصلاح في منطقة أولاد نائل "عبد القادر بن إبراهيم المسعدي 1888-1956م أنموذجا"، أعمال الملتقى الوطني الأول، التعليم في الجزائر عبر العصور التاريخية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة-الجزائر، يوم: 24 أفريل 2018م، المعاصرة الجديدة، الجزائر، 2018م، ص ص516-517.

14- حفناوي بن عامر غول، جمعية العلماء المسلمين ...، البصائر، ج 2، ع 459، مرجع سابق، ص17.

15- نفسه، ص17.

16- صالحه بن عبد الله، مرجع سابق، ص ص117-118.

17- محمد شكيب الرايس، أعلام منسية "الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي 1912-1968م"، (غير منشورة)، الإصدار الثاني، 2016م، ص ص14-15.

18- نفسه، ص15.

19- صلاح الدين هزرشي، أبحاث في تاريخ الجلفة الثقافي، ط 1، دار الضحى، الجلفة، 2019م، ص95.

20- حفناوي بن عامر غول، جمعية العلماء المسلمين ...، البصائر، ج 4، ع 461، مرجع سابق، ص17.

21- صلاح الدين هزرشي، مرجع سابق، ص95.

22- محمد العلمي السائحي، مرجع سابق، ص4.

23- مقابلة مع عباس شونان"ابن الشيخ محمد شونان"، يوم: 2020/06/07م، الساعة 10:00 صباحا، في منزله بحي باب الشارف-الجلفة.

24- السائحي محمد العلمي، محمد بن شونان "الوطني الغيور والسياسي المحنك"، البصائر، س 7، ع 372، الإثنين 21-28 ذو الحجة 1428ه/ 31 ديسمبر 2007م-7 جانفي 2008م، ص4.

25- تعتبر الولاية السادسة التاريخية خلال الثورة أكبر الولايات التاريخية من حيث المساحة التي قررها مؤتمر الصومام 1956م، وأغناها ثروة، وقد تم تعيين علي ملاح قائدا للولاية السادسة التاريخية، وتشتمل كل من الجلفة، الأغواط، غرداية، تمنراست، إليزي، ورقلة، بسكرة، والقسم الجنوبي من ولاية المسيلة (سيدي عيسى، بوسعادة، عين الملح)، كانت لها ثلاث مرتكزات للتمويل والتموين (واد سوف شرقا، بسكرة وسطا، بوسعادة والجلفة غربا)، وأهل هذه الولاية التاريخية هم من ترصد أخبار الثورة التحريرية وسعوا لانضمام إليها، وقد شهدت منطقة الجلفة أعمالا عسكرية ثورية مع بداية 1956م، وقد وجدت في سكانها دعما وسندا كبيرين من خلال مجموعات التمويل والتموين، والمراكز التي أقامها سكان المنطقة لدعم العمل العسكري، كما شهدت منطقة الجلفة خلال سنة 1956م هجومات ومعارك أفقدت توازن المستعمر في المنطقة منها: هجوم عمورة بقيادة محمد بن الهادي ومحمد معاش والتي كانت فاتحة العمل الثوري بجبل بوكحيل جنوب الجلفة، ثم تلتها معركة قزران في شهر ماي 1956م بقيادة محمد بن الهادي ولخضر الروبني التي قتل فيها عددا كبيرا من جنود العدو وأسقطت فيها طائرة عسكرية، ومعركة قعيقع 10 جوان 1956م بقيادة عمر إدريس الذي أراد من خلالها أن يصل صوت الثورة لفرنسا، فكانت المعركة ناجحة عسكريا وإعلاميا، كما شهدت هذه السنة أكثر من 16 عملية عسكرية وهجوم ضد المصالح العسكرية والمدنية للمستعمر، وقد تم إعادة هيكلة الولاية السادسة في جويلية 1958م وذلك بعد الاتصالات التي قام بها الحواس وأعمر إدريس بلجنة التنسيق والتنفيذ، فأصبحت تمتد من الطريق الرابط بين البروقية وبئر أغبالو شمالا

إلى مدن بريكة والقنطرة ومنعة وزريبة الواد من الشمال الشرقي، إلى الحدود التونسية والليبية شرقا، وصولا إلى خط قصر الشلالة غربا، ومن الجنوب وصلت إلى الحدود المالية النيجيرية، وبذلك تعود الولاية السادسة عموما ومنطقة الجلفة خصوصا إلى العمل الثوري بعد توقف قرابة السنة، لكن العمل النضالي السري بقي مستمرا رغم الظروف الصعبة التي جابهتها المنطقة، للمزيد ينظر:عبد القادر حليس، طلائع الثورة التحريرية 1954-1962م بمنطقة الجلفة، الملتقى الوطني الأول، الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962م، إعداد الجمعية الولائية للبحث التاريخي والتراث بالجلفة- جوان 2013م، دار النعمان، الجزائر، 2015م،ص ص223-227.

26- مقابلة مع شونان عباس "ابن الشيخ محمد شونان"، يوم : 06 نوفمبر 2016م، الساعة 19:00، بعد صلاة المغرب في منزله.

27- مقابلة مع عباس شونان"ابن الشيخ محمد شونان"، مقابلة سابقة الذكر.

28- محمد شونان، مذكرات الشيخ محمد شونان، الجلفة، افريل 1982م، سلمت من طرف نجله عباس شونان، يوم: 2018/06/06م.

29- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص22.

30- العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب، د م، 1999م، ص ص50-51.

31- محمد البشير الإبراهيمي، قادة الجيل الجديد في ميادين العلم، البصائر، س2، ع56، الاثنين 13 محرم 1368ه/ 15 نوفمبر 1948م، ص85.

32- العيد مطروح، إلى المعلم، البصائر، س2، ع56، ، الاثنين 13 محرم 1368ه/ 15نوفمبر 1948م،ص85.

33- الجيلاني بن محمد الفارسي، رسالة المعلم، البصائر، س3، ع93، الاثنين 09 محرم 1369ه/ 31 أكتوبر 1949م، ص24.

34- إسماعيل العربي، نظام للتعليم تقوم به الأمة، البصائر، س 3، ع 93، 31 الاثنين 09 محرم 1369ه/ أكتوبر 1949م، ص22.

35- البصائر، س 4، ع 178، الجمعة 24 جمادى الثانية 1358ه/ 11أوت 1939م، ص302.

36- صلاح الدين هزرشي، مرجع سابق، ص92.

37- رقيق صليحة، مدرسة الإخلاص "إحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة" دورها الإصلاحي والتربوي (1938م-1962م)، ط 1، دار الضحى، الجلفة-الجزائر، 2016م، ص180.

38- حفناوي بن عمار غول، جمعية العلماء المسلمين ....، ج 2، البصائر، ع 459، مرجع سابق، ص17.

39- صليحة رقيق، المرجع السابق، ص180.

40- محمد بن عبد الرحمان الدمدي المسعدي، من رأى منكم منكرا فليغيره، البصائر، س 4، ع 171، الجمعة 05 جمادى الأولى 1358ه/ 23 جوان 1939م، ص252.

41- صليحة رقيق، مرجع سابق، ص ص180-181.

42- مقابلة مع عبد الرحمان بن شريك "تلميذ سابق بمدرسة الإخلاص"، يوم: الاثنين 2017/11/06م، الساعة: 9:30، في منزله بالقرب من البريد المركزي بالجلفة.

43- صليحة رقيق، مرجع سابق، ص182.

44- مكتب اللجنة، بلاغ من لجنة التعليم، البصائر، س 8، ع 336، الجمعة 20 صفر 1375ه/ 7 أكتوبر 1955م، ص139.

45- باعزيز بن عمر، بلاغ من لجنة التعليم، البصائر، س 4، ع 168، الاثنين 02 ذي الحجة 1370ه/ 3 سبتمبر 1951م، ص264.

46- لجنة التعليم العليا، إلى المشايخ المعلمين، البصائر، س 2، ع 57، 22الاثنين 10 محرم 1368ه/22 نوفمبر 1948م، ص93.

47- صليحة رقيق، مرجع سابق، ص183.

48- محمد البشير الإبراهيمي، حقوق المعلمين على الأمة، البصائر، س 4، ع 149، الاثنين 25

جمادى الثانية 1370ه/02أفريل 1951م، ص105.

49- محمد البشير الإبراهيمي، مرشد المعلمين، البصائر، س 2، ع 67، الاثنين 16 ربيع الثاني 1368ه/ 14 فيفري 1949م، ص174.

50- محمد البشير الإبراهيمي، مرشد المعلمين، البصائر، س 2، ع 68، الاثنين 23 ربيع الثاني 1368ه/ 21 فيفري 1949م، ص ص179-180.

51- البصائر، س2، ع 70، الاثنين 08 جمادى الأولى 1368ه/ 07مارس1949م ،ص198.

52- مصطفى الجيجلي، ماذا يلاقي التعليم العربي الحر، البصائر، س 1، ع 12، الاثنين 12 ذي الحجة 1366ه/ 27 أكتوبر 1947م، ص99-100.

53- صليحة رقيق، مرجع سابق، ص ص185-186.

54- حمزة بوكوشة، أوقت تفكيرنا في إنشاء كلية نتفاجأ باغلاق المدارس الابتدائية، البصائر، س 3، ع 107، جمعة 07 محرم 1357ه/ 8 مارس 1938م، ص144.

55- البصائر س3، ع106، الجمعة 30 محرم 1357ه/ 02 أفريل1938م، ص142.

56- صلاح الدين هزرشي، مرجع سابق، ص89.

57- صليحة رقيق، مرجع سابق، ص187.

58- مقابلة مع عبد الرحمان بن شريك، مقابلة سابقة الذكر.

59- مقابلة مع عباس شونان "نجل الشيخ محمد شونان"، مقابلة سابقة الذكر.

قبسات من حياة وفكـــر مالك بن نبي

د.قرقيط عمر
علم الاجتماع المنظمات والموارد البشرية
جامعة الجزائر2 بوزريعة

○ ○ ○

مقدمة:

إننا أمام رجل يتحسس مكامن الداء ،ويرفض الأحكام المسبقة أو الفرضيات المتعجرفة ، إنما بحصانته وهدوئه الذي يضع الأشياء في أماكنها ويقرر مصائرها بعد التقصي ، والتدقيق ، وربما التجربة فكان بذلك أول مفكر عربي يطبق المنهج العلمي الصرف على القضايا الفكرية العربية والإسلامية الكبرى ذات الأبعاد الحضارية ولم يكن بأي حال من الأحوال يرغب في معرفة ما تحدثه تحليلاته من ردود أفعال في محيطه بقدر ما كان شغله الشاغل موضوع الإقلاع الحضاري للأمة الإسلامية ، وتحقيق النهضة الشاملة التي تعم الجميع ، فكان بذلك متميزا في طرحه ، علميا في منهجه ، متفتحا على غيره ، عالمي النظرة في معالجته للحضارة كغاية إنسانية نبيلة تشترك فيها البشرية ككل تدعوا إليها ، وبذلك نستطيع أن نقول مالك بن نبي هو أحد مجددي الفكر الإسلامي بالمعنى الصحيح لكلمة مجدد ، وهو لذلك يستحق منا أكثر من إلتفاتة ، و أكثر من وقفة.

إذا من هو مالك بن نبي ؟

وكيف كان فكر هذا الرجل ؟

و ماهي المحاور الكبرى التي تناولها في كتاباته ؟

سيرة و حياة مالك بن نبي:

مولده وظروف نشأته :

يعد مالك بن نبي نفسه من أولائك المحظوظين الذين سمحت لهم الأقدار أن يولدوا في زمان يعتبر صلة وصل بين ماضي عريق أنطفا نجمه . والمستقبل لا يزال في بداية صياغته وتشكله . " لقد ولد مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي في الخامس من ذي القعدة عام 1323 هـ الموافق 1 جانفي 1905 في مدينة قسنطينة"[1] .

عندما بلغ السابعة من عمره هاجر جده إلى طرابلس تعبيرا عن رفض مساكنه مع المستعمر وآثار أبواه البقاء بمدينة تبسة . وكان أبوه فقيرا عاطلا عن العمل . وأثرت فيه حال الفقر هذه خصوصا بعد وفاة خال أمه الذي كان قد كفله بقسنطينة أثناء طفولته الغضة مما اضطر زوجة خاله الأكبر إلى رجوعه إلى تبسة .إلى بيت والديه و استقر به المقام في تبسة حيث كانت والدته تشتغل في الخياطة لكسب قوت عيالها وجلب الحاجيات الضرورية لأسرتها وما لبث أبوه أن تقلد منصب خوجة بالإدارة المحلية بتبسة أهلته لدراسة بالمدرسة الرسمية فضمن بذلك

لأبنائه موردا للرزق ، وكان مالك بن نبي يدرس بالكتاب والمدرسة الإبتدائية الفرنسية ، على عادة أهل البلد ، ولم يفلح سوى في حفظ جزء يسير جدا من القرآن الكريم ، وذلك لعقم الطرق التربوية التي كان يلقن بها آنذاك ، في حين نجح في دراسته الإبتدائية باللغة الفرنسية التي تلقاها بين تبسة و قسنطينة ، ومنذ طفولته ذا شعور ديني قوي ، وأثر فيه جده لأمه بعد عودته من طرابلس إثر إحتلالها من طرف الإستعمار ، وبعد نجاحه في شهادة الدراسة الإبتدائية بدرجة "جيد" سمحت له بمزاولة دراسته بتكميلية متوسطة سيدي جليس بقسنطينة ، وكان مالك يعد نفسه للدخول ، وكان مالك يعد نفسه للدخول إلى المدارسة الرسمية ليتخرج منها عونا قضائيا ، وتعلم العربية على يد الشيخ عبد المجيد.

وفي النهاية حالفه النجاح فدخل إلى المدرسة الرسمية سنة 1923م وفي تلك الأثناء أغترف مالك من مناهل الأدب العربي والأدب الفرنسي و من معين الإصلاح فطالع أم القرى للكوكبي وابن خلدون ورسالة التوحيد لمحمد عبده ولامارتين وشاطو بريان وغيرهم ، كما أنه كان مولع بمطالعة الصحافة العربية والفرنسية من جريدة لومانيتي ، إلى المنتقد، إلى العروة الوثقى إلخ....وأطلع على ما يجري في العالمين الإسلامي والغربي من تحولات فكرية وسياسية وعلى ما يجري على الساحة الجزائرية من أحداث سياسية وإصلاحية وثقافية.

وتخرج من المدرسة الرسمية سنة 1925م لكنه أتعب نفسه في الحصول على عمل بعد تخرجه دون جدوى ، ولذلك قرر أن يسافر إلى باريس بحثا عن العمل اليدوي وليواصل دراسته ، وبعد عناء ومتاعب جمة لم يتمكن من الحصول على عمل قار وعاد إلى الجزائر وإلى تبسة ليشتغل عونا في محكمتها ، ثم عين سنة 1927م عدلا بمدينة آفلو ثم حول بطلب منه إلى شلغوم العيد قصد شغل نفس المنصب ، ولكنه نفر من العمل في تلك الأوساط الموبوءة وأبت نفسه الأبية إلا أن يتقدم بإستقالته إلى المحكمة حوالي 1928م وعاد إلى تبسة ليشتغل بالتجارة مع صهره وشريك ثالث ، غير أنه أصيب هو وشركاؤه بإفلاس إضطرهم إلى بيع الطاحونة حتى لا يضطروا إستعمال الوسائل اللامشروعة في الحصول على الأرباح كما يفعل التجار آنذاك وإحتفظوا بالسيارة النقل لصهره.

وبعد هذا الفشل المحتوم عاد مالك بن نبي سنة 1930م إلى باريس من أجل الإلتحاق بمعهد الدراسات الشرقية قصد أن يتأهل بعد ذلك للدخول إلى كلية الحقوق بدون بكالوريا ، ولكن مدبري

الصراع الفكري وفي مقدمتهم بعض المستشرقين الحاقنين على الإسلام حالوا آنذاك دون دخوله إلى المعهد ، فتحطمت بذلك آماله وآمال عائلته في الحصول على ليسانس الحقوق ، واضطره بعد ذلك المستشرقين الحاقنين على الإسلام حالوا آنذاك دون دخوله إلى المعهد ، فتحطمت بذلك آماله وآمال عائلته في الحصول على ليسانس الحقوق ، واضطره بعد ذلك إلى الإلتحاق بمدرسة اللاسلكي وتزوج سنة 1931 بفتاة إعتنقت الإسلام وسمت نفسها خديجة ، وبقي في الذهاب وإياب بين فرنسا والجزائر ليشهد التطورات الفكرية والسياسية في أوربا والعالم الإسلامي والجزائر خاصة ، حيث كان يتابع بإهتمام خاص تطور الحركتين الوطنية والإصلاحية ويعاضدهما بفكره ونضاله ، ويتأسف لتعثرهما ويبتهج بانتصاراتهما ويبلور أهدافهما ومبادئهما في إطار المشروع الحضاري الكامل الذي يدافع عنه.

وبعد تخرجه مهندسا كهربائيا امتنع عن الرضوخ للضغوط الإستعمارية مما حال دون توظيفه ودون أحلامه في الهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية ، وسمحت له روحه النقدية ودراساته الإجتماعية والفلسفية والسياسية واحتكاكه بالأوساط الثقافية بالإنكباب على مشاكل العالم الإسلامي يدرسها محللا وناقدا ومنظرا ، واتجه نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به ، وقد أعطته ثقافته المنهجية وأخلاقياته الصارمة فائقة على إبراز مشكلة العالم المتخلف باعتبارها قضية حضارية بالدرجة الأولى ، فوضع كتبه جميعها تحت عنوان " مشكلات الحضارة ".[2]

كما إلتقى بشخصيات وطنية و أجنبية – ربط علاقات مع تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس- لكن السلطات الفرنسية لم تغفل عنه بل حاصرته وحرمته الشهادات رغم تفوقه على الفرنسيين أنفسهم ومنعته الوظيفة و السفر ، وبعد الإستقلال وفي 1963 شغل منصب مدير جامعة الجزائر وطالب بإنشاء مدرسة جزائرية لعلم الإجتماع وفي عام 1967م إستقال من منصبه في التعليم ليتفرغ للعمل الفكري حيث نظم الندوات الفكرية في بيته يحضرها أساتذة وطلبة الجامعة ، وحاضر في جميع أنحاء الجزائر وفي جامعاتها ومعاهداها العليا وفي ملتقيات الفكر الإسلامي ساهم بقسط وافر في تأسيسها ، وبقي يناضل بالكلمة إلى أن وافته المنية في يوم الأربعاء 04 شوال 1393 ه الموافق ل 31 أكتوبر 1973 م[3] .

مؤلفات مالك بن نبي:

خلف لنا مالك بن نبي إنتاجا غزيرا يتميز بالدقة المنهجية والجدلية في طرح

المشاكل ، والتفاني في إيجاد الحلول لها ومنها:

أصدر في الجزائر:

1- الظاهرة القرآنية : محاولة نظرية عن القرآن الكريم ويحتوي على مقدمة وثلاث أبواب تتوزع على أحد عشر فصلا ، يتحدث في الباب الأول عن الظاهرة القرآنية ، وفي الباب الثاني عن الرسول ن وفي الباب الثالث عن الرسالة ، وقد أصدر هذا الكتاب سنة 1946 م.

2- لبيك : وهي قصة تتسم بالشاعرية ، صدرت سنة 1947 م.

3- شروط النهضة : ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة وبابين ، خصص الباب الأول للحضارة و التاريخ ،والباب الثاني للمستقبل ويتحدث عن العناصر الثلاثة وهي : الإنسان والتراب والزمن ، وعن أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة وعن توجيه الثقافة والتوجيه الأخلاقي والجمالي وعن توجيه العمل ورأس المال وصدر هذا الكتاب سنة 1948.

وأصدر في باريس:

4- وجهة العالم الإسلامي سنة 1954م : ويحتوي الكتاب على مدخل وستة فصول وخاتمة ضمنها الحديث عن مجتمع ما بعد الموحدين والنهضة وفوضى العالم الإسلامي وفوضى العالم الغربي والطرق الجديدة وبواكير العالم الإسلامي .

ولجأ عام 1956م إلى القاهرة وأصدر هناك الكتب التالية:

5- الفكرة الإفريقية الآسيوية بمناسبة إنعقاد مؤتمر باندونغ 1956م .

6- مشكلة الثقافة سنة 1957م.

7- أنقذوا الجزائر سنة 1957م.

8- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة سنة 1957 وهو تطبيق علمي لعلم النفس الإجتماعي في مجال الدراسات السياسية وتحليل الصراع الفكري.

9- البناء الإجتماعي الجديد الذي نشر في بيروت سنة 1958م.

10- فكرة كومنولث إسلامي سنة 1958

11- تأملات في البناء الجديد سنة 1960 م.

12- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي سنة 14960 م .

13- ميلاد مجتمع سنة 1960.

14- في مهب المعركة سنة 1961

إنتقل إلى الجزائر عام 1962 م حيث عين مديرا عاما للتعليم العالي ، ثم إستقال من منصبه سنة 1967 م وأصدر في الجزائر الكتب التالية:

15- آفاق جزائرية سنة 1964م ويحتوى على مشكلة الحضارة ، ومشكلة الثقافة ، ومشكلة الإيديولوجيا.

16- مذكرات شاهد القرن : الجزء الأول : الطفل ، الجزائر سنة 1965 م.

17- أعمال المستشرقين : سنة 1967 م

18- الإسلام والديمقراطية سنة 1968

19- مذكرات شاهد القرن الجزء الثاني الطالب ، بيروت 1970م

"مذكرات شاهد القرن: نشر الجزء الأول بهذا العنوان وحده بالفرنسية، وترجمه إلى العربية السيد "مروان القنواتي" عام 1969، وأضيف بعد ذلك تحت هذا العنوان في الجزء الثاني الذي نشر عام 1970، اسم الطالب لكونه يخص مرحلة الدراسة في فرنسا ابتداء من عام 1930 .

ومذكرات شاهد القرن هي صورة عن نضال مالك بن نبي الشخصي في طلب العلم والمعرفة أولا، والبحث في أسباب الهيمنة الأوروبية ونتائجها السلبية المختلفة وسياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وآثاره ثانيا، مما عكس صورة حية لسلوك المحتلين الفرنسيين أنفسهم في الجزائر ونتائج سياستهم ووجوهها المختلفة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية."[4]

20- المسلم في عالم الإقتصاد بيروت 1972 م

21- دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين بيروت 1973 م.

22- بين الرشد والتيه وهو عبارة عن مجموعة مقالات نشرت في جريدة الثورة الإفريقية ترجمها وجمعها وبوبها هو بنفسهن وطبعت بعد وفاته بلبنان طرابلس ، سنة 1978 م.[5]

مالك بن نبي في عيون الآخرين:

يثير مالك بن نبي إعجاب المختصين أمثال الشيخ دراز الذي قال فيه " لسنا هنا أمام مجموعة مواعظ ترمي إلى حشو الذاكرات ، ولكننا أمام نموذج حي لنقاش جدلي ، تمكن أهميته الحيوية في حفز الطاقة الفكرية لكل قارئ قادر على التفكير المنهجي حتى يطرح كل واحد بدوره مشكلة حقيقية ويبحث بمفرده عن الموقف الذي يقفه من هذا النقاش "[6] .

وقد عبر الدكتور محمد المبارك عن إعجابه بشخصية هذا المفكر الكبير ، رمز المرحلة الجديدة "مرحلة التحرر من التبعية الفكرية للإستعمار" فقال :" إن مالكا يبدو في كتاب وجهة العالم الإسلامي وفي مجموع آثاره لا مفكرا كبيرا وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب ، بل داعيا مؤمنا يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر ومنطقه وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره ، وإن آثاره في الحقيقة تحوي تلك الدفعة المحركة التي سيكون لها في بلاد العرب أولا وفي بلاد الإسلام ثانيا أثارها المنتج وقوتها الدافعة ، والرقعة التي هـي موضوع البحث وقوة الإحساس والشعــور "[7].

أما زميله الدكتور عبد العزيز خالدي كان أعرف الناس به و بدقة نقده وعمق تحليله وصرامة منطقه ، فقد حاول أن يبرز لنا جوانب من شخصيته وفكره قد تخفى علينا نحن الذين لم نعايشه ولم نشهد تكوينه ولا المضايقات التي كان عرضة لها ، يقول لنا الدكتور خالدي :" إن تكوين المؤلف كمهندس قد ساعده دون شك على التصور الفني للأشياء ، ولكن ثقافته المزدوجة تسمح له بأن يصل هذا التصور بالخطة الإنسانية ، وبنفس الثقة التي تطبع خاتمته المؤثرة ، ونضيف هنا أن الأمر لا يتعلق بعمل مفيد للجزائر فحسب ، لأن هذه المدرسة تتعدى بعبقريته حدود الجزائر ، لكن تضم مجال العالم الإسلامي كله ، حيث أنها تتضمن المشكلة الإنسانية في سائر عناصرها "[8] .

يقول الأستاذ " فوزي الحسن " الذي كان على علاقة وطيدة به إستمرت لسنوات ، وحفزت في مخيلته شواهد دالة على حقيقة وعظمة شخصية فكرية جزائرية متوقدة يقول " كان ذا ثقافة واسعة ، يجيد الحوار والرد على سائله بشكل مقنع شاف ، حتى أنه كان يستطيع تحديد إختصاص السائل العلمي بمجرد توجيه الأسئلة حول أي موضوع ، كان ينشر كتبه لغرض إيصال فكرة ، ولذلك فهي تباع بسعر زهيد مما يوقعه بعجز يسده من جيبه "[9] .

يقول الدكتور مصطفى السباعي " إستطاع بأسلوبه الذي تفرد به ، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته الإسلامية أن يوجه عليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع إحتفاظه بقوة العقيدة ، وسلامة التفكير ، وبدا يُرى في الأستاذ بن نبي رائده الفكري البعيد النظرة القوي الإيمان المناضل بقلمه في سبيل الإسلام "[10] .

يقول الأستاذ عمر مسقاوي :" تنطلق أفكار بن نبي لا لتضيف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه ، أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة ، بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير الإنسان خطوة متقدمة فهو بطرح الإسلام كملهم لقيمنا ، وقادر على إستفادة دور الإنسان مبرأ من ثقل الحضارة الإمبراطورية ، وإنما كواقع إجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية "[11] .

وأستاذ أنور الجندي" مالك بن نبي يختلف كثيرا عن الدعاة المفكرين والكتاب فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الإجتماعي الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن

والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم ، وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان ، والرومان ، والمسيحية "[12].

يسير محمد الميلي:"يستخلص بن نبي في كتاباته ....أن خلاص العالم الإسلامي يتمثل في تطويع الغرب لروح الإسلام ، فقد كان فكر مالك بن نبي مدعوًا لأن يلعب دورا معتبرا بعد الإستقلال لكن هذا الدور كان محدودا بفعل عاملين : الأول هو نظريته عن قابلية للإستعمار والتي إستغلها أعداؤه ضده عندما جعلوها نوعا من التنوير للإستعمار والثاني هو الظرف الخاص الذي عرفته الجزائر بعد عام 1962 والذي تغلبت فيه إغراءات التجديد ....وكذلك إغراءات التقليد للغرب وأنماطه الحياتية مما صرف النظر عن هضم عصارة الحضارة الغربية ، و الإستفادة منها إلى أقصى حد ....."[13]

ومحمد شاويش يقول:" إن طريقة مالك بن نبي في طرح مشكلة المسلمين كمشكلة حضارة ومجتمع ودعوته المجتمع الإسلامي للنهوض بعماه الخاص الدؤوب ، دون إنتظار نيل الحقوق من طرف خارجي هي طريقة قيمة جدا نحتاج إليها هذه الأيام حين نرى أن من الإسلاميين من يمحور كل نشاطه حول هدف مطالبة السلطة بحقوق أو قوانين ويترك مهمة الإصلاح الإجتماعي مؤجلة بإنتظار تطبيق الشريعة الإسلامية ، إن طريقة مالك بن نبي في التحليل الصبور لمشاكل الحضارة يحتاج إليها جيل الشباب عندنا الذين يميلون في حماسهم إلى ترك التحليل العلمي المنهجي وتفضيل رفع الشعارات عليه"[14].

وهذا بالإضافة إلى الإعجاب المسجل والمكتوب ، كان مالك بن نبي محط إكبار وإحترام من طرف العديد من كبار المفكرين في العالم الإسلامي والذين كانوا يزورون الجزائر بين الحين والآخر ، أمثال الدكتور محمود قاسم ، والدكتور علي سامي النشار ، والدكتور محمد البهي ، والدكتور عبد الحليم محمود قاسم ...وغيرهم.

محاور كبرى لفكر مالك بن نبي

سوسيولوجيا الثورة

يعتبر مالك بن نبي من أكثر المفكرين إلتزاما بقضايا الوطن والثورة لأنها تشكل جزء لا يتجزأ من قضايا الحضارة الإسلامية والنهضة التي خصص لها حصة الأسد من مؤلفاته ، ولقد كلفه هذا الإلتزام التضحية الكاملة بمصالحه المادية ، ومن أهم القضايا التي إستدعت إنتباهه وحظيت بعنايته سوسيولوجيا الثورة التي نجدها مشبوتة بكتبه.

"تدور اجتماعية الثورة الجزائرية عند مالك بن نبي حول المحاور الآتية:

-تحليل النموذج الأسمى للثورة المتمثل في الثورة الإسلامية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

-تحليل الطرق التي يتبعها الإستعمار في إحباط الأفكار الثورية.

-تحليل أخلاقيات الثورة

-تحليل مفهوم الثورة والنقد الثوري.

-تحليل الثورة المضادة.

-تحليل النقد والنقد الذاتي

-الدعوة إلى قيام علم إجتماع خاص بمرحلة الإستقلال."[15]

إن الثورة الجزائرية هي من صنع الجماهير الشعبية الواسعة وليست من صنع طبقة خاصة أو نخبة ، "يقول الأستاذ مالك بن نبي : (ومهما يكن من أمر فإن الشعب الجزائري هو الذي صنع الثورة وكان الفلاح هو الذي صنع حمل عبئها قبل العامل ، والمهتم بالشؤون العقلية ، فقد كانت الثورة في الواقع ثورة فلاحين لا بمجرد عدد شهدائها فحسب ، ولكن بروحها كذلك)"[16]. "والثورة لابد أن تلتزم في نظره بواجبات منها:

- أن تحمي نفسها من سائر المحاولات التخريبية التي يكون فيها أصحابها سلطة جانبية في وطن ثوري ، يؤثرون فيه حتى لحساب الخارج بما في أيديهم من وسائل السلطة.

-الثورة في حاجة إلى أخلاقيات صارمة.

-الثورة في حاجة النقد والنقد الذاتي.

- علم الإجتماع ملزم في البلاد التي دخلت في عهد ما بعد الثورة أن يطرح السؤال أمام كل ما يشتم منه رائحة الأمر الغريب الشاذ.

- ينبغي على الثورة لتفادي الإبهام أن ترسم خطا واضحا حول موضوع التغيير حتى لا يبقى مجالا للخلط.

- لا تستطيع أية ثورة بناء وضع جديد والحفاظ على مكتسباتها إلا إذا كان أثر عملها قي تصفية الإستعمار ناجحا في تصفية الإنسان من القابلية للإستعمار.

- يجب على الثورة أن تحافظ على صفاء لغتها حتى تحافظ على قدرتها على تغيير الإنسان . "[17]

ضرورة الثورة الثقافية:

إن مالك بن نبي هو أول من نادى بضرورة صياغة إيديولوجيا تكون في مستوى عظمة الثورة وبضرورة إبداع ثقافة أصيلة نابعة من قيمنا وحضارتنا.

يرى مالك بن نبي أن المسالة تقوم بالنسبة إلى الجيل الذي حقق الثورة في إعداد إنجاز مشروع ثقافة يكون في مستوى مهام وطموحات الثورة ، على أن يأخذ بعين الإعتبار المشاكل النوعية الخاصة بالتخلف ، وباللافعالية ، وفي حقيقة لا تحتمل الشك ، وهي أن الثقافة لا تستورد بنقلها من مكان إلى آخر ، بل يجب إبداعها في عين المكان ، لأن البيئة ليست

إحدى لوحات الرسم التي نفكها من مسمار الجدار الذي علقت عليه أول مرة ، لكي ننقلها إلى منزلنا[18].

مفهوم حركة مجتمع:

وقد بدا لنا من الضروري أن نفسر بعض المفاهيم لمعرفة حركة المجتمع ومفهومها الحقيقي ، وهذا يسمح لنا في هذه الدراسة ، شأن ما يحدث في مدخل أية دراسة ، المصطلحات المستخدمة وخاصة مفهوم لفظة مجتمع ذاتها

"أن النهضة الحق تقع في الظاهرة الإجتماعية عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه المشهور{ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها }"[19]

المجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين ، هذا النظام في خطوطه العريضة يقوم بناء على ما تقدم على عناصر ثلاثة:

1- حركة يتسم بها المجموع الإنساني.

2- وإنتاج لأسباب هذه الحركة

3-تحديد لإتجاهها.

فهذه العوامل الثلاثة التي يدين لها مجمع إنساني معين وبخصائصه الإجتماعية التي تحيله "مجتمعا " بالمعنى المنطقي للكلمة ، والواقع أن فكرة الحركة ، تلك التي تنطبق مع مفهوم التغير والتطور وتعد عنصرا جوهريا في تعريف علم الإجتماع[20].

وفكرة الحركة تساعدنا هنا على التفرقة بين " المجتمع " وسائر أشكال الجماعات الإنسانية التي لا تتصف بما سبق أن أشرنا إليه من خصائص إجتماعية ، ومع ذلك فإن الحركة في علم الإجتماع تستتبع فكرة ذات قيمتين ، فإن تطور الجماعة يؤدي بها إما إلى شكل راق من أشكال الحياة الإجتماعية وإما أن يسوقها عكس ذلك إلى وضع متخلف ، وعلى أية حال فإن أمام كل مجتمع غاية ، فهو يندفع في تقدمه إما إلى الحضارة وإما إلى الإنهيار.

تكسب الجماعة الإنسانية صفة " مجتمع " عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها ، وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة إنبثاق حضارة معينة.[21]

الحضارة عند مالك بن نبي

قال مالك بن نبي " إنني أؤمن بالحضارة على أنها حماية للإنسان لأنها تصنع حاجزا بينه وبين الهمجية ."[22]

وجهة نظر مالك بن نبي في مشكلة الحضارة:

لقد ناقش مالك بن نبي فلاسفة الحضارة وفي مقدمتهم توينبي في فكرة نشوء الحضارات ، ووصل بنا إلى نظريته التي

أصبحت مشهورة ، وهي أن الحضارة لا تستورد ، وإنما هي عبارة عن إبداع ، وليست تكديسا ولا جمعا لركام من الأشياء ، وإنما هي بناء وتركيب للعناصر الثلاثة الإنسان والزمن والتراب ، وهي من أسس التي تقوم عليه الحضارة وينطلق من وجود الإنسان قابل للتحريك ن والمحاولة المستمرة للنجاح ، ويضاف إليه وجود حدود أو وحدة ترابية أو إقليمية يمكن تأسيس الفعل الحضاري ، إضافة عامل الزمن بصفته عاملا مهما يحدد ناجعة هذا الفعل ، وإستمراريته ، فلكي نقيم حضارة لابد من توفر : الإنسان ، التراب ، الوقت ، ويقابل هذه الشروط محاور ثلاثة لا يمكن القفز عليها أو تجاوزها أو إحداث تقديم أو تأخير فيها وهي - تكوين عالم الأشخاص. – تكوين عالم الأفكار – تكوين عالم الأشياء.

والعامل المهم في تركيب الشروط الثلاثة الأول والمحاور المتممة للبناء هو الدين الذي يقوم بدور المزج والتفعيل حسب بن نبي أو ما عبر عنه بمركب الحضارة الذي ليس في الإمكان تغييبه أو تهميش دوره فهو ثابت ومؤكد[23].

ويلاحظ بهذا الصدد أن العقيدة الدينية ، هي التي تلعب دور المركب ، فدورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال ، إذ تبدأ حينما تدخل للتاريخ فكرة معينة ، أو يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين.

ويضرب لنا مالك بن نبي مثلا : بالحضارة الإسلامية التي بلغت أوج إزدهارها بفضل الدفعة الروحية الخارقة التي مثلها الإسلام ، واستقر هذا التطور بعد معركة صفين ، وبقي ذلك الحال إلى عصر ابن خلدون ، سيطر على هذه المرحلة العقل ، ثم سيطرت بعد ذلك الغريزة ، وبدأ العالم الإسلامي في مرحلة الإنحطاط ويطلق مالك على هذه المرحلة إسم مرحلة الموحدين.[24]

رفض المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي العامل الجغرافي كعلّة تامة في نظرية التحدي لنشوء الحضارات، واعتبر الفكرة الدينية هي العمود الأساس للمجتمعات وقيامها أو حسبما يطلق عليه (مركب الحضارة)، ويبدأ خطوته في تشكيل نظريته باقتباس خطوة كيميائية (ومن عادة مالك، بل من إبداعاته أنه سخر كثير من العلوم في رؤاه) فعادة الكيميائي تقوم بتحليل المنتجات التي يريد أن يجري عليها عملية تركيب، فهو وجد أن كل ناتج حضاري ينتهي في تكوينه إلى (تراب وإنسان ووقت.)

ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت

ويقرب ذلك (ففي المصباح مثلاً يوجد إنسان خلف العملية العلمية والصناعية التي يعد المصباح ثمرتها؟

والتراب في عناصره من موصل وعازل، وهو يتدخل بعنصره في نشأة الإنسان العضوية، والوقت (مناط) يبرز في جميع العمليات البيولوجية والتكنولوجية، وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين الأولين: الإنسان والتراب). وبهذا يجد مالك بن نبي أن المجتمعات إذا ما استطاعت أن تحل الإشكاليات التي تواجه الوقت، والإنسان، والتراب، فقد حلت مشكلة الحضارة.. لا مع الركن الأساس الذي نوهنا عليه في قيام نظرية مالك في نشوء الحضارات، وذلك نجده ينطلق من إثارة سؤال يفرضه بن نبي على بحثه لتثبيت خطاه علمياً وفي نفس الإتكاء كيميائياً على أمر مقطوع به في مقرره الكيميائي، وهو أنه إذا كانت الحضارة ناتجاً لمجموع هذه الأشياء الثلاثة؛ فلما لا تظهر حضارات تلقائياً لمجرد توفير تكلم الحدود الثلاثة: فيكون إتكاءه على نتاج الماء كيميائياً من الهيدروجين والأوكسجين، وذلك لا يكون تلقائياً، وإنما يخضع لقانون كيميائي بمشاركة مركب معين من هنا يضع بن نبي مركب الحضارة، فلا بد من وجود مركب يؤثر في المزج والإثمار. وهو الفكرة الدينية أو المركب الديني الذي رافق تركيب كل الحضارات خلال التاريخ فلقد (ولدت المجتمعات التي ما تنفك تسلط حتى هذا الحين انعكاسات حضارتها على الخارطة الجغرافية، وأعني بها: الهندوسية، والبوذية والموسوية والمسيحية والإسلامية، من هذه الإنطلاقة الروحية التي أقامت هياكل (براهما) و(بهوة) ومعابد البوذية والكنائس القوطية والمساجد الإسلامية فلكل هذه الحضارات ـ المعاصرة لنا ـ قد شكلت تركيبها المتألف، في مهد فكرة دينية).

بل امتدت الرؤية حتى مع المجتمعات التي تخلو من الفكرة الدينية، ليفسر نشوء ونمو المجتمع الماركسي بصورة غير مباشرة على أساس الفكر الديني وذلك من خلال بديلاتها أي ما تعطي عوضها وروحها في الدفع الاجتماعي، لذلك يقول: (إذا اقتضى الأمر أن نصدر حكماً بشأن المجتمع الذي هو بصدد التشييد حالياً باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، باعتباره شكلاً من الحضارة، نجد أن تكوينه ونموه يفسران بنفس الطريقة (أي الفكرة الدينية)، ومن وجهة النظر التاريخية، يتعين علينا ملاحظة أن الأفكار الماركسية قد استخدمت لنموها واكتمالها على (البنية التحتية) النفسانية والمفاهيمية المسيحية للإنساني الذي حول (إنجيل ، يسوع المسيح) إلى (إنجيل ، لماركس) وجميع المطامح التواقة إلى ملكوت الرب الإله إلى مطامح متشبثة بالفردوس الأرضي.

لا يتفق بن نبي مع ابن خلدون في حتمية وامتناع القيام لدولة ولّت دورتها لأن نهضة الحضارة من كبوتها واستيقاظها من

سباتها وسيرها قدماً هو رهين بشروط نفسية، زمنية معينة إذا ما توفرت وتكاملت انطلقت الحضارة من جديد. فالحضارة الإسلامية بما تملكه من مركب (الفكرة الدينية) ذي الأسس العقيدية والإيمانية، قادرة على تجديد حركتها وانتفاضها من جديد، واستعادة كيانها، رغم كل عوامل التحدي، ورغم ما يتعرض وتعرض له العالم الإسلامي من غزوٍ فكري وسياسي واقتصادي.

كيف يمكن إجتماع العناصر الثلاثة ؟.

"عرفنا أن بن بني جعل الفكرة الدينية هي أساس نشوء الحضارة، أما دورها في معادلة الحضارة ـ سيما وانه غير ظاهر فيها ـ أنه المركب الذي ببركته يمكن اجتماع العناصر الثلاثة (الإنسان والتراب والوقت) لكن حلوله الأول في المعادلة هو الإنسان، فمع تقبله الفكرة الدينية وحلولها فيه، تبدي تأثيرها في تشكيل هذا الإنسان في إطار روحي آخر يمكن أن نجعله لوناً من ألوان الإرادة، يمكنه معه أن يرتبط مع التراب والوقت في وحدة وانسجام تمثل قمتها في وجود المركب الديني، لذلك فالكيانات التي تكونت بنحو ما كانت في تشكلها وعرضتها للانهيار تتناسب وقدر الفكرة الدينية وبالتالي مقدار الانسجام الذي كونته. فكأنه يملك تناسباً طردياً بين قوة الكيان وحضارته وبين الانسجام المتولد.. أي بين مقدار حلول الفكرة الدينية وما أخذ منها.

إذن بن نبي يعتبر الإنسان محور الفاعلية في حركة الحضارة، فله الدور الأول في المعادلة لأن الإنسان هو الذي يحدد في النهاية، القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة، لأن التراب والوقت لا يقومان ـ إذا اقتصر عليهما فحسب ـ بأي تحويل اجتماعي كذلك نراه يقول: "إن الإنسان هو الشرط الأساسي لكل حضارة، وإن الحضارة تؤكد دائماً الشرط الإنساني". إن نشوء الحضارة منوط بإرادة الإنسان الحضارية وهذا لا يشكلها ويولدها أو يهبها إلا إيمان الإنسان بعقيدة تطلب منه خدمة الإنسان في حضارته، وهذا ما تعطيه الفكرة الدينية بأرقى مستوى.

القضية إذن في معادلة بن نبي ليست قضية أدوات ولا إمكانيات، بل القضية في أنفسنا، فعلينا أولاً دراسة الجهاز الاجتماعي الأول أي الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، إذا سكن سكن المجتمع والتاريخ، وهذا هو ما أشارته النظرة في تاريخ الإنسان منذ أن بدأ التاريخ، فنرى المجتمع حيناً يزخر بوجود النشاط، وتزدهر فيه الحضارة، وأحياناً نراه ساكناً لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات، وما هذه المظاهر الاجتماعية غير تعبير عن حركة الإنسان وركوده(، ومن هنا تظهر أزمة العالم الإسلامي، فهي

مشكلة الإنسان الذي عزف عن الحركة، لذلك فالمسألة هي أنه يجب أولاً أن يصنع رجالاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب الوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى(، وبما أن الإنسان كما يرى مالك في القرن العشرين يؤثر بثلاثة: أولاً: بفكره. ثانياً: بعمله. ثالثا: بماله.

لذلك تحلّل مشكلة الإنسان في معادلة الحضارة إلى مشكلة: الثقافة، والعمل ورأس المال.

يعتبر مالك قيمة التراب في المجتمع مستمدة من قيمة مالكيه في إطار قدرتهم على تسخيره فكلما كانت الأمة تملك وعياً وفكراً ناضجاً يعرض لها آفاقاً إبداعية لاستكشاف الطبيعة وإنتاج حاجاتها الاجتماعية في كل قنوات المجتمع بكيانه، يكون حينها التراب ذا قيمة لأنه يؤول إلى شيء ذي قيمة. فكل تراب الخليج العربي قبل قرن من الزمان، لم يكن يملك أدنى قيمة سوى أنه ذرات من الرمال تنتهي به الصحراء.. وهذا يتسق مع الجيل آنذاك وثقافته وقيمته، التي لم تستطع أن تصل إلى ما وصل إليه بعد ذاك حينما جاءه من يعي قيمته فإذا التراب ذهباً أسوداً (النفط)، فالأمر مربوط بالإنسان في فضاءه الثقافي على أن يكتشف قيمة الأشياء التي جعلها الله ـ تعالى ـ فيها، وهنا يتأكد دور الإنسان الرئيسي في معادلة الحضارة لابن بني، ودور الدين من علٍ عليه ويوجهه إلى السيطرة على الطبيعة، فالقرآن والسنة يدعوانه في أكثر من موضع لأن يتحرك من أجل اعتماد هذه العلاقة في تنفيذ متطلبات استخلافه العمراني (أو الحضاري) على الأرض، وهذا لن يتأتى إلا بالنظر العميق في ملكوت السماوات والأرض، والدراسة المتأنية لنواميسه وقوانينه وأسراره، والسعي الدائم وفق الأساليب العلمية، للكشف عن هذه النواميس والقوانين، لتحقيق فهم أكثر لقدرات الله الخلاقة وإيمان أعمق به، ومن اجل استخدام هذه القوانين لتطوير الحياة على الأرض، ومواصلة العمران، وتحقيق مفهوم استخلاف على كل المستويات.

أما العنصر الثالث من معادلة مالك وهو الوقت فيبتدأ قبل الدخول في بحثه بحديث شريف في الزمن وهو قول الرسول"صلى الله عليه وآله وسلم" : (ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد فاغتنم مني فإني لا أعود.. إلى يوم القيامة) فالزمن يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد، وهو في مجال ما يصير (ثروة) وفي مجال آخر يتحول عدماً. فهو يجري في الحياة ويرافق تلك الأحداث، ويصب في التاريخ تلك القيم التي منحتها له الأعمال التي أتمت فيه ولكنه على حد تعبيره نهر صامت، حتى أننا ننساه أحياناً

في ساعة الغفلة أو نشوة الحظ قيمته التي لا تعوض، ومع ذلك ففي ساعة الخطر في التأريخ تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء، ففي هذه الساعات كانتفاضات الشعوب، لا يقوم الوقت بمال، كما ينتفي عنه معنى العدم، إنه يصبح جوهر الحياة الذي لا يقدر، فلا يسمع الإنسان صوت الساعات الهاربة، ويدرك قيمتها، إلا في اللحظات الحرجة التي تتناول البقاء والانتصار والخلود والفناء)."[25]

الإستشراق

إن الذرى التي بلغتها العبقرية الإسلامية لتغرقنا في عالم الأحلام ، عندما يذكرنا بها المستشرقون اليوم ، وتخلق فينا مركب النقص عندما ينفونها ، ولمواجهة هذا يجب أن نعود إلى السلم الذي وضعه القرآن أمامنا ، أن العبقرية الإسلامية لا تتمثل فيما خلقته بل الجو الذي أدى بها إلى الخلق.

ولا شك أن للأدب الإستشراقي قيمه العلمية ، وفي بعض الأحيان يكون جديرا بالتقدير ، هذا لم نفصله عن الجانب النفعي والسياسي في إطار الصراع الفكري سواء رضي المستشرقون بذلك أم لم يرضوا

وينتهي مالك بن نبي إلى النتائج التالية:

1- إن المجتمع الذي لا ينتج أفكاره المواجهة لا يمكنه أن ينتج المنتوجات الإستهلاكية و مواد التجهيز ولا يرفع كيان المجتمع ويشيد بأفكار مستوردة أو مفروضة من طرف الإستشراق.

2- يجب علينا في المرحلة الراهنة من نمونا وتطورنا أن نحدد بأنفسنا مواضيع تفكيرنا.

3- يجب علينا أن نهتدي إلى أصالة الفكرية و أن نسترجع إستقلالنا في ميدان الأفكار و الإقتصاد والسياسة.

إن علاقة الإستشراق بالتبشير و الإستعمار والصراع الفكري أصبحت أمور لا يمكن أن يتطرق إليها الشك بأية حل من الأحوال ،فالإستشراق خطوة نحو السيطرة الثقافية والسياسة ولا ننسى حقدهم على الإسلام ، ولا يعني كل هذا بأن ننكر التيار الإيجابي بين المستشرقين ومن يستطيع إنكار الواقع ؟ فالدراسات الإستشراقية مهما كانت موضوعية لا تستطيع أن تحدد مواضيع تفكيرنا و لا أساليب عملنا في المستقبل ، ومن قال هذا آمن بجدوى إستيراد الأفكار والثقافة من الخارج وبالتنصل من شخصيته ، ولسنا هنا بصدد تقييم البحوث التي قدمها المستشرقون ن فعلى الرغم من المآخذ التي يمكن أن توجه إليهم ، نستطيع أن نقول بأنهم قد ساهموا في إحياء التراث العربي الإسلامي القديم ، وأنهم ساهموا في إحداث نهضة شاملة في

العالم العربي الإسلامي ، فالنهضة عمل خلاق ، ولذلك فلا يمكن إستيرادها.

الشيء الذي نستفيده من المستشرقين غلاتهم ومنصفيهم يتمثل فيما حققوه من تراثنا وفيما جمعوا شتاته وفي النهج الذي إستعملوه في بحوثهم الذي عرف تطورا كبيرا عبر التاريخ و المعتمد في العلوم الإنسانية . وشيء الذي يبقى علينا أن نفعله هو إختيار مواضيع تفكيرنا بأنفسنا وذلك من أجل ضمان الإستقلال الفكري وتحديد نظرتنا ونظرة أجيالنا الصاعدة إلى التاريخ .[26]

قضية المرأة:

" إن قضية المرأة عند مالك بن نبي تندرج ضمن منظومته الفكرية العامة التي حددها في مشكلة الحضارة، بأبعادها الشاملة، السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية. فمشكلة الحضارة عنده قضية لا تتجزأ، وأي تجزيء لها يقود حتمًا إلى طرح المشكلات طرحا خاطئًا، ومن ثم تحديد وسائل خاطئة للعلاج. إن مالكًا يعتبر أن العالم الإسلامي أضاع وقتا طويلا، وجهدا كبيرا بسبب عدم التحديد المنهجي الصحيح للمرض الذي يتألم منه منذ قرون عدة، وذلك عائد إلى التجزيئية التي عزلت القضايا عن بعضها ونظرت إلى كل واحدة على حدة.

من هنا وقف مالك من قضية المرأة موقفه من القضايا الأخرى، وقد أطلق تسمية "مشكلة المرأة" في كتابه "شروط النهضة"، وذلك انسجامًا مع منظومته الفكرية التي تدور حول مشكلة الحضارة عموما من ناحية، وللتدليل على مقدار التضخيم الذي كان من نصيب موضوع المرأة في العالم الإسلامي، سواء من أنصار التحرر الذي يصل بالمرأة إلى درجة التحلل، أم من أنصار التزمت الذي يغلق بصره أمام حقائق الإسلام.

اعتبر مالك بن نبي أن ليس هناك مشكلة للمرأة معزولة عن مشكلة الرجل، فالمشكلة واحدة، هي مشكلة الفرد في المجتمع، فقد حاول الكثيرون، بوحي من الفكر العربي التجزيئي، النظر إلى قضية المرأة كقضية مستقلة، ومن ثم خلقوا معركة مفتعلة بين أفراد المجتمع الواحد، ووضعوا المرأة في مواجهة الرجل، وهذه قمة التجزيئية وتشويه حقيقة الصراع الحضاري، لأنه يضع الزوجة في مواجهة الزوج، والبنت في مواجهة الأب والأخت في مواجهة الأخ وهلم جرا، فيتحول الصراع من صراع المجتمع ضد التخلف الحضاري والاغتراب إلى صراع داخل المجتمع نفسه، مما يلهيه عن التصدي للتحديات في بناء متماسك.

و تـــقود هذه الطريقة في تشخيص المشكلات وتحديد معالمها إلى منظور كمي، ذلك أن وضع جدار فاصل بين المرأة والرجل يؤدي ضرورة إلى البحث عما

يفرق ويجمع بينهما، وبعد ذلك إلى إيجاد ما ينقص المرأة إزاء الرجل، وهل هي أكبر أو أصغر منه، أو تساويه في القيمة . ويعتبر مالك أن هذه الأحكام ما هي إلا افتئات على حقيقة الأمر ومحض افتراء[27].

موقفان ودافع مشترك:

ميز مالك بن نبي بين موقفين متقابلين من قضية المرأة: موقف المتمسكين بإبعاد المرأة عن المجتمع وإبقائها في وضعها التقليدي الذي كرسته التقاليد، وموقف الداعين إلى أن تخرج المرأة في صورة تلفت إليها الغرائز. ورأى أن موقفي هذين الفريقين يصدران عن دافع واحد هو الغريزة. وهذان الموقفان لا يساهمان في حل المشكلة، بل ربما زادا الطين بلة. وإذا كان موقف الداعين إلى التحرر على النمط الغربي واضح الأخطار على المجتمع الإسلامي بسبب ما يؤدي إليه من ترسيخ للتبعية وتبليد للحس الإسلامي وضرب الهوية الخاصة للأمة، فإن الموقف الثاني قد يكون أشد خطرا لأنه يعطي لأعداء الأمة المبررات للخوض في سمعة الإسلام والتشكيك فيه، ويجعل المرأة حين تفكر في الحرية لا تجد أمامها إلا النموذج الغربي الحاضر أمامها.

من أجل ذلك يستبعد مالك هذين الموقفين لأنه "لا أمل لنا أن نجد في آرائهما حلا لمشكلة المرأة" ويقول: (إن إعطاء حقوق المرأة على حساب المجتمع معناه تدهور المجتمع وبالتالي تدهورها، أليست هي عضوا فيه؟ فالقضية ليست قضية فرد، وإنما هي قضية مجتمع)28 .

خاتمة

وبعد ، فإن هذا البحث قد كشف عن عدة نتائج هامة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك علو منزلة مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي ، وليس من السهل تقويم شخصية وأعمال هذا المفكر العبقري ما يزيد عن ثلثي القرن.

غير أنه يجدر بنا أن نؤكد حقيقة جديرة بالملاحظة يؤمن بها مالك بن نبي إيمانا راسخا ، هذه الحقيقة نابعة من فلسفة تاريخ الضمنية التي يدافع عنها وهي فلسفة لا شرقية ولا غربية ، بل هي فلسفة نابعة من القرآن والسنة.

هذه فلسفة هي فلسفة التكافل الإجتماعي والرغبة في بلوغ المرام مادام الجميع متساويين في المشهد المبدئي الأساسي ، فالكل يعمل ، والكل ينتج ، والكل يساهم لأن المعركة مشتركة ، معركة المحافظة على البقاء في غاية من غايات التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية ، هو ما نطلق عليه إسم الحضارة .

الهوامش :

1- من محاضرات الأستاذة ربيح نعيمة 2006-2007.
2- عبادة عبد الطيف ، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، دار الشهاب ، باتنة ، ط1 ، 1984م، ص33.
3- خدوسي رابح ، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ، دار الحضارة ، الجزائر ، ط1 ، 2003م ، ص 18.
4- جريدة الشرق، تاريخ النشر : يوم الأربعاء 12 ديسمبر 2007 "الانترنت "
5- عبادة عبد الطيف ، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، دار الشهاب ، باتنة ، ط1 ، 1984م، ص37
6- نفس المرجع السابق ، ص39
7- نفس المرجع السابق ، ص 40
8- نفس المرجع السابق ، ص41.
9- بشير ضيف الله ، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ،منشورات المجلس الأعلى ،الجزائر، ط1 ،2005م ، ص25.
10- نفس المرجع ، ص26 .
11- نفس المرجع السابق ، ص26.
12- نفس المرجع السابق ، ص 28.
13- نفس المرجع السابق ، ص 28.
14- نفس المرجع السابق ، ص 36 .
15- نفس المرجع السابق ، ص89.
16- نفس المرجع السابق ، ص94
17- نفس المرجع السابق ، ص ص104-105.
18- نفس المرجع السابق ، ص103.
19- مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، دار الفكر ، بيروت ، ط3 ، 1986 م، ص07 .
20- المرجع السابق ، ص 17.
21- المرجع السابق ، ص18.
22- المرجع السابق ، ص 69.
23- المرجع السابق ، ص 73.
24- عبادة عبد الطيف ، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، دار الشهاب ، باتنة ، ط1 ، 1984م، ص43.
25- مجلة النبأ - العدد 41 - شوال 1420 - كانون الثاني 2000 "الانترنت"
26- عبادة عبد الطيف ، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، دار الشهاب ، باتنة ، ط1 ، 1984م، ص 60.
27- مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مقساوي وعبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، بيروت ن ط3 ،1968 ص 174.
28- نفس المرجع ، ص176

ثقافة التكنولوجيا وثقافة الطفل: العلاقة والأثر

أ. جيلالي شعثان

أمين مكتبة المركز الثقافي الإسلامي بالجلفة

المستخلص

سيتمّ التّطرق في هذه الورقة البحثية إلى العلاقة بين التكنولوجيات الحديثة والحياة التي يعيشها أطفال اليوم، من خلال تسليط الضّوء على أهم الآثار التي أحدثتها هذه التكنولوجيات على ثقافتهم والدّور الأساسي الذي تلعبه في تشكيل هويتهم وكذا ما أثارته من تداخلات في العملية التثقيفية للطفل.

وقد ارتكزت الدّراسة على عيّنة الأطفال منذ السنة الأولى إلى 13 سنة لما لهذه الفئة من علاقة وطيدة بالتكنولوجيا، حيث تفيد الدّراسات الحديثة بأنّهم يقضون 7.5 ساعة يوميا في التّرفيه التّكنولوجي و75% لديهم جهاز إلكتروني في غرفهم، ولتتبع ظاهرة الاستخدام وآثارها تم استعمال المنهج الوصفي لتقصي استخدامات التكنولوجيا في العالم الغربي، محاولا في ذلك القيام بإسقاطات على الواقع الجزائري.

انتهت الدّراسة إلى أنّ تأثير تكنولوجيا المعلومات على ثقافة الطفل كبير وسلاح ذو حدّين وأنّ عمليّة الاستخدام هي العامل الأساسي والمحدّد لما ستؤول إليه الانعكاسات، فمن جهة لها مظاهر إيجابية من ذلك التّنشئة الاجتماعية الصالحة عن طريق البرامج والتّطبيقات المختارة الغارسة للفكر النّبيل، الإعانة على رؤية المجتمع من زوايا أخرى وتحسين مستوى أدائه العلمي وتفكيره النّقدي، ورغم ذلك فإنّ عدم إتّباع سياسة راشدة سيؤدي إلى تداعيات سلبية معتبرة من قبيل اختلال القيم والنّسيج الاجتماعي وحتى تأثّر الهوية والانتماء وكذا الإدمان وفقدِ التّركيز.

الكلمات الدالة: تأثير التكنولوجيا - الطفل – الثقافة – التربية – تكنولوجيا المعلومات

Résume en français:

Ce papier discute la relation entre les technologies modernes et la vie d'enfants d'aujourd'hui, en mettant la main sur les effets causés par ces technologies sur leurs cultures et le rôle clé qu'elles jouent dans la formation de leur identité aussi bien par de ses impacts dans le processus éducatif de l'Enfant.

L'étude a été basée sur un échantillon d'enfants en dessous de 13 ans de fait de leurs relations étroite avec la technologie, où des études récentes indiquent qu'ils passent 7,5 heures par jour dans le divertissement technologique et 75% ont un dispositif électronique dans leurs chambres, et pour suivre le phénomène de la consommation et ses effets on a utilisé un approche descriptive pour découvrir les utilisations de la technologie dans le monde occidental, en essayant de faire des projections sur la réalité algérienne.

Les résultats de l'étude nous mènent à une conclusion que l'impact des technologies de l'information sur la culture de l'enfant est grand et un double tranchant et que la manière d'utilisation est le facteur clé de ce qu'elles seraient les répercussions. D'une part, elles peuvent être avantageuses par la contribution à la bonne socialisation grâce à la bonne sélection des logiciels et des applications aidant à semer des valeurs nobles dans la culture de l'enfant, et aussi, la

technologie va l'aider à voir la communauté sous d'autres angles, et de participer à l'amélioration de leurs

Les mots clés: les impacts de la technologie - l'enfant – la culture – l'éducation - la technologie de l'information.

مقدمة

إنّ من أهم سمات العصر الحالي ظهور التكنولوجيات الحديثة وتوسعها لتبلغ مختلف مجالات الحياة وكل الفئات العمرية، حيث تداخلت في أنماط ومضامير الثقافة، الإعلام، الفن، التّعليم، التواصل الحضاري والإنساني والتّسلية، وقد أصبحت هذه التكنولوجيا أو ما يسمّى بالعالم الافتراضي لا يؤثر في نظرتنا للعالم الخارجي فحسب بل تعدّاه إلى مساهمته في بناء تصوّرنا عن ذواتنا وعن الآخرين وفي طريقة الحياة والفكر، إذ أصبحت جزءا لا يتجزّأ من هوية مستخدميها.

وقد تداخلت تكنولوجيا المعلومات في دورة إنتاج ثقافة الطفل بمعناه الشمولي، الأمر الذي عظّم من مكانتها في تشكيل هوية الأجيال القادمة، حيث ولا شك أنّ استخدام الطفل للحواسيب واللّوحات الإلكترونية والهواتف الذّكية وغيرها قد مهّد لإكسابهم ثقافة جديدة نجدها تتغلب وبشكل تدريجي على الثقافة التقليدية، ثقافة تشحذ خيالهم، تسليهم وتشعرهم بالمتعة.

ورغم أهمية هذه الوسائل في تثقيف الطفل وإيصال المعلومة له إلّا انّه لا يمكن غضّ الطّرف عن الخوف الذي يعتري الآباء والمربين من مستقبل أطفالهم بفعل الابتعاد عن العالم الواقعي و انغماسهم في الحيّز الافتراضي وما ينجر عنه من تداعيات.

وقد جاءت هذه الورقة البحثية في سياق إبراز العلاقة الرّابطة بين التكنولوجيا المعلومات وحياة الطفل خاصة من حيث تغير النمط المعيشي، وكذا محاولة الكشف عن أهم الآثار التي أحدثتها تكنولوجيا المعلومات على ثقافة الأجيال القادمة والدّور الأساسي الذي تلعبه في تشكيل هوية الطفل، ومن خلال معرفة هذا يمكن بلورة تلك الآثار والأدوار إلى أطر محدّدة وواضحة تسمح لنا باستغلال هذه التكنولوجيات أكثر وبصفة أفضل.

1. الطفل وعصر تكنولوجيا المعلومات

1.1 مفهوم تكنولوجيا المعلومات

يجد الباحث في أدبيات الموضوع أمامه كما هائلا من التعريفات متجانسة ومتقاربة في المعنى تدور حول موضوع تكنولوجيا المعلومات، من أهمها وأشملها تعريف "أحمد شوقي" بقوله " تعرف التكنولوجيا بكونها أحد المحددات الثقافية التي لا يقل أثرها في تشكيل حياة البشر عن الفلسفات والمعتقدات والنظم

الاجتماعية والاقتصادية، أما مفهومها الشائع حاليا فيقتصر لدى الغالبية العظمى على التّمكن من طرائق التصنيع والانتفاع بها، مع التّطبيق المنتظم للمنجزات العلمية في الأغراض التطبيقية "[1].

ويؤكد "موران" (Morin) أن التدقيق في استخدام مصطلح "التكنولوجيا" في الأدبيات يسمح بملاحظة وجود ثلاثة أبعاد تحدد المفهوم: [2]

- بعد علمي، والمتمثل في المعارف العلمية في مجال الإنتاج.
- بعد تقني، والمتمثل في المزج بين أساليب الإنتاج بما فيها المعدات والمهارات (Savoir faire).
- بعد اجتماعي، والمتمثل في التّفاعل مع البنى الاقتصادية و الاجتماعية من خلال تبني المؤسسة للاستثمارات في التكنولوجيا، و تقبل أفراد المجتمع للتغير التكنولوجي.

وسنكتفي في هذا البحث بتبني البعد الاجتماعي دون إغفال البعدين العلمي والتّقني.

2.1 حياة الطّفل في ضوء تكنولوجيا المعلومات

كيف قامت الوسائل التكنولوجية بتغيير حياة الأطفال ؟ وما سبب السرعة الكبيرة في تكيّفهم مع هذه التّطورات ؟

لقد قامت تكنولوجيا المعلومات بتغيير نمط عيش المجتمع ومنه العائلات [3]، " وأصبحت جزءا لا يتجزّأ من حياة الأطفال في القرن الحادي والعشرين، وتتميز هذه التكنولوجيات بالتغير الدراماتيكي -السريع- حيث ومن بدايات سنة 1990 ظهرت في الساحة عدت أجهزة وتقنيات تتنافس فيما بينها، من ذلك ألعاب الفيديو، الهواتف النقالة، الآي باد، الرسائل الفورية، المواقع الافتراضية، شبكات التّواصل الاجتماعي والبريد الالكتروني "[4] وغيرها.

يتعرّض أطفال العالم ومنهم الجزائريون لجلّ وسائل الإعلام، والكثير منهم يمتلكون الانترنت وألعاب الفيديو، عدد معتبر منهم لديهم هواتف نقالة ولوحات الكترونية، أيضا شبكات التّواصل الاجتماعي كالفايس بوك يتزايد عدد منتسبيها من فئة الأطفال والمراهقين بشكل كبير، ما افرز تقاربا تكنولوجيا تميز به العصر الحالي، مكّن الأطفال من الوصول إلى نفس المصدر ومكّنهم من مشاهدة البرامج التّلفزيونية على حواسيبهم بعد فترة من بثها، ومكنهم من استخدام هواتفهم الذكية في تصفح الانترنت، ونتيجة لذلك أصبح الطفل الجزائري ينفق المزيد من الوقت في استخدام التكنولوجيات الرقمية، وكثير منهم أصبح لا يقوم بأي نشاط آخر بخلاف النوم!

وقد تحدّث مجلس حقوق الإنسان التابع لمنظّمة الأمم المتّحدة في دورته الثامنة والعشرون عن تكنولوجيا المعلومات للطفل في تقريره السنوي[5] قائلا أنّ:" الهواتف المحمولة والحواسيب والوصول إلى الإنترنت جزء لا يتجزأ من حياة الطفل اليومية، وتتيح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للطفل أدوات جديدة ومثيرة لتعزيز المعارف والمهارات والاضطلاع ببحوث مبدعة وأنشطة ثقافية، فضلاً عن اللعب والترفيه وربط علاقات اجتماعية ".

2. ثقافة الطّفل والتّكنولوجيا

عن أيّ طفل نتحدّث هنا وما المقصود بثقافة الأطفال ؟ وما نوع العلاقة بين التّكنولوجيا والعملية التّثقيفية؟

إنّ تحديد عمر الطّفل يختلف من باحث لآخر، حتّى باتت الطّفولة لا تمثل مرحلة واحدة بل عدّة مراحل عند عدد من الباحثين[6]، للفصل في هذه النّقطة نذهب للمفهوم الذي ساد لدى الباحثين القدامى، ومن ساروا عليه إلى يومنا هذا، وهو منذ ولادة الطّفل إلى سنّ الحلم أو البلوغ أو ثلاثة عشر سنة[7]، هذا وقد حدد مجلس حقوق الإنسان الفترة العمرية للطفل منذ الولادة لغاية سن الثامنة عشر.

أمّا الثقافة فـ" هي مجموع الموروثات الاجتماعية التي تمثّل انجازات جماعة ما، وعليه فإنّ كل ما تتوصل إليه مجموعة من الأفراد، من أفكار وعادات وقيم أو مناهج وأنشطة عملية أو إنتاج فكري أو يدوي أو أساليب لنقل هذه المعلومات والخبرات... تمثّل ما نسميه الثقافة "[8]، وعرّفها الانثروبولوجي الإيطالي إدوارد تايلور سنة 1871 بقوله " إنّ الثقافة هي ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والتقاليد والقوانين وجميع المقومات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع "[9].

لقد ربط عالم الأنثروبولوجيا "مالينوفسكي" الثقافة بالأطفال، لكونها تستجيب لنمو الطفل، وتلبي احتياجاته في الاطلاع والتعبير والإبداع وتتوافق مع خصائص الطفولة وطبيعتها، وتكون قادرة على تربية الطفل على نحو يستطيع بواسطتها العيش كعضو نافع في المجتمع، وقادر على التّكيف مع الحياة الاجتماعية و متطلّباتها من التّغيّر والتّطور.[10]

من التّعريفين السّابقين يمكن استخلاص بُعدين أساسيين هما:

- البُعد الفيزيائي الملموس (الأجهزة و الأدوات التّكنولوجية و عمليّاتها، البنيان، الأثاث،...)؛

- البُعد المعنوي أو غير المادي (الرّموز، المثـــل، قـــواعد المـــعاملة، الخيـــال، التّجمعات العلمية والتّرفيهية...).

فإذا ما علمـــنا أنّ الأسرة هي أساس المجتمع والأطفـــال هـــم محورها وأنّ تنشئتهم التّنشئة الصالحة والقويمة التي تضمن تأسيس أسرة صالحة تلعب دورها في تثقيف المجتمع الثقافة الكفيلة بتطوّره وتقدّمه، فيمكن القول [أنظر الشكل (01)] بأنّ المزج الصحيح بين البُعد الفيزيـــائي الملمـــوس للثّقـــافة وأكثر مظاهره التّكنولوجيات الحديثة، والبُعد المعنوي الغير مادي وتمثّله في قواعد المعاملة، المثُل، الخيال، العلم والتّرفيه يُمكّن من تربية الطّفل وتنشئته بأحسن حال ومنه إكسابه للثقافة التي تُخرج لنا أفضل جيل في المستقبل.

في هذا الشكل (01) تُستوضح لنا العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والتربية، الترفيه والعلم [11] حيث أنّ الأولى –تكنولوجيا المعلومات- تأثّر في نوع الثّقافة التي يتلقّاها الطفل في مراحله الأولى، أمّا الثّانية –التربية، الترفيه والعلم- فـبدورها تأثّر على التّطوّر التّكنولوجي وهذا عادة ما يحدث في المستقبل القريب لهؤلاء الأطفال، حيث تأكّد الدّراسات بأنّ الأطفال الذين يشُبُّون على استعمال التّكنولوجيا يساهمون في مرحلة شبابهم بشكل كبير فـي تطويـــر التطبيقـــات التكنـــولوجية و الأجهزة الذّكيّة.

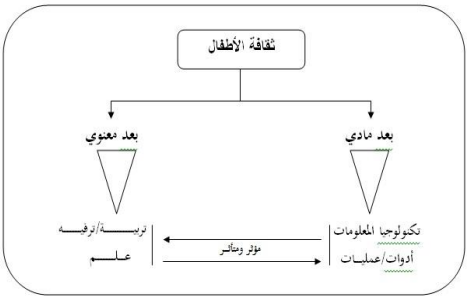

الشكل (01) العلاقة بين البعدين المادي والمعنوي في ثقافة الأطفال

المصدر: إعـداد الباحـــث

3. تأثير تكنولوجيا المعلومات على الطفل

أضحت تكنولوجيات المعلومات والاتصالات تلعب دورا أساسيا في عملية التّنشئة الاجتماعية وغرس القيم والمبادئ النّبيلة، إذْ يمكث أطفالنا ساعات طويلة أمام هذه التّكنولوجيات يتعرّضون من خلالها لمعلومات، آراء ومواقف تسهم لحدّ كبير في تكوين تصوّرهم عن العالم الذّي يعيشون فيه، وعليه فهنالك اتّفاق عام على أنّ وسائل الإعلام (وكل التّكنولوجيات) تُحدث آثارًا على الاتجاهات والقيم أمّا الفترة اللازمة فمازالت محلّ جدل، إذْ تشير الدّراسات إلى أنّ وسائل الإعلام تقوم بدور ملموس في تكوين الآراء أكثر مما تساهم في تغييرها.[12]

تفيد الدّراسات الحديثة [13] التي تعنى بمدى استخدام أطفال العالم للتكنولوجيات الرّقمية بأنّهم يقضون حوالي 2.5ساعة يوميا في مشاهدة التلفاز و25% منهم يملكون تلفازا في غرف نومهم، كذلك يقضون 7.5ساعة يوميا في التّرفيه التّكنولوجي و75% لديهم جهاز إلكتروني في غرفهم، أيضا 30%سيدخلون رياض الأطفال وهم معرّضون لمشاكل في النّمو ، 14.3% من الأطفال لديهم تشخيص بأمراض ذهنية.[14]

وعليه، فلم يعد من المستغرب أن نجد الأطفال في مراحلهم العمرية المبكّرة يستخدمون تكنولوجيا الهواتف الذكية والحواسيب اللوحية بكل ثقة، حيث لا يجدون صعوبة في استخدام شاشات اللمس أو الضغط على الأزرار التي تحويها تلك الأجهزة التكنولوجية الحديثة[15].

مما يلاحظ من كل هذا أنّ للتّكنولوجيات الحديثة تداعيات على الطّفل، وأقصد هنا الانعكاسات الإيجابية التي جاءت مع الأجهزة والتّطبيقات التّكنولوجية التي ساهمت في تثقيف الأطفال وتربيتهم، وكذا الانعكاسات السّلبية التي رافقتها والتي أثّرت سلبا على أطفالنا.

1.3 - المظاهر الإيجابية المحتملة لاستخدام التّكنولوجيا من طرف الأطفال

- **التّنشئة الاجتماعية للأطفال:**

يقصد بالتّنشئة الاجتماعية للطّفل تلك السّيرورة التي يمكن من خلالها إكسابه ثقافة المجتمع وقيمه الأخلاقية والاجتماعية التي تمكّنه من أن يكون فردا صالحا في ذلك المجتمع، ويَعتبر علماء الاجتماع أنّ برامج التّلفزيون وتطبيقات الانترنت هي أدوات التّنشئة الاجتماعية، فكل محتوى لبرنامج أو تطبيق معيّن يكسبه تنشئة معيّنة، وهذا بحسب البرنامج أو التّطبيق ترفيهيّا كانَ أم تربويّا أو دينيّا.

وعليه، فمن خلال تلك البرامج والتّطبيقات تُغرس الأفكار النّبيلة والآراء السّديدة، وكذا المواقف التي تضمن مستقبل ذلك المجتمع وتعين في الحفاظ على قيمه وثقافته.

- **نظرة الطّفل إلى الذّات والمجتمع من زاوية خارجية:**

" توفّر وسائل (التكنولوجيا) والاتصال تجربة إضافية قد لا تتوفّر محلّيا كأن ينتقل الفرد من ثقافة إلى أخرى بمجرّد تغيير القناة التّلفزيونية (أو موقع الويب)، وذلك ما يجعل الفرد ينظر لذاته ومحيطه من بعد أو عدّة أبعاد تجتثه من عالمه المحدود

" [16]إلى عالم لا حدود له تتعدّد فيه زوايا النّظر وتأثّر تلك الزّوايا على المسلّمات التي نشأ عليها الطّفل مما يكسبه إدراكا لما هو عليه من خصوصيات وميولا لتقبّل الآخرين على ما هم عليه من تمايز.

- تعلّم الاعتماد على النّفس والشّعور بالاستقلال:

" تتيح التّكنولوجيا للأطفال فرصة الاعتماد على النّفس والاستقلالية حيث يتملّكهم شعور بالتّمكين لأنّ المعلومات المتاحة تحت تصرّفه، بوجود... برمجيات معالجة النّصوص، جداول البيانات، عروض الشّرائح، محرّكات البحث، القواميس على الانترنت... وغيرها من الموارد، كما تزوّد التّكنولوجيا الأطفال بالكثير من الأدوات لمساعدتهم على حل المشاكل أو إنشاء مشروعات للمدرسة "[17]، فغالبا ما يعتمد الطّفل على نفسه في البحث عن معلومة أو تثبيت برنامج الكتروني للتّرفيه والدّراسة، وهنا يصبح هو القائم بأعماله، معتمدا على نفسه، مكتسبا ثقة أكبر وشاعرا باستقلال أكثر.

- تحسين مستوى التّحصيل الدّراسي والأداء العلمي:

هنالك العديد من الدّراسات والبحوث التي تأكد تأثير استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال ف تحصيل الطلاب وزيادة دافعيتهم للتّعلم، وتنمية قدرات التّفكير الإبتكاري، والقدرة على حل المشكلات، وتليل زمن التّعلم، وتنفيذ عديد التجارب الصّعبة، وتثبيت المفاهيم وتقريبها، وحفظ الحقائق التاريخية، وتعزيز مبدأ التعلم الجماعي وغيرها.[18]

فطبقا لدراسة **كافري سابرامانيام** [19] (Kaveri Subrahmanyam) أو البحث الذي قام به **ماثيوس روتربارغ** [20] (Matthias Rauterberg) والذي يضمّ نتائج دراسات أقيمت خلال 15 عاما عن تأثير استخدام التّكنولوجيا بما تحتويه من حواسيب، تطبيقات وبرمجيات وغيرها، وكذا مواقع التّواصل الاجتماعي التي تتميّز بوجود عدد كبير من المستخدمين في نفس الوقت، وهذا بغية معرفة وتشخيص الآثار التي تحدثها في التّحصيل الدّراسي للطّفل، حيث تمّ بحث العلاقة بين تعامله مع التّكنولوجيا ونتائجه الدّراسية في مختلف المواد، والتي نذكر منها الدّراسات الاجتماعية والصّحية، القراءة والكتابة، اللّغة، الجغرافيا، الاتصالات، التّكنولوجيا، وحل المشكلات، وخلصت الورقة البحثية بملاحظة وجود تقدّم في الرّياضيات، تحسّن في القراءة والكتابة، معرفة في التّعامل مع الحواسيب وزيادة التّحصيل في المواد الأخرى.

ليس غريبا والحالة تلك أنّ نجـدَ تَعـايُش أطفالنا مع التّكنولوجيات الحديثة قد ساعد في تحصيلهم العلمي، لكن

ومما لاشكّ فيه أنّ النّتائج الدّراسية تعتمد على توفّر عدّت معطيات وعوامل لا سيما في إطـــار جـــودة المحتـــوى ونوعيّـــة الاستخدام.

- **تحسين عمليّة التّعليم:**

يساعد الاستخدام المناسب للتكنولوجيا في المدارس في تعزيز قدرات الطّفل المعرفية والاجتماعية، وتعتبر أجهزة الكمبيوتر أكثر الوسائل إقناعا للطفل، وذلك لما لها من رسومات وأصوات تجذب انتبـــاه الطـــفل[21]، كـــذلك اللّـــوحات الالكترونية (Tablet) أصبحت تستخدم في مدارس الدول المتقدمة وحتى منها مدارس الدّول السّائرة في طريق النّمو وهذا نظرا لسهولة استعمالها وخفة وزنها وكذا المزايا التي توفّرها، إذ أنّ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإدراك طريقة عمل الأشياء أصبح جزءا من المقرّرات الّتي يدرسونها.

وتوفّر كلا من البرامج التعليمية المثيرة للاهتمام ومواقع الانترنت المجانية فرصاً للأطفال لاستكشاف العالم وخلق أعمال فنية وأدبية[22]، وكلما ازدادت مشاركة الأطفال في أنشطة على الإنترنت، تعزز إلمامهم الرقمي واكتسبوا مهارات وقدرة على التأقلم، وأصبحوا واثقين من أنفسهم وزاد فضولهم[23].

رغم هذا فإنّ استخدام الأجهزة والتّطبيقات التّكنولوجية في العملية التعليمية يحتاج إلى مزيد من التّجارب والأبحاث لاكتشاف فرص إضافية يمكن من خلالها تعزيز عملية تعليم الأطفال.

- **فعاليّـــة ألعـاب الفيديـو في تطوير المهارات والتّفكير النّقدي:**

اللّعب بالنّسبة للطّفل ليس لعبا إنّما هو عمل جدّي هام، لأنّه الميدان الوحيد الذي يعبّر فيه بحريّة ويتفاعل مع غيره من الأطفال، يتصرّف معهم مختبرا قوّته وقوّتهم، وغالبا ما يعتمد في كلّ مراحله على اللّعب كوسيلة للتّعلم حيث تعتبر كأفضل الطّرق التي يجرّب بها الحياة ويكتشف خبرات جديدة عن نفسه وغيره، ومن هنا يبدأ في تعديل سلوكه عن طريق المحاولة والخطأ،[24] وللأطفال في كل مجتمع مفردات لغوية متميّزة وعادات، قيم، معايير، وطرق خاصة في اللّعب.[25]

لكن ورغم التّميّز في المفردات والتّنوّع في العادات والقيم إلاّ أنّ الطّرق الخاصة في اللّعب شهدت عدّت تغيّرات لتصبح طرقا موحّدة لحد كبير والسّبب راجع – بطبيعة الحال- إلى التّكنولوجيات الرّقمية وبالأخص ألعاب الفيديو التّي عرفت شيوعا كبيرا ومتناميا بين الأطفال منذ تسعينيات القرن الماضي.

لا غرابة إذا ما قلنا بأنّ ترفيه الطّفل باستخدام ألعاب الفيديو ينجم عنه عدّت تأثيرات، من بينها تلك التّأثيرات الإيجابية الفعّالة، وهنا نرصد الآتي:

1) **تطوير المهارات:**

بعض ألعاب الفيديو قد تكون غير صحيّة، لكنّ الكثير منها تكون مفيدة للأطفال، فبالإضافة إلى تطوير مهاراتهم الحركية، فإنها تساعد على تنمية مهارات التنسيق بين العين واليدين، كما تساعد ألعاب الفيديو التفاعلية على تشجيع الأطفال على التعاون والتناوب في استخدام الأشياء.[26]

وعليه، فالسبب الرئيسي لشغف الأطفال بالتكنولوجيا أنّهم يجدون متعة في العديد من أشكال الترفيه التي تقدمها لهم، سواء عن طريق أجهزة أي بود(IPOD) أو مشغلات الموسيقى وألعاب الفيديو وألعاب الهاتف الذكي وألعاب الإنترنت.

وربما إذا تعود الأطفال على الاعتدال في استخدام هذه الأجهزة، فإنها قد توفّر مجموعة متنوعة من وسائل التّرفيه المفيد لهم.

2) **تشجيع التّفكيـر النّقدي:**

وصل الباحث **كافري سابرامانيام** [27] (Kaveri Subrahmanyam) في دراسته إلى أنّ وجود الألعاب التّفاعلية يشجّع على التّفكير الاستراتيجي والتّفكير النّقدي، مما يساعد في نموّ الأطفال فكريا، حيث يمكن لهذه الأنواع من التّفكير أن تكون السبب في تقديم الأطفال لأفكار جديدة وإبداعية.

يحتاج الطّفل للتّعامل مع هذه الألعاب استخدام التّفكير المنطقي والذّاكرة وطرق حل المشكلات، ومهارات التّفكير التّصوري النّقدي وحب الاكتشاف، كذلك فالطّفل المستخدم يُشترط فيه القدرة على استيعاب اللّعبة كنظام معقّد.

إذا ما علمنا أنّ التّفكير في اللّغة [28] هو التأمل والتّبصّر في الشّيء وكذا إعمال العقل في أمرٍ لحلّه وإدراكه، فإن تبصّر الأطفال في تلك الألعاب وإعمال العقل فيها بغية الوصول للحلول سيساهم لا محالة في النّمو فكريا وإبداعيا من خلال التّعود على استخدام المنطق وتقوية الذّاكرة وابتكار طـــرق جديدة لحل المشكلات ومنهُ الوصول للتّفكير النّقدي التّصوري.

2.3 المظاهر السّلبية المحتملة لاستخدام التّكنولوجيا من طرف الأطفال

إنّنا لا نتجاوز الحقيقة إذا أدلينا بالقول أنّ لكل شيء في الوجود مظاهر سلبيّة، وتكنولوجيا المعلومات لا تخرج عن هذه الحقيقة خاصة عند استخدمها من طرف الأطفال، حيث أنّ لها عدّت آثار

سلبية على حياته الصّحية، النّفسية والاجتماعية، من قبيل انعكاسها السلبي على أكثر شيء نحبه وهو التّواصل مع الآخرين الذي إذا توفّر من شأنه أن يزيد شعور الطفل بالأمن والثّقة.

إنّ الاستخدام المفرط! للتكنولوجيا من طرف أطفالنا لا يؤثر فقط على نموّه الجسدي الطّبيعي فحسب بل يتعدّاه إلى التّأثير سلبا على صحّته النّفسية والسلوكية، فالشّعور بالقلق تجاه آثار هذه التّكنولوجيات الحديثة في تزايد مستمر، لا سيما حيال إخلاله بالنّظام الاجتماعي والتّواصل وحتى الهويّة والانتماء، فلا غرابة أنّ الطّفل الذي يحمل جهاز الهاتف الذّكي البعيد كل البُعد عن الرّقابة يمكنه الوصول، قراءة ومشاهدة كل ما تطأ عليه عيناه من محتوى معرّضا نفسه إلى أفكار غريبة ومواقف جديدة وكذا آراء غير متعوّد عليها، إضافة إلى ضياع أوقاته في مواقع التّواصل الاجتماعي وفي محادثات لا طائل منها.

ومن أهمّ تلك التّداعيات سّلبيّة للتكنولوجيا على الطفل نذكر الآتي:

- **تحيّيد وتحيّز القيم:**

يقصد بتحييد القيم إبعادها كعوامل مؤثّرة، ويتمثل ذلك في تغييب القيم من المحتويات وبخاصة التّرفيهية، وعملية استثناء القيم من المحتويات تكون دائرية فوسائل التكنولوجيا والاتصال تعرض ما يرغب به الجمهور، والجمهور يرتبط بالوسائل التي تحقق له رغباته، وقد أدى ذلك لانتشار العنف والجنس وغيرهما في الأفلام والبرامج والألعاب ذات الطبيعة التجارية خاصة.[29]

أمّا التّحيز فإنه ناجم عن الفجوة الرّقمية بين العالم الغربي وعالمنا، حيث أنّ تقدّمهم هو الذي مكّنهم من توجيه تكنولوجيا المعلومات بما يخدم مصالحهم التجارية والفكرية، وهنا نجد أنّ التّحيّز واضح وجلي في محتوى كل أنواع تلك التكنولوجيات خاصة المتعلّقة بالطفولة، وهي بلا ريب نقطة حساسة جدا تستهدف التّأثير على ثقافة أجيال المستقبل.

- **إضعاف النّسيج الاجتماعي للطفل:**

تعمل الوسائل التكنولوجية دون قصد على تقليل الزمن الاجتماعي بين الطفل وأسرته والمحيطين به، ويذهب الكثير من الباحثين للقول بأن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تساهم بشكل مباشر في تفكيك النّسيج الاجتماعي خاصة منه للطفل، فقد أصبح هذا الأخير يقضي معظم وقته في تلك التكنولوجيا على حساب التفاعل الاجتماعي المباشر.

وقد صاغت توجّها فرديّا للطفل فمن الهاتف العائلي إلى الشخصي ومن الحاسوب المكتبي العائلي إلى الحاسوب المحمول الفردي وغيره من الأجهزة التي

تزيد من فردانية الطّفل وتنقص من اجتماعيته.

- **الإدمان المفرط:**

هذه الظاهرة التي عرفت انتشارا واسعا في جميع أنحاء العالم، حيث يزداد الاستخدام المفرط للتكنولوجيا في كل من المنزل والمدرسة، ويلاحظ على الأطفال قضائهم وقتا أطول للتواصل مع غرباء عبر الانترنت.

ولقد أشارت الدراسات التي أجريت على كل من استخدام الكمبيوتر، وتنمية الطفل، والتعليم، وآثار وسائل الإعلام الأخرى، أشارت إلى أن استخدام أجهزة الكمبيوتر المفرط غير الخاضع للرقابة له أضراره الجسيمة، [30] فالتعامل مع الأجهزة والوسائل التكنولوجية لوقت طويل يؤثر سلبا على الطفل من عدّت جوانب.

- **الإدمان على الوسيلة:**

إنّ المتتبّع لشيوع هذه التّكنولوجيات بين أطفالنا يجد أنّ هنالك نوعا ما تعلّقا في الوسيلة وليس في المضمون، تعلّقا في الأداة وليس في ما ينتج عنها، تعلّقا في التّطبيق وليس فيما يؤدّيه.

ويكمن السّبب في هذه الحالة للمميّزات التي توجد في تلك الوسائل، الأدوات والتّطبيقات من ألوان جذّابة وأصوات رنّانة وكذا حوامل جميلة تنسيه الغرض الأهم التي جاءت من أجله.

- **اضطرابات في النّمو لدى الأطفال:**

يتعرّض الأطفال كل يوم لمشاهد عنيفة سواء من خلال التلفاز أو من خلال ألعاب الفيديو، حيث يزداد الاندرياليين والتّوتر في الارتفاع، وذلك لان عقولهم لا تدرك أن ما يشاهدوه ليس حقيقة، فالدّراسات تقول بأن الذين يفرطون في استخدام التكنولوجيا يعانون من 'اضطراب عام' وزيادة في التّنفس، وارتفاع معدل ضربات القلب، وحالة عامة من 'القلق وعدم الارتياح'.

وأفضل وصف لهذه الحالة هي أنها حالة من اليقظة المستمرة للنظام الحسي، حيث يظل الطفل في 'حالة تأهب' ضد أي اعتداء من قبل أحد شخصيات الفيلم أو اللّعبة.

ويمكن الإشارة هنا إلى أن عدّت تحاليل أجريت فيما يخص أثر التكنولوجيا على النّمو الطبيعي للطفل خلصت إلى انه كلّما زاد تحفيز نظم استقبال الحس واللّمس، كلما زادت الحمولة على الأنظمة الحسية السّمعية والبصرية، وينجم عن هذا الضغط الحسي إختلالات تعيق النّمو العصبي الشّامل.

- **الزّيادة في السمنة والكسل:**

طبقا للبرنامج البحثي الذي قام به مركز مكافحة الأمراض والوقاية[31](CDC) بأمريكا خلص إلى وجود 12% من الأطفال

الذين تتراوح أعمارهم بن 06 إلى 19 سنة يعانون من زيادة في الوزن أو السمنة، ويمكن تفسير تلك الزّيادة في الوزن إلى أنّ التعامل مع تكنولوجيا المعلومات نشاط يتطلب الجلوس مما يقلل من ممارسة الأطفال للأنشطة الحركية الأخرى.

بالنّسبة للكسل الذي يصيب الأطفال من جرّاء تعاملهم مع التّكنولوجيا فعلى الرّغم من سهولة استخدامها نجدها قد أدّت بالطفل إلى الاعتماد الكلي عليها، فتصفّح الانترنت وما تتميّز به من حلول سريعة لكافة الأسئلة قد غرس فيه عدم الاعتماد على النّفس وانتظار الأجوبة دون جهد يذكر.

وعليه، فقدْ فَقَدَ أطفالنا قيمة التّعلّم من الخطأ، وأصبحوا عكس الأجيال السابقة ينتظرون الاستجابة السريعة من مواقع التّصفح وحتى من معلّميهم وصولا إلى المحيطين بهم.

- **صعوبة التّركيز أثناء الدّراسة:**

يمكن لجيل المستقبل أن يقوم الآن بعدّة عمليات تكنولوجية في نفس الوقت كأن يرسل بريد إلكتروني وهو يلعب لعبة في الوقت الذي يشاهد فيه التلفاز ويتبادل المحادثات في الفايس بوك، لكن ورغم ذلك فقد أكّدت بعض البحوث بأنّ تأثير التكنولوجيا على التّركيز في الدّراسة له وجود في الواقع، وأصبح هنالك انتشار لظاهرة ما يسمّى بـ'شرود الذّهن'.

4. آليات تطوير ثقافة الطفل من خلال ثقافة تكنولوجية نوعية

المقصود بالعبارة هو محاولة الوصول بالطفل إلى كسب أساليب وآليات للتعامل المفيد، والاستغلال الأمثل، يكون من خلالها إيجابيا في تفكيره ذكيا في تعامله مع الأجهزة والتطبيقات التكنولوجية وهو ما يستوجب إكساب الطفل القدرة على التعلّم الذاتي مدى الحياة، والتعامل المباشر مع مصادر المعرفة التي توفّرها التكنولوجيات الحديثة دون وسيط بشري في هيئة مدرّسٍ أو كتاب مدرسيٍّ.

يمكن أن نذكر في هذا الصدد عدة نقاط يجب على الأسرة والمحيطين بالطفل مراعاتها حين تعامله مع الأجهزة والتطبيقات الحديثة:

- التوجيه السليم للأطفال في اختيار نوع البرامج التلفزيونية وتطبيقات الانترنت والتركيز على المحتوى الذي يساهم في تنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة، تُرسخ في أنفسهم قيم المجتمع الأخلاقية وحتّى الجمالية من خلال نوع النص ومدلولاته؛

- تشجيع الطفل للتّعرف على أفكار وثقافات الآخر، وتمكينه من الوصول لحدود وعوالم أخرى، مكتشفا بذلك كيف يفكر الآخر، محطّما مسلّمات نشأ عليها ومدركا في نفس الوقت لما هو عليه من خصوصيات وميول تجعله دون شك منفتحا ومتقبلا للآخرين على ما هم عليه من تمايز.

وليكون هذا 'التّعرف عن الآخر' إيجابي يجب أن نراقب الطفل وأن نكون على علم بنوع الأفكار وكذا درجة تأثره بها حتّى لا يفقد شخصيّته وينغمس في الآخر؛

- فسح المجال للطفل بأن يكون القائم بأعماله، المعتمدُ على نفسه في تعامله مع الأجهزة والتّطبيقات التكنولوجية من خلال تعليمه المبادئ الأساسية التي تكفل له فيما بعد إتقان تلك التّكنولوجيا التي سيشعر بعدها بأنّها تحت تصرّفه، ومنه يتملّكه الشّعور بالثّقة والتّمكين و الاستقلالية؛
- التّشجيع على استخدام التطبيقات المفيدة والألعاب الهادفة التي تساعد الطفل في تحسين مستوى نتائجه الدّراسية، وتزيد في دافعيّته للتّعلّم، وتنمي قدراتهم على التفكير الإبتكاري.

ويجب أن يراعى هنا جودة تلك التّطبيقات والبرامج؛

- الاستخدام الأمثل لتكنولوجيا التّعليم حيث أن هذا النّوع يشهد تطوّرات يومية متلاحقة وجب مواكبتها والاستفادة من مزاياها، لما تمنحه من تسهيلات في إيصال الأفكار وإعطاء التلاميذ قابلية أكبر للتعلّم؛
- مشاركة الطفل في اختيار نوع ألعاب الفيديو و التّركيز على الألعاب التّفاعلية التي تساهم في تطوير مهاراته الحركية والحسيّة وكذا التي تساعده على التّعاون والتّناوب في استخدام الأشياء؛
- **آخر النّقاط وأهم** ما يجب على الأسرة والمحيطين بالطفل مراعاته هو تحديد ساعات تعامل الطفل مع التكنولوجيا، لأنّ من أضر السمات التي يحتمل أن يكتسبها مع الوقت هي ما يسمى 'بالإدمان'، حيث أن هذا الأخير في حالة حدوثه مع الطّفل فسيكون كل ما ذكرناه آنفا من إيجابيات غير ذي جدوى، ولإدمان التكنولوجيا عدّت آثر سلبية على الطفل، أهمها:
  - فردانية الطفل ونقص اجتماعيته؛
  - اضطرابات في النّمو؛
  - صعوبة التركيز أثناء الدّراسة؛
  - الزّيادة في السّمنة والكسل.

إنّ مراقبة الطفل وتقليل –وليس عزل– ساعات تعامله مع الأجهزة والوسائل التّكنولوجية يمنع إصابته وتأثّره بتلك السّلبيات.

صفاوة القول من كل هذا أنّ إكْساب الطفل لثقافة تكنولوجية إيجابية يشترط فيها وجود ثقافة تكنولوجية 'راشدة' و واعية من طرف الأسرة والمحيطين بالطفل، فما عليهم لإدراك ذلك إلا القيام بتطوير معارفهم التكنولوجية وزيادة الألفة بينهم وبين هذه الأخيرة.

على الأسرة والمحيطين بالطفل المساعدة في توضيح الفرق بين العالم الافتراضي والواقعي الذي يحياه الأطفال، وكذا مصاحبتهم أثناء الاستخدام وتحديد تلك الأوقات مع جعل نشاطاتهم وتعاملاتهم في عالم التكنولوجيا محل نقاش وتبادل للأفكار، هذا كله دون الإغفال عن وضع برامج الحماية.

خاتمة

في عصرنا الحديث، لا يمكننا بحال من الأحوال فصل ثقافة الطفل عن ثقافة التكنولوجيا فأمر التّداخل والارتباط لابد منه، لذا وجب على المجتمع عامة والأسرة بالخصوص إدراك أهمية هذه التكنولوجيات والنّظر إليها من منطلق إيجابي ينمّ عن الوعي بما يمكن لها أن تقدّمه لأطفالنا، لكن دون إغفال ما هو سلبي، فلا إفراط في تعامل الطفل مع التكنولوجيا ولا تفريط بعزله عنها.

من هذا كلّه وكثير سواه، نؤكد على ضرورة توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بكل أنواعها واستخداماتها في سبيل تحقيق التّنشئة الاجتماعية وتنميّة القدرات الإبداعية والابتكارية والمستوى العلمي للطفل، وهذا من باب الاستثمار في مرحلة طفولته التي يتميّز فيها الطفل بالرّغبة في البحث والسؤال والاستفسار لاستكشاف البيئة المحيطة وما يجري في العوالم الأخرى.

الهوامش :

1. أحمد، شوقي. العلم .. ثقافة المستقبل. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001. ص.228.
2. Jean Ducharme. "Le développement stratégique de l'entreprise : une approche humaniste". Changement technologique et gestion des ressources humaines : fondement et pratique. Montréal : Gaetan Morin ed., 1995. p.86.
3. Information Technology Making a Difference in Children's Lives: An Issue Brief for Leaders for Children. Digital Opportunity for Youth Issue Brief

Number 4: April 2008. p01 (www.childrensPartnership.org)

4. Jeanne Brooks,Gunn. Elisabeth Hirschhorn ,Donahue. Introducing the Issue Children and Electronic Media. VOLUME 18 NUMBER 1 SPRING 2008 p. 03

5. التقرير السنوي للممثلة الخاصة للأمين العام المعنية بمسألة العنف ضد الأطفال (الدورة الثامنة والعشرون). الجمعية العامة للأمم المتّحدة: مجلس حقوق الإنسان، 2014. ص. 11

6. محمد إبراهيم، حور. الطّفل والتّراث. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 1993. ص 182

7. أنظر في: (أساس البلاغة للزّمخشري، مادة الطفل) و(لسان العرب لابن منظور، مادة الطّفل) و(علم نفس النمو، حامد زهوان ص.99)

8. ألفت، حقي. سيكولوجية الطّفل: علم نفس الطفولة. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1996. ص. 111

9. هادي نعمان، الهيتي. ثقافة الأطفال. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988. ص. 24

10. جبران خليل، ناصر. الطفل وثقافة المستقبل. مجلة الحضارة الإسلامية. ع. 15 وهران: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية. 2011 ص. 328

11. يشير الكاتب هادي نعمان الهيتي في كتابه "ثقافة الأطفال" بأنّ عملية امتصاص الأطفال للثقافة اتخذت تسميات عديدة إذ نجد مصطلحات مثل التعلم والتربية والتنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية والتّثقّف وغيرها الكثير، والذين يتحدّثون عن هذه المفاهيم يختتمون أحاديثهم، في العادة بالقول "إنّنا نريد أن نرى جيلا مثقّفا"، لذا يبدو ان تكوين ثقافة للأطفال هدفا، وأن هذه العمليات هي أساليب نقل وتكوين لهذه الثّقافة.

12. خليل، صابات. وسائل الإعلام: نشأتها وتطوّرها. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1972. ص. 169

13. Cris, Rowan. A research review regarding the impact of technology on child development, behavior, and academic performance. P.01 (http://www.zonein.ca) وانظر أيضا: The Impact of Technology on Child Sensory and Motor Development p. 01 وأنظر أيضا:The Impact of Technology on the Developing Child

http://www.huffingtonpost.com/cris-rowan/technology-children-negative-impact_b_3343245.html

شوهد يوم: 17 أكتوبر 2015

14. الإحصاءات أعلاه تقريبية وليست دقيقة ولا تعتبر مقياسا لكل دول العالم بل تتباين النّسب من قارة لأخرى ومن دولة لأخرى، بناءا على مدى توفّر وشيوع تكنولوجيا المعلومات في تلك الدّول.

15. من موقع قناة BBC ARABIC، بعنوان: هل تدعم التكنولوجيا عملية تعلم الطفل أم تعيقها؟. تاريخ النّشر 21 أفريل 2013 http://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2013/04/130421_technology_learning شوهد يوم: 08 أكتوبر 2015

16. سامية، خبيزي. وسائل الإعلام وتأثيرها على ثقافة وقيم المجتمع. مجلّة الحوار الثّقافي. مستغانم [الجزائر] : جامعة عبد الحميد بن باديس، 2014. ص. 267

17. عصام بن يحي، الفيلالي. نفسه. ص. 26، 27

18. سالم بن عبد الله، النابعي. واقع استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعوائق الاستخدام لدي عيّنة من معلمي ومعلمات مدارس المنطقة الداخلية بسلطنة عمان. مجلة العلوم التّربوية والنّفسية. ع. 03 البحرين: كلية التربية. 2010. ص. 44

19. Subrahmanyam, K. (and others). The impact of computer use on children's and adolescents' development. Applied Developmental Psychology. USA: Elsevier Science. 2001 Vol. 22, p. 15-16.
Link :
http://www.cdmc.ucla.edu/Published_Research_files/spkg-2001.pdf

20. Matthias, Rauterberg. POSITIVE EFFECTS OF ENTERTAINMENT TECHNOLOGY ON HUMAN BEHAVIOUR. Buildingthe Information Society. Netherlands : IFIP, Kluwer Academic Press, 2004, p. 51-58
Link:
http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.108.5480&rep=rep1&type=pdf
شوهد يوم: 22 أكتوبر 2015

21. عصام بن يحي، الفيلالي. أثر معطيات ومظاهر مجتمع المعرفة على الطفل: صحياً واجتماعياً ونفسياً. نحو مجتمع المعرفة. ع44. الرياض: مركز الدراسات الإستراتيجية، 2012 ص. 22

22. عصام بن يحي، الفيلالي. نفسه. ص. 22

23. التقرير السنوي للممثلة الخاصة للأمين العام المعنية بمسألة العنف ضد الأطفال (الدورة الثامنة والعشرون) الجمعية العامة للأمم المتّحدة: المرجع السابق. البند الرّابع. ص. 13

24. نادية، يوسف. دفاع عن طفل آخِر زمن. [د-م]، 1988. ص. 26

25. هادي نعمان، الهيتي. المرجع السّابق. ص. 29

26. عصام بن يحي، الفيلالي. المرجع السابق. ص.27

27. Subrahmanyam, K. (and others). The impact of computer use on children's and adolescents' development. Applied Developmental Psychology. USA: Elsevier Science. 2001 Vol. 22, p. 15-16.
Link :
http://www.cdmc.ucla.edu/Published_Research_files/spkg-2001.pdf

28. معجم المعاني على الخط. عربي-عربي. كلمة التّفكير يوم 23 أكتوبر 2015 رابط:
http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D8%B1/home.php?word=%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D8%AA&lang_name=ar-ar&type_word=0&dspl=0

29. سامية، خبيزي. المرجع السابق. ص 267

30. عصام بن يحي، الفيلالي. المرجع السابق. ص 32

31. James C. Herse. Amy Jordan. Reducing Children's TV Time to Reduce the Risk of Childhood Overweight: The Children's Media Use Study. USA: Centers for Disease Control and Prevention. 2007.
Link :
http://www.rocklandsteps.org/files/TV_Time_Highligts%5B1%5D.pdf

النظام القضائي العثماني في الجزائر
(1771-1870م)

سني علية

سنة ثانية ماستر تخصص تاريخ المقاومة
و الحركة الوطنية الجزائرية

ملخص:

إن دخول الجزائر تحت لواء الحكم العثماني، دفع بحكامها العثمانيين إلى المسارعة بإنشاء عدة مؤسسات مختلفة شبيهة بمؤسسات الدولة العثمانية، ولعل أبرز هاته المؤسسات هي مؤسسة القضاء،التي يعتمد نظامها على تعاليم الشريعة الاسلامية.

ولعل ماميز القضاء العثماني في الجزائر هو وجود هيئات قضائية خاصة بحسب الجرائم المعروضة الى جانب المصادر القانونية المتبعة وعلى رأسها كما اشرنا سابقا الشريعة الاسلامية، ولا ننسى أيضا ان الهيئات القضائية العثمانية تنوعت بتنوع فئات المجتمع من مسلمين وأهل الذمة.

اعتمدنا في انجازنا لهذا المقال على المنهج التاريخي الوصفي الملائم لطبيعة الأحداث والذي مكننا من تتبع التطورات التاريخية التي مرت بها السياسة القضائية العثمانية في الجزائر، واستعنا بالمنهج التحليلي الذي يعتمد على عرض وتتبع الأحداث وتحليلها تحليل موضوعي قصد الوصول لمعرفة أسباب هذه السياسة القضائية.

مقدمة:

شهدت الجزائر في العهد العثماني مزيج اجتماعي متباين تمثل في اختلاف الديانات،واختلافاللغات واختلاف الشعوب ، ولكن هذا لم يمنع من اتحاد هاته المجتمعات والتحامها بمختلف شرائحها لتشكيل جماعات تتعاون فيما بينها خاضعة لنظام واحد، برغم الاختلاف المذهبي.

إذ أن النظام القضائي في الجزائر أثناء هاته الفترة كان نظاما بسيطا يتناسب مع وضعية هذا المجتمع.

وانطلاقا مما سبق نطرح التساؤولات الاتية:

- كيف كان القضاء العثماني في الجزائر؟

وماهي الهيئات التي مثلته ؟

طبيعة القضاء العثماني في الجزائر

أ/القضاء في المدينة:

كل من المدينة والقبائل الخارجة لها نظام قضائي يختلف عن الأخرى. كما أن المناطق التي تجاوزت نظام القبيلة (ها هي الأخرى قضاؤها الخاص بها). وهناك من سار على المذهب المالكي وهناك من اتبع المذهب الحنفي فبهذا تنوعت المحاكم باختلاف التركيبة المذهبية للمجتمع الجزائري في أواخر العهد العثماني.

فقضاء المدينة تمثله المحكمة الحنفية والمالكية والمجلس الشريف، إضافة إلى حكامها وهذا عندما يتعلق بالمسلمين ،م أما فيما يتعلق الأمر بأهل الذمة فلهم محاكم خاصة بهم، أما المناطق الممتعة عن سلطة الأتراك العثمانيين فمثله شيوخها ومرابطيها والطرق الصوفية.

إن الاحكام في المدينة تصدر من طرف قاضي الفرد يتم تعيين هذا الاخير في منصبه من طرف الداي، ويتم اختيارها من بين علماء الاسلام على أساس علمه وتحليه بنزاهة في الحكم.

وهو صاحب ولاية واسعة إذ أن باستطاعته البث في جميع القضايا فلم تكن له قيود بمحل إقامة الاطراف المتخاصمين ولا بمواطنهم ولا بموقع الاموال المتنازع فيها، أي آنه لم يكن هناك اختصاص نوعي ولا محلي بل كان يخضع لقاعدتين[1] :

أولهما:

قاعدة الاختصاص الشخصي ومعناها أن كل محكمة تطبق القانون حسب الفئة أو الرعايا وذلك لتتماشي مع شريعتهم، وهذا انتج عنه محاكم خاصة بالمسلمين من المذهب الحنفي وأخرى خاصة بالمسلمين من المذهب المالكي، ومحاكم خاصة بالأسرى المسيحيين أو رعايا من دول أجنبية مقيمين بأرض الإيالة وهي محاكم القنصليات، ورابع هذه المحاكم (هي محاكم الأخبار) الخاصة باليهود.

ثانيهما:

قاعدة الاختصاص المادي ومفادها أن المحاكم الإسلامية تتفرع إلى فرعين حسب الدعوى، فالقضايا المدنية تتولاها المحاكم الحنفية والمالكية فقضايا البيع والشراء، والايجار والرهن والزواج والمواريث[2]، اما فيما يخص القضايا الغير مدينة والسياسية تحال إلى الداي أو الباي[3].وبالنسبة للقضايا التي تخص الجانب العسكري فالآغا هو الوحيد المخول الحكم فيها[4].

كان الإجراء القضائي يجري سماعيا وحضوريا وكان في غاية السباطة: حيث اذ الدليل يقدم بحضور الشهود وليس كتابيا. وإن أحالا سبب على ذلك يكفي القسم على أحد أضرحة الأولياء وإذ ما يتم النطق بالحكم حتى يتم تنفيذه على الفور.

وبالنسبة لتعيين القضاة يتم عن طريق البايات مرهونا بانتمائهم إلى هيئة علماء المسلمين واختصاصهم الذي شهد عليه رجال القضاة الآخرين[5].

وكان القاضي يتمتع في مجال الأحوال المدينة باختصاص واسع. وذلك لأنه مخول له تطبيق القانون الاسلامي (الشريعة) باعتباره قاضيا ويجوز للقاضي

إلغاء، حكم أصدره قاضي آخر علم وتبين له أنه هناك خطأ.

كما يوجد إلى جانب القاضي هيئة تسمى (الفرد) وهو مجلس يقدم استشارات للقضايا القانونية عبر الفتاوى ويتكون هذا المجلس من مفتيين (مالكي وحنفي)

توجد هذه المجالس في مدينة الجزائر وفي كل مدينة يتواجد بها بايلك[6]. كان بإمكان القاضي النطق بحكم الاعدام ويكون العقاب بقطع الرأس ويختلف العقاب من مسلم ومسيحي.

فاليهودي والمسيحي والمسلم كل منهم يعاقب بطريقة تختلف فيما بينها حتى ولوكان الجرم يتشابه[7].

وكانت عمليات الإعدام تجري عادة بالشنق في باب عزون وإما بقطع الرأس ولكن نتيجة لسوء التنفيذ أدخلت المقصلة إلى الجزائر في عام 1840[8].

ب/القضاء في الريف

اختلف النظام القضائي في الريف عن المدينة وذلك أواخر العهد العثماني. خاصة في منطقة القبائل ووادي ميزاب وذلك الاختلاف تجسد في أن صاحب القضية وصاحب يرفع شكواه أمام جماعة من الشيوخ، ومرافعته تتم غالبا بدار الحكم أو بالساحة العمومية، كما أن الإجراءات تختلف اختلافا تاما عما يحدث في المدينة، فالإثبات كان يعتمد على شهادة الشهود. وعلى القسم وتحليف الأقارب والأصدقاء للمتخاصمين، إضافة إلى يمين الطرفين المتخاصمين في حد ذاته.

ويكون تنفيذ الحكم من اختصاص الجماعة، وبالنسبة لوادي ميزاب فالقاضي يتولى الحكم رجوعا للمذهب الاباضي، القاضي وشيخ الجامع وإثنان آخران أو أربعة[9].

حيث أن في بلاد البربر أو منطقة القبائل لا وجود لعدالة مدينة وإنما نظام عدالة خاصة قائم أشكال التحكيم الصادرة من إما المرابطين وإما الجيران وإما جمعيات الأعيان (الجماعة) وإما الأسر المتناثرة ، وكانت تقاليد الجماعة تفرض نوع العقوبة[10].

وبالنسبة للقضايا الإجرامي فكان يساعد فيها المشايخ وذلك بخضوعها للحكام والقياد ولم يحكم بالإعدام فيها بل بغرامة مالية والقرع بالعصي[11].

أنواع الهيئات القضائية العثمانية بالجزائر

أ/القضاء في المدينة:

- **المحكمة المالكية والحنفية:**

كانت السلطة القضائية في الجزائر أثناء الفترة العثمانية مكونة من محكمتين يشرف عليها قاضيان ومفتيان يتبعان المذهب المالكي، وبالنسبة للأتراك فعلي المذهب الحنفي، وهذه السلطة تقوم بمعالجة القضايا الإجرامية والمدنية

والتأديبية والحكومية. ويطلق عليها المجلس الشريف.

وبالنسبة القضايا الجيش الانكشاري فتعالج قضاياه في محكمة رئيسية وهذا لأنهم لا يحاكمون عن طريق القوانين المدينة، ولا أمام أنظار الشعب[12].

وبهذا فإن مدينة الجزائر كان يوجد فيها مفتيان أحدهما مفتى الديار، يتم تعيينه من طرف سلطان القسطنطينية وكان يتمتع بسلطة واسعة، كما أن كل مذهب من المذاهب له قاض خاص به مهمته تطبيق القوانين والاجتهاد في القضاء، ولكون هذا القاضي مخولا لتطبيق القانون الإسلامي(الشريعة) فهو يمتاز في مجال الاحوال المدنية باختصاص واسع وذلك باعتباره قاضيا وحكما وموثقا وناصر للمستضعفين.

كما أنه كان يجلس منفردا في المحكمة إلا أنه كان يستعين بشاهدين لضمان صحة الإجراءات وتنفيذها، وكاتب ضبط ومحضرين مهمتهم ضبط الأمن وسير الجلسات[13].

وتتلخص مهام قضاة المحكمتين في إبرام العقود على اختلافها والنظر في المعاملات والدعاوى التي لها علاقة بالزواج والطلاق ، قضايا الميراث والاحوال الشخصية، الوقف والهبة والصلح والبيع، بالإضافة أنه كان وصيا على القصر وكاتب بالعدل وموثق ونقصد هنا كلا القاضيين من المذهبين[14].

- **المجلس العلمي الشريف:**

هو مجلس يتكون من قاضيين ومفتيين وكاتبين برتبة باش عدل وأيضا يحضر الباشا بنفسه لهاته الجلسات.

وهو أيضا مجلس الشرعي أو العلمي.

في هذا الاخير يفصل في أكبر القضايا، وتعتب فيه أحكام القضاة ويسمح فيه إلى المتظلمين من الحكام والولاة أو غير هم من أصحاب السلطة القانونية والشرعية فيضفهم المجلس، وكان يملك صلاحيات في تعيين ناضر الأوقاف وناضر المعارف وهو المسؤول عن التعليم، ويتعقد هذا المجلس في – الجامع الكبير – وهو مركزه الدائم بالعاصمة كل يوم خميس، ويدقق أعضاءه في الطعون المقدمة[15].

وفي حالة ما إذا كانا أصحاب الخصومة من غير دين الاسلام فإن القضاة يخرجون إلى صحن الجامع أي ساحة الجامع لنظر في القضية[16].

مهام هذا المجلس تتمثل في النظر في الطعون المقدمة بشأن أحكام قضاة الافاق، وأيضا ينظر في أصعب المشاكل والمنازعات. وترفع له قضايا تخص الميراث ويتولى أيضا الفصل في القضايا التي اختلفت فيها الهيئات حكومية

وموظفي الدولة من جهة وبين أفراد الرعية من جهة ثانية[17].

وتعتبر من أخطر القضايا التي يفصل فيها المجلس العلمي هي القضايا التي ترفع ضد باشا الإيالة شخصيا.

إضافة أنه يفصل في قضايا التي تدور أحداثها بين أهل الذمة والمسلمين[18].

- **قضاء الداي:**

كانت السلطة السياسية والقضائية في الجزائر تنبع من الداي، إذ أن مهامه تنوعت ولم تقتصر على جانب واحد فلقد تعددت سلطاته واختصاصاته فكان تعيين القضاة مصدره الداي في حد ذاته . وذلك نسبة لانتماء العالم المذهبين وتفقه في علوم الدين.

وفيما له علاقة بالقضايا الخطيرة كان الداي بنفسه يفصل فيها، أما بالنسبة للقضايا البسيطة فيوكل عنه من يصر الحكم فيها وذلك للقيادة والشيوخ[19].

ما تميز به الداي هو السرعة في الفصل في النزاعات، ذلك لأن الحكم يصدر بدون أن يكون تحقيق قد سبق الدعوى، والتنفيذ يكون مباشرة، ولم يكن هناك محام يمثل الطرفان أمام العاهل أي يمثلان نفسهما بنفسهما[20].

ومثال ذلك تأمر الخوجات على حسين باشا ليلة عبد الاضحى واستدعائه لشخص المدعو مصطفي خوجة وقام بقتلة على الفور[21].

- **قضاء الباي:**

تنوع الجهاز الإداري والقضائي في الجزائر أثناء وجود الإدارة العثمانية، حيث حكم وأشرف البايات على البايلكات الثلاث وذلك نيابة عن الرئيس ألا وهو الداي.

ويعد الباي من كبار الدولة، ووجب عليه الالتزام بدفع رسوم مرتفعة وتقديم هدايا قيمة في هذا المنصب، وكان البايات يتصرفون بحرية بعيد، عن المراقبة بشرط إظهار الولاء للسلطة المركزية وإرسال الضرائب السنوية مع نائبه بدون التأخير في دفعها[22].

كما يتولى الفصل في جميع القضايا ويتولى إصدام الحكم بنفسه ولديه نفس عدد الرجال لدى الداي وعددهم حوالي 11 شاوشا[23].

وتميز قضاءه بالسرعة في التدقيق في القضية وإصدار الأحكام، وانفراده في إصدار الحكم بدون للرجوع إلى القضاء وأهل العلم بالأحكام الشرعية[24].

ولعل من القضايا التي حكم فيها الباي هي قضايا القتل أيضا ومثال ذلك قدوم إحدى عائلات الضحية للباي تشتكي من المجرم، مستدعيا الباي المجرم ومخيرا

عائلة إما قتل المعتدي أو تعويضهم ماليا[25].

- **قضاء الديوان والأغا:**

تلمس تطور الجهاز الإداري الجزائري خلال الحكم التركي بها من خلال إحداثهم لديوان حيث يقوم هذا الأخير باختيار الداي ومساعدته في أداء واجبه ومهامه، ويتكون الديوان من 35 عضوا.

يجتمعون لدراسة المسائل يوميا ما عدا يوم السبت فيكون مخصصا لمعالجة المسائل ذات الأهمية الكبرى[26].

ويجمع منصب الآغا بين الوظائف الإدارية والعسكرية ويتصل بشكل مباشر بالداي الذي يقر عليه الأمن والعفو وتدخل لغرض العقوبات على جنود الانكشارية، ويقوم بمساعدته كاخيا* في تعيين قياد القبائل والاوطان والعشور كما أنه فصل في الجرائم المرتكبة من طرف أعضاء فرق الانكشارية ويجب عليه أن يكون ملما بالغة العربية والعثمانية ومن صلاحياته التكفل بأوطان مختلف البايات[27].

- **قضاء المسيحيين:**

ما يميز القضاء الجزائري هو استقلال كل طائفة أو مذهب بمحاكمها الخاصة بها.

ففرضت عليهم الجزية مقابل توفير الأمان لهم، كما لم يجدوا إشكالا في ممارسة حريتهم الدينية[28].

وهم عناصر أجنبية تتمثل في التجار الاجانب والقناصل ورجال الدين اضافة للأسرى المسيحيين وهو الاغلبية وقدومهم كان لأسباب سياسي واقتصادية، وفي مشاكلهم أو خصوماتهم يعودون إلى قناصلهم التي يتواجد بها محاكمهم ويضح ذلك لنا من خلال المعاهدات التي أبرمت بين الدول والحكومة الجزائرية ومثال ذلك:

المعاهدة الجزائرية البريطانية سنة 1662م تنص في حالة ما حدث نزاع فستفصل فيه القنصلية البريطانية[29].

إلا أن الامتيازات التي سمحت للقناصل باستقلال المحاكم أترت سلبا على السيادة الجزائرية وأعطت الفرصة في التدخل في شؤون الإيالة[30].

- **قضاء اليهود:**

هم من الطوائف التي عاشت بالجزائر، وكان توزيعهم الجغرافي متباينا، يلبسون لباسا خاص بهم. ويتقلدون وظائف صغيرة إلا أنهم تسلقوا درجات قريبة من الحكام والمتصرفين وكان من أشهرهم عائلة بكري وبوشناق[31].

فيما يخص قضاء اليهود فإنهم يلجؤن لنظامهم القضائي لحل النزاعات وقضائها، وفي حالة ما تعلق النزاع خارج محيطهم العرقي فهم يخضعون لقضاء

المدعي أو المدعي عليه [32] وهذا ما أدى لانعزالهم أكثر وعدم اتصالهم بالأهالي.

تميز العقاب لليهود الذين يمسون أمن الدولة أو إلحاق الضرر بمسلم بعقاب قاس ومثال ذلك اليهودي الذي كان يستضيف مسلم ويشرب الخمر في بيته فكشفاه رجلان وأخذا بالصراخ فكان عقاب اليهودي الإعدام حرقا أمام الناس[33].

وفيما يتعلق بالنظام القضائي اليهودي فقد اتفق المؤرخين الذين درسوا تاريخ اليهود في الجزائر خلال العهد العثماني، على تعفنه وذلك بسبب الرشوة، مما أدى إلى عدم اليهود فيه ولجوئهم للمحاكم الاسلامية لتفصل في الخصومات.

ب/القضاء في الريف:

اعتمد القضاء في الريف على الشيوخ والمرابطين وتستمد الإجراءات القانونية السارية في الريف من نصوص القرآن الكريم إذ لا يمكن فصل الدين عن نظام القضاء[34]. وما يساعدهم في حل منازعاتهم وجود هيئات قضائية، ويجدر الذكر هنا أنها تختلف عن الهيئات المتواجدة بالمدينة ونخص بذلك منازعات للبيع والشراء والمسائل الشرعية وتختلف الهيئات من منطقة لأخرى ففي بعض المناطق من يتولون مهام القضاء هم المرابطين وفي مناطق أخرى شيوخها، وإما تابعي الطرق الصوفية.[35]

ومن هاته الهيئات لدينا:

المرابطون:

ويعني بلفظ المرابط الفرد التقي وهو الذي يرابط في الصوامع المحضة (الرباط) وارتبط بالأولياء الحي منهم أو الميت وبأضرحتهم كذلك[36]. وإن اسم مرابط مشتق من كلمة ربط العربية، ومعناها الالتزام أي أن المرابط يعاهد الله أن يتصرف بحيز، فحتى بعد موتهم يبقي هؤلاء محل توقير[37].

ويعتبر المرابطون طائفة دينية امتلك رجالها سلطة روحية بين الناس لاستهتارهم بالكرامات.

وتطور مفهوم المرابط مع الوقت وازداد عددهم وانتشروا خاصة في الارياف وكانوا المرابطون بمثابة القضاة الشرعيين والجنائيين في آن واحد كما استغلوا وجودهم في هاته البيئة المنعزلة واستغلوا سلطتهم وتشبث الشعب بهم[38].

- **الطرق الصوفية:**

صاحب البناء السياسي للجزائر الميل الشديد إلى الدين والحياة الصوفية ، وذلك بحكم أن الخلافة العثمانية بنيت على أساس التصوف والطرقية.

فلقد لاقت فئة المتصوفين دعما من الاتراك العثمانيين، ويجدر بنا الاشارة أن الحركة الصوفية وجدت قبل التواجد العثماني بالجزائر[39].

وكان المتصوفون قد نظموا معابد ومدارس لممارسة شعائرهم القائمة على النوافل[40].

وتمتعت الطرق الصوفية بنفوذ وسلطة وذلك عبر إحاطة تقسها بالعديد من القبائل، بسبب شجاعتهم في حماية أراضيهم وهذا ما كان السبب الرئيسي في التفاف الشعب حولهم[41].

وهكذا كسبت نفوذ في الريف الجزائري ومارست شعائرهم ونتيجة لذلك كانت قلة الوعي في أوساط الريف الجزائري، ولعبت هاته الطرق الصوفية أدوار سواء في الحياة السياسية والدينية والثقافية وبشكل خاص في الحياة الاجتماعية[42].

- **قضاء الشيوخ والجماعة:**

تميزت المناطق الريفية بكونها مناطق جبلية واسعة يصعب اختراقها وتميزت بكثرة سكانها هذا ما كان سببا في ابتغاء السلطات العثمانية عنها. فلهذا تولى شيوخ القبائل والجماعات حكمها معتمدين في سلطتهم على الاحترام والوقار.

ويتكون المجلس من كبار السن وكان خاضعا لدشرة الواحدة في حالة كان موسعا فيشمل العرش كله أو مجموعة من الاعراش فيمثل واحد عرشه أو عشيرته .متفقين على مواثيق وضوابط وعادات تستمد من أحكام الشريعة الاسلامية وتتمثل هاته المواثيق في بيئتهم على مواثيق الزواج والطلاق، والارث والسرقة والضرب والقتل وإشعار السلاح وتحديد الدية وكيفية المساهمة في دفعها.

مارسوا هؤلاء القضاء عن طريق الاجتماع بشكل دوري في الاسواق الأسبوعية متفاوضين حول القضايا العامة والمشاكل الواقعة بين الاعراش، يستمدون شرعية حكمهم من التعقل والحكمة والسلوك الديني والدنيوي الحسن.

أما الامور الخاصة فيعالجها القضاء وطلبة القرآن[43].

واتسع هذا النوع من القضاء أواخر العهد العثماني.

ومما سبق نجد أن التنظيم القضائي بنيت أساساته على مبادئ الشريعة الاسلامية وأيضا نلاحظ أن القضاء في أواخر العهد التركي في الجزائر اختلف اختلافا واضحا بين ما كان عليه في المدينة وما هو عليه في الريف.

الهوامش :

1. الغوثي بن ملحة، القانون القضائي الجزائري، ط2، الديوان الوطني للأشغال التربوية، الجزائر، 2000، ص25.
2. الامير بوغدادة، مذكرة سابقة، ص 83.
3. محمد العربي زبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1985، ص64.
4. وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 107.
5. شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاحتلال (1877-1871م)، ج1، ط1، دار الأمة للطباعة، الجزائر، 2008، ص ص 12،13 .
6. شارل روبير آجيرون، مرجع سابق، ص 12.
7. نسيمة زوزو، القضاء الفرنسي في الجزائر1830-1914م، مذكرة ماستر تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم تاريخ، اشراف: رضا حوحو، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-قطب شتمة- بسكرة، 2014-2015م، ص 15.
8. مؤيد محمود محمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-183، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد 16، تكريت، العراق2013، ص 45.
9. مؤيد محمود المشهداني، مقال سابق، ص 45.
10. نسيمة زوزو، مذكرة سابقة، ص 17.
11. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية للغاية 1962، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ، 1997، ص 72.
12. صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينقيين الى خروج الفرنسيين (819ق.م-1962م)، د ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002، ص 119 .
13. محند بوبشير أمقران، النظام القضائي الجزائري، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 169.
14. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،ج 4، د ط، دار الامة، الجزائر، 2010، ص 145.
15. -عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص 145.
16. - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 72.
17. الامير بوغدادة، مذكرة سابقة، ص 94.
18. عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 70.
19. عبد الرحمان الجلالي، مرجع سابق، ص 147 .
20. لويست فالنسي، المغرب قبل سقوط مدينة الجزائر(1790-1830م)، تر: الياس مرقص، ط1، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م، ص 44.
21. أحمد شريف الزهار، مذكرات الشريف زهار نقيب أشراف الجزائر(15754-1836)، تح: أحمد توفيق المدني، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 169.
22. الامير بوغدادة، مذكرة سابقة، ص 71.
23. عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 72.
24. نسيمة زوزو، مذكرة سابقة، ص 23.
25. أحميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين ميلة، 2005، ص ص78،77.
26. جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830م)، د ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010، ص 134.
27. الأمير بوغدادة، مذكرة سابقة، ص 25.
28. زوليخة المولودة و علوش اسماعيلي، تاريخ الجزائر من فترة ماقبل التاريخ الى الاستقلال، ط1، دار دزاير انفو، الجزائر، 2003، ص 256.
29. أمير بوغدادة ، مذكرة سابقة ، ص 26.
30. نفسه ، ص 27.
31. سعيد بن عبد الله، العدالة في الجزائر من الأصول الى اليوم، ج1، مؤسسة نيسو للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص 126.
32. نسيمة زوز ، مذكرة سابقة ، ص 28.

33. شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، تر وتق العيد دودو، د ط، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 82.
34. نصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، ط خ،البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 383.
35. نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، د ط ، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص23.
36. شارل روبير اجرون، مرجع سابق، ص32.
37. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتع وتح د محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2006، ص19.
38. مختار جبار، الحضور الصوفي في الجزائر على العهد العثماني، مجلة التراث العربي، العدد57، دمشق،اصدار اتحاد الكتاب العرب، اكتوبر1994، ص51.
39. نسيمة زوزو ، مذكرة سابقة ، ص32.
40. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر هجري، ج2، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص48.
41. -الامير بوغدادة ، مذكرة سابقة، ص119.
42. -نسيمة زوزو، مذكرة سابقة، ص 34.
43. -نفسه ، ص ص 34،33.

جديد الصفقات العمومية و تأثيرها على سير المرافق العامة

الدكتورة خلدون عيشة
جامعة زيان عاشور بالجلفة

° ° °

مقدمة :

تتكون الدولة من مجموعة مرافق عامة تتكفل بتنفيذ مشاريعها التنموية الوطنية و المحلية في كل المجالات سواء كانت إقتصادية أو إجتماعية أو ثقافية و كذا تلبية حاجيات مواطنيها ، إنطلاقا من ممارستها لنشاطاتها التي تتم على أساس ما تبرمه من عقود إدارية يحكمها قانون الصفقات العمومية ، الذي عرف تغييرات و تعديلات متتالية إنطلاقا من الأمر رقم 67-90 وصولا للمرسوم الرئاسي رقم 15-247 الحاوي على مجموعة كبيرة من التعديلات المتعلقة بكل ما تعرفه الصفقات العمومية من مراحل و إجراءات تمر بها تسهل عمل المصالح المتعاقدة المتعاقدة مع المتعاملين الإقتصاديين في إطار الصفقات العمومية.

مما يجعلنا نتساءل عن جديد قانون الصفقات العمومية من خلال المرسوم الرئاسي رقم 15-247 المؤرخ في 2015/09/16 المتضمن قانون الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام ، الذي يجعل هذه العقود تساهم في حسن إدارة و تسيير المرافق العامة الملبية للمصلحة العامة؟

و سنقوم بالإجابة على هذه الإشكالية من خلال تناول جديد قانون الصفقات فيما يخص مرحلتي الإبرام و التنفيذ و كذا عمليتي رقابة الصفقات العمومية و تسوية نزاعاتها و حمايتها.

المحور الأول : جديد عملية إبرام الصفقات العمومية من خلال المرسوم الرئاسي رقم 15-247:

الصفقة العمومية كأي عقد إداري تبرم بين أحد أشخاص القانون العام و شخص طبيعي أو إعتباري يخضع للقانون الخاص من أجل القيام بنشاط يتعلق بتسيير المرفق العام ، مما يجعل عملية إبرامها تخضع للمبادئ الحاكمة للعقود

الإدارية ثم تمر بمراحل أوجب القانون إتباعها تتمثل في :

أولا : المبادئ الحاكمة لإبرام الصفقات العمومية:

لقد أكد المرسوم الجديد رقم 15-247 مثل المرسوم الرئاسي رقم 10-236 الملغى السابق له على ضرورة إخضاع إبرام الصفقات العمومية و إتفاقيات تفويض المرفق العام للمبادئ التي تحكم إبرام العقود الإدارية بشكل عام، و المتمثلة في مبدأ حرية المنافسة و مبدأ المساواة و مبدأ شفافية الإجراءات ، من خلال نصه على أنه : " لضمان نجاعة الطلبات العمومية و الإستعمال الحسن للمال العام ، يجب أن تراعى في الصفقات العمومية مبادئ حرية الوصول للطلبات العمومية و المساواة في معاملة المرشحين و شفافية الإجراءات ، ضمن احترام أحكام هذا المرسوم."[1]

ثانيا : الإجراءات الخاصة(إجراءات في حالة الإستعجال الملح):

لقد عرف المرسوم الرئاسي رقم 15-247 الصفقات العمومية على كونها عقود مكتوبة في مفهوم التشريع المعمول به ، تبرم بمقابل مع متعاملين إقتصاديين وفق الشروط المنصوص عليها في هذا المرسوم ، لتلبية حاجات المصلحة المتعاقدة في مجال الأشغال و اللوازم و الخدمات و الدراسات." [2]

فالأصل في الصفقة العمومية أنها مكتوبة و لا تنفذ إلا بعد الإبرام ، إلا أن هذا المرسوم الجديد نص على أنه :" في حالة الإستعجال الملح المعلل بخطر داهم يتعرض له ملك أو استثمار قد تجسد في الميدان أو وجود خطر يهدد استثمارا أو ملكا للمصلحة المتعاقدة ، أو الأمن العمومي و لا يسعه التكيف مع آجال إجراءات إبرام الصفقات العمومية، بشرط أنه لم يكن في وسع المصلحة المتعاقدة توقع الظروف المسببة لحالات الاستعجال ، و أن لا تكون نتيجة مناورات للمماطلة من طرفها ، يمكن مسؤول الهيئة العمومية أو الوزير أو الوالي أو رئيس المجلس الشعبي البلدي المعني أن يرخص بموجب مقرر معلل بالشروع في بداية تنفيذ الخدمات الضرورية فقط قبل إبرام الصفقة ، وترسل نسخة من المقرر

إلى الوزير المكلف بالمالية و إلى مجلس المحاسبة.

على أن تبرم صفقة عمومية على سبيل التسوية خلال 6 أشهر إبتداء من تاريخ التوقيع على المقرر السالف الذكر ، إذا كانت المبالغ تفوق القيم المذكورة في المادة رقم 13 من هذا المرسوم و عرضها على الهيئة المختصة بالرقابة الخارجية للصفقات العمومية.[3]

وعند مقارنة هذه الإجراءات بما تناوله القانون الملغى رقم 236/10 ، نلاحظ إضافة هذا القانون الجديد لكل من رئيس المجلس الشعبي البلدي و مجلس المحاسبة.[4]

ثالثا : طرق إبرام الصفقات العمومية:

أكد المرسوم الرئاسي رقم 15-247 على أسلوبين لإبرام الصفقات العمومية ، الأول طلب العروض الذي يشكل القاعدة العامة في الإبرام و الثاني التراضي الذي يشكل الأسلوب الإستثنائي للإبرام.

1/**طلب العروض** : من خلال نص المواد رقم 39 و40 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 تم تغيير مصطلح المناقصة السابق إلى مصطلح طلب العروض الأقرب للترجمة الفرنسية Appel D'offres ، و الذي قلصه هذا المرسوم إلى أربعة أشكال فقط تتمثل في كل من تتمثل في طلب العروض المفتوح الذي عوض المناقصة المفتوحة سابقا ، وطلب العروض المفتوح مع إشتراط قدرات دنيا المقابل للمناقصة المحدودة سابقا ، و طلب العروض المحدود و الذي يمثل إجراء الإستشارة الإنتقائية ، و كذا المسابقة التي لم يغير تسميتها إلا أنه قسمها إلى نوعين مسابقة محدودة أو مسابقة مفتوحة مع إشتراط قدرات دنيا[5].

أما بالنسبة لأسلوب المزايدة فقد تم حذفه من هذا المرسوم الجديد نظرا لما عرفه من غموض و تناقض في مدلوله و عدم وضوح و تفصيل إجراءاته ، و إستبدله بالمزاد الإلكتروني العكسي المتعلق بصفقات التوريد مشابها في ذلك المشرع الفرنسي.[6]

2/**التراضي :** أبقى المرسوم الجديد على كون هذا الأسلوب طريقة إستثنائية لا تلجأ المصلحة المتعاقدة إليها إلا في حالات محددة و محصورة قانونا و قسمه كسابقه إلى شكلين:

أ/التراضي البسيط: نصت المادة رقم 49 من المرسوم الجديد رقم 247/15 على حالات اللجوء إليه و التي قلصت إلى 6 حالات عوضا عن 8 حالات التي كانت موجودة في المرسوم الملغى[7]، بسبب ما ينتج من مخالفات و تجاوزات قانونية تقوم بها المصلحة عند إنتهاجها لهذا الأسلوب الإستثنائي ، الذي نص المرسوم الرئاسي رقم 15-247 على إجراءاته التي أوجبت على المصلحة المتعاقدة عند إتباعها لهذا الأسلوب الإستثنائي تحديد حاجاتها طبقا لأحكام هذا المرسوم و التأكد من قدرات المتعامل الإقتصادي الذي ستختار عرضه على أساس ما قدمه من مزايا إقتصادية ، بعد أن نظمت معه مفاوضات حسب الشروط المنصوص عليها في هذا المرسوم مؤسسة المتعلقة منها بالعرض المالي على أسعار مرجعية.[8]

ب/التراضي بعد الإستشارة : فقد تناول المرسوم الجديد مثل سابقه الملغى 5 حالات لهذا الإجراء الإستثنائي و المتمثلة في :

1/عندما يعلن عدم جدوى طلب العروض للمرة الثانية.

2/في صفقات الدراسات و اللوازم و الخدمات التي لا تستلزم طبيعتها اللجوء إلى طلب العوض.

3/في صفقات الأشغال للمؤسسات السيادية في الدولة.

4/في الصفقات التي كانت محل فسخ و طبيعتها لا تتلاءم مع آجال طلب عروض جديد.

5/في حالة العمليات المنجزة في إطار التعاون الحكومي و الإتفاقيات الثنائية.[9]

فالملاحظ على المرسوم الجديد أنه بين في الحالة الأولى بأنه لا يمكن اللجوء للتراضي بعد الإستشارة إلا بعد الإعلان عن عدم الجدوى للمرة الثانية لعدم ترك الفرصة للمصلحة المتعاقدة لإختيار هذا الأسلوب الإستثنائي مباشرة

و بسرعة ، بعكس المرسوم الرئاسي رقم 236/10 الملغى فإنه بمجرد الإعلان عن عدم جدوى المنافسة للمرة الأولى تتمكن الإدارة من الإختيار بين إعادة إجراء المناقصة أو إتباع أسلوب التراضي بعد الإستشارة .

رابعا : تأهيل المرشحين و المتعهدين :

أكد المرسوم رقم 15-247 على تخصيص الصفقة العمومية للمؤسسة القادرة على تنفيذها مهما كانت طريقة الإبرام [10]، إنطلاقا من تأكد المصلحة المتعاقدة من قدرات المرشحين و المتعهدين التقنية و المهنية و المالية ، و الذين يستند ترشيحهم إلى معايير غير تمييزية ، لها علاقة بموضوع الصفقة و متناسبة مع مداها.[11]

كما أكدت المادة رقم 57 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 على أن: " كل متعهد أو مرشح يتقدم بمفرده ، أو في تجمع يجوز له أن يعتد بقدرات مؤسسات أخرى بشرط :

1-وجود علاقة قانونية بين المتعهد و المؤسسات التي يعتد بقدراتها تتمثل في المناولة أو التعاقد المشترك في إطار قانون أساسي(فرع أو شركة أو في نفس مجمع الشركات) و بإلزامية مشاركتها في إجراء إبرام الصفقة العمومية .

2-في إطار تجمع مؤسسات مؤقت ، تأخذ في الحسبان قدرات التجمع إجمالا.

3-الأخذ في الحسبان قدرات المناول المقدم في العرض عند تقييم قدرات المتعهد.

4-لا يكون المبلغ الأدنى لرقم الأعمال و عدد الحصائل المالية أو غياب مراجع مهنية مماثلة سببا لرفض ترشيحات مؤسسات صغيرة و متوسطة حديثة النشأة ، إلا إذا تطلب موضوع الصفقة ذلك.

5-لا تطلب ملكية الوسائل المادية من المتعهد إلا إذا تطلب موضوع الصفقة ذلك ."

فنلاحظ من خلال هذا النص أنه تم إعطاء إمكانية للمتعهد أو المرشح بأن يعتد بقدرات مؤسسات أخرى وفق شروط محددة قانونا بعكس المرسم الرئاسي الملغى رقم 236/10 الذي منع هذه الإمكانية و ركز على قدرات المتعهد وحده

فقط بنصه على أن : " كل متعهد يتقدم بمفرده أو في تجمع لا يجوز له إستظهار إلا مؤهلاته الخاصة و مراجعه المهنية."[12]

خامسا : إجراءات الإبرام :

من الضروري على المصلحة المتعاقدة إتباع إجراءات قانونية تتمثل في :

أ العلانية على طلب العروض : أكد القانونان الجديد و الملغى عن عملية الإعلان الإلزامية المتعلقة بالعروض و التي تتم باللغة العربية و بلغة أجنبية واحدة على الأقل و التي تنشر في النشرة الرسمية لصفقات المتعامل العمومي و على الأقل في جريدتين يوميتين وطنيتين موزعتين على المستوى الوطني.[13]

ب-محتوى العروض :

نلاحظ حسب المادة 67 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 أن العرض أصبح يشتمل على 3 عناصر عوضا إثنين[14] ، فبعدما كان يتكون من عرضين تقني و مالي أضيف له ملف الترشح الذي يتكون من تصريح بالترشح و تصريح بالنزاهة ، القانون الأساسي للشركات ، الوثائق المتعلقة بالتفويضات التي تسمح للأشخاص بإلزام المؤسسة ، كل وثيقة تسمح بتقييم قدرات المتعهدين أو المناولين(المهنية و المالية والتقنية).

و بهذا فقد تم إعفاء المتعهدين من تقديم مجموعة من الوثائق التي كان يحويها العرض التقني في المرسوم الملغى والمتمثلة في(شهادة السوابق العدلية ، الشهادات الجبائية و السجل التجاري أو سجل الصناعة التقليدية فيما يخص الحرفيين و شهادة الإيداع القانوني لحساب الشركة و رقم التعريف الجبائي) و التي تم تعويضها بالتصريح بالترشح السالف الذكر.

أما العرض التقني فإنه يتكون من تصريح بالإكتتاب و كل وثيقة تسمح بتقييمه(أي مذكرة تقنية تبريرية) و كفالة تعهد و دفتر الشروط الذي يحتوي في آخر صفحته على العبارة المكتوبة بخط اليد و المتمثلة في "قرئ و قبل".

أما العرض المالي فيتكون من رسالة تعهد و جدول الأسعار بالوحدة و تفصيل كمي و تقديري مع إضافة

لتحليل السعر الإجمالي و الجزافي ، و إمكانية طلب المصلحة المتعاقدة لوثائق حسب موضوع الصفقة و مبلغها و المتمثلة في التفصيل الفرعي للأسعار بالوحدة و التفصيل الوصفي التقديري المفصل.

و من أجل تخفيف الإجراءات الإدارية على مقدمي العروض أكد القانون الجديد على أن لا تطلب المصلحة المتعاقدة من المتعهدين وثائق مصادق عليها طبق الأصل إلا إستثناء عندما ينص على ذلك نص تشريعي أو مرسوم رئاسي ، و إن تحتم عليها ذلك فتطلبه فقط من حائز الصفقة العمومية.[15]

وقد أضاف المرسوم الرئاسي رقم 247/15 بأنه لا تطلب الوثائق المبررة لمعلومات التصريح بالترشح إلا من حائز الصفقة الذي يجب أن يقدمها في أجل 10 أيام من تاريخ إخطاره ، قبل نشر إعلان المنح المؤقت،[16] و في حالة عدم تقديمها في الآجال المحددة أو تبين أن المعلومات غير مطابقة للتصريح يتم رفض عرض المعني ، و كذا الأمر بفسخ الصفقة حتى بعد إمضائها في حالة إكتشاف أن المعلومات زائفة ، و هذا تحت مسؤولية المتعاقد دون سواه .[17]

سادسا :فتح العروض و تقييمها من أجل إختيار المتعامل المتعاقد :

قام المرسوم الجديد رقم 247/15 بتحديد لجنة واحدة لفتح الأظرفة وتقييم العروض ، بحيث تقوم بتسجيل عملها المتعلق بالفتح في محضر منفصل عن عملها المتعلق بالتقييم الذي يسجل بدوره في محضر خاص[18].

مع ملاحظة أنه تتم عملية إختيار المتعامل المتعامل مع الإدارة على أساس المادة رقم 78 من المرسوم رقم 15-247 التي بينت أنه يجب على المصلحة المتعاقدة أن تستند في إختيارها لأحسن عرض من حيث المزايا الإقتصادية إلى عدة معايير أو إستنادا إلى معيار السعر، فقط قد أضاف معايير جديدة للإختيار تتعلق بالجانب الاجتماعي لترقية الإدماج المهني لبعض الفئات المحرومة من الشغل و المعوقين و النجاعة المتعلقة بالتنمية المستدامة ، و هذا عند مقارنته بالمرسوم الملغى الذي أكد على أن يستند الإختيار على

نظام تنقيط مؤسس لا سيما على : الضمانات التقنية والمالية ، السعر و النوعية وآجال التنفيذ.....[19]

سابعا : حالات عدم الجدوى:

لقد تطرق هذا المرسوم إلى حالات عدم الجدوى من خلال أسلوبي طلب العروض و التراضي بعد الإستشارة ، فأكد من خلال مادته رقم 40 في فقرتها الثانية بأنه يعلن عن عدم جدوى إجراء طلب العروض عندما :

1/لا يتم إستلام أي عرض.

2/عندما لا يتم الإعلان بعد تقييم العروض عن مطابقة أي عرض لموضوع الصفقة و لمحتوى دفتر الشروط.

3/عندما لا يمكن ضمان تمويل الحاجات.

أما من خلال المادة رقم 52 في فقرتها السابعة تبين أنه يعلن عن عدم جدوى إجراء التراضي بعد الإستشارة الذي تلجأ إليه المصلحة المتعاقدة بصفة مباشرة عندما:

1/لا يتم إستلام أي عرض.

2/لا يمكن بعد تقييم العروض المستلمة إختيار أي عرض.

أما في المرسوم الرئاسي الملغى رقم 236/10 فقد تناولت مادته رقم 44 حالات عدم جدوى المنافسة سواء في المناقصة أو التراضي بعد الإستشارة عندما :

1/يتم إستلام عرض واحد فقط.

2/لم يتم إستلام أي عرض.

3/إذا تم التأهيل الأولي التقني لعرض واحد فقط.

4/لم يتم تأهيل أي عرض بعد تقييم العروض المستلمة.[20]

فالمرسوم الرئاسي رقم 247/15 يؤكد أنه لا إعلان لعدم الجدوى عند إستلام عرض وحيد سواء في إجراء طلب العروض أو التراضي بعد الإستشارة بعكس المرسوم الرئاسي الملغى رقم 236/10، و هذا لمنع هدر الوقت و المال و الإكتفاء بوجود العرض الواحد من المحافظة على سيرورة المرفق العام و إنتظامه في العمل.

ثامنا : الطعون :

بين المرسوم الرئاسي رقم 247/15 أنه : " يمكن للمتعهد أن يحتج على المنح

المؤقت للصفقة أو إلغائه أو إعلان عدم جدوى أو إلغاء الإجراء في إطار طلب العروض أو إجراء التراضي بعد الإستشارة أن يرفع طعنا لدى لجنة الصفقات المختصة ، و ينشر إعلان المنح المؤقت في النشرة الرسمية لصفقات المتعامل العمومي أو الصحافة أو في بوابة الصفقات العمومية....."[21].

و بهذا يلاحظ أن القانون الجديد وسع في مجال الطعن في كل من المنح أو الإلغاء و أضاف إمكانية نشر إعلان المنح المؤقت في بوابة الصفقات العمومية عند مقارنته بالقانون الملغى رقم 236/10 الذي بين أنه يمكن للمتعهد الذي يحتج على إختيار المصلحة المتعاقدة أن يرفع طعنا أمام لجنة الصفقات المختصة و أن نشر إعلان المنح المؤقت يتم فقط في النشرة الرسمية لصفقات المتعامل العمومي أو الصحافة.

و لإصباغ عملية إختيار المتعاقد مع الإدارة بشفافية أكثر أضافت المادة رقم 82 السالفة الذكر على أنه : "...يتعين على المصلحة المتعاقدة من خلال إعلان المنح المؤقت دعوة الراغبين في الإطلاع على النتائج الإتصال بمصالحها في أجل أقصاه 3 أيام من تاريخ الإعلان لتبليغهم بالنتائج كتابيا...و في حالات إعلان عدم جدوى و إلغاء إجراء إبرام الصفقة أو إلغاء منحها المؤقت يجب على المصلحة المتعاقدة أن تعلم برسالة موصى عليها مع وصل إستلام المتعهدين بقراراتها ، و دعوة الراغبين منهم في الإطلاع على مبررات قراراتها الإتصال بمصالحها في أجل أقصاه 3 أيام إبتداء من تاريخ إستلام الرسالة لتبليغهم هذه النتائج كتابيا.

المحور الثاني : جديد الصفقات العمومية في مرحلة التنفيذ:

بعد عملية إبرام الصفقات العمومية تدخل حيز التنفيذ من قبل المتعامل المتعاقد الذي تجمعه بالمصلحة المتعاقدة علاقة تعاقدية تتولد عنها مجموعة من الحقوق و الإلتزامات لطرفيها ، و التي عرفت بعضها التغيير من قبل المرسوم الرئاسي رقم 15-247 مقارنة بالمرسوم الرئاسي رقم 10-236 و خاصة فيما يخص النقاط التالية:

أولا: التعامل الثانوي(المناولة) في الصفقة العمومية :

الأصل في تنفيذ الصفقة العمومية أن يكون تنفيذا شخصيا من طرف المتعهد الذي قامت المصلحة المتعاقدة بإختياره على أساس قدراته الفنية والمالية و التقنية ، إلا أنه يمكنه الإستعانة بالغير لتنفيذ إلتزاماته و في إطار ما يسمح به القانون تحت تسمية أو بند التعامل الثانوي المتناول من قبل قوانين الصفقات العمومية بما فيها المرسوم الرئاسي رقم 10-236.

لقد قام المرسوم الرئاسي رقم 15-247 بتغيير عبارة التعامل الثانوي الموجودة في المرسوم الملغى بكلمة المناولة محددا نسبتها و مستثنيا من مجالها صفقات اللوازم العادية من خلال مادته رقم 140 التي تنص على أنه : "يمكن المتعامل المتعاقد للمصلحة المتعاقدة منح تنفيذ جزء من الصفقة لمناول بواسطة عقد مناولة ، حسب الشروط المنصوص عليها في هذا المرسوم .

و مهما يكن من أمر لا يمكن أن تتجاوز المناولة أربعين في المائة (40%) من المبلغ الإجمالي للصفقة.

و لا يمكن أن تكون صفقات اللوازم العادية محل مناولة ، و يقصد باللوازم العادية اللوازم الموجودة في السوق و التي هي غير مصنعة إستنادا إلى مواصفات تقنية خصوصية أعدتها المصلحة المتعاقدة."

كما أضاف القانون الجديد النص على المعلومات التي يجب أن يحتويها عقد المناولة[22]، الواجب تقديم نسخة منه للمصلحة المتعاقدة من طرف المتعامل المتعاقد.[23]

ثانيا : رقابة الصفقات العمومية :

تعتبر عملية الرقابة من أهم ما يميز عقود الصفقات العمومية المسيرة لعمل المرافق العامة ، و قد قسمها المرسوم الرئاسي رقم 15-247 إلى رقابة داخلية و خارجية و أخرى وصائية.[24]

بحيث تختص بالرقابة الداخلية لجنتين واحدة لفتح الأظرفة و أخرى لتقييم العروض المنصوص عليهما في القانون

القديم الملغى رقم 10-236[25]، المحولتين إلى لجنة واحدة دائمة تسمى لجنة فتح الأظرفة و تقييم العروض التي تحدث لدى المصلحة المتعاقدة التي يمكنها إضافة عدد من اللجان لنفس المهمة نظرا لتعدد و توسع ملفات صفقاتها.[26]

و تتكون هذه الجنة الدائمة من أعضاء يتوفر فيهم شرط الكفاءة المتعلق في القانون القديم بأعضاء لجنة تقييم العروض فقط ، و التابعين للمصلحة المتعاقدة من أجل إبعاد كل من ليست له أي علاقة بالمرفق العام و تحقيق المصلحة العامة.[27]

كما يحدد مسؤول المصلحة المتعاقدة بمقرر تشكيلها و قواعد تنظيمها و سيرها ونصابها ، مع إثبات أشغالها في سجلين خاصين يرقمهما الآمر بالصرف و يؤشـــر عليهمـــا بالـــحروف الأولى.[28]

و الملاحظ على المرسوم الجديد أنه حدد بدقة مهام لجنة فتح الأظرفة و تقييم العروض و المتمثلة في كونها تقوم بعمل إداري و تقني.[29]

و بالنسبة للرقابة الخارجية فقد ألغى المرسوم الرئاسي رقم 15-247 اللجان الوطنية للصفقات العمومية ، و كذا العمل بنظام اللجان الوزارية للقضاء على مركزية الرقابة على الصفقات العمومية و تسهيل إجراءاتها ، مؤكدا على إعتماد المعيارين العضوي و المالي في تحديد إختصاص لجان الرقابة الخارجية بدراسة مشاريع دفاتر الشروط و الصفقات و الملاحق الخاصة بالمؤسسات التابعة لها و المتمثلة في:

1/لجان الصفقات العمومية للمصالح المتعاقدة :

و هي لجان خصها المرسوم الرئاسي رقم 15-247 بأحكام خاصة تخص رقابتها التي تتوج بمقرر منح التأشيرة أو رفضها خلال أجل أقصاه 20 يوما إبتداء من تاريخ إيداع الملف كاملا لدى كتابة هذه اللجنة[30]، و المتمثلة في اللجنة الجهوية للصفقات[31]، لجنة الصفقات للمؤسسة العمومية الوطنية و الهياكل غير الممركزة

للمؤسسة العمومية الوطنية ذات الطابع الإداري[32]، اللجنة الولائية للصفقات[33]، اللجنة البلدية للصفقات[34]، لجنة الصفقات للمؤسسة العمومية المحلية و الهيكل غير الممركز للمؤسسة العمومية الوطنية ذات الطابع الإداري.[35]

2/اللجنة القطاعية للصفقات العمومية:

حسب المادة رقم 179 من المرسم الرئاسي رقم 247/15 هي اللجنة التي تحدث لدى كل دائرة وزارية و تكون مختصة في حدود المستويات المحددة في المادة 184 من المرسوم السالف الذكر ، وضع لها التنظيم أحكام خاصة منها أن الرقابة التي تمارسها هذه اللجنة تتوج بمقرر منح أو رفض التأشيرة في أجل أقصاه 45 يوما إبتداء من تاريخ إيداع الملف لدى كتابة هذه اللجنة.[36]

مع ملاحظة إشارة المرسوم الرئاسي رقم 15-247 إلى إمكانية تجاوز مقرر رفض منح التأشيرة الصادر عن هذه اللجان الرقابية بناء على تقرير من المصلحة المتعاقدة بمقرر معلل من طرف كل من الوزير أو مسؤول العيئة العمومية المعني ، أو الوالي الذي يعلم وزير الداخلية و الجماعات المحلية بذلك ، أو رئيس المجلس الشعبي البلدي الذي يعلم الوالي المختص بذلك ، بحيث ترسل نسخة منه إلى كل من مجلس المحاسبة و الوزير الكلف بالمالية المجسد في سلطة ضبط الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام و المفتشية العامة للمالية ، و كذا لجنة الصفقات المعنية.[37]

و هذا التجاوز لرأي لجان رقابة الصفقات العمومية هو تصرف غير مقبول و فيه مساس بقيمة عملها ، إلا أن علة وجوده تقبل على أساس أن في هذا العمل ضمان لإستمرارية و ديمومة نشاط المرافق العامة التي قد يتسبب منح التأشيرة من قبل لجان الرقابة في عرقلتها.

ثالثا :إبرام الملحق التابع للصفقة العمومية

تتمتع المصلحة المتعاقدة في عقد الصفقة العمومية بمجموعة من الحقوق و الإمتيازات تجاه المتعامل المتعاقد معها والتي من بينها حق تعديل الصفقة العمومية عن طريق ما يسمى بالملحق الذي بين المرسوم الرئاسي رقم

15-247 بأنه يشكل وثيقة تعاقدية تابعة للصفقة ، والمبرم في جميع الحالات بهدف الزيادة في الخدمات أو تقليلها و تعديل بند أو عدة بنود تعاقدية في الصفقة، موضحا بتفصيل أكثر لعملية إبرامه و آجاله و طرقه [38]، كما حدد له نسبة واحدة تقدر ب 10% بالنسبة لجميع أنواع الصفقات و اللجان المختصة برقابته موضحا أنه لا يخضع الملحق إلى هيئات الرقابة الخارجية القبلية إذا كان مبلغه أو المبلغ الإجمالي لمختلف الملاحق لا يتجاوز زيادة أو نقصانا نسبة 10% من المبلغ الأصلي للصفقة.[39]

و هذا بعكس المرسوم الملغى رقم 236/10 الذي أكد أن الملحق لا يخضع إلى هيئات الرقابة الخارجية القبلية إذا كان مبلغه أو المبلغ الإجمالي لمختلف الملاحق لا يتجاوز زيادة أو نقصانا نسبة 20% من مبلغ الصفقة بالنسبة للصفقات التابعة لاختصاص لجنة صفقات المصلحة المتعاقدة ، و 10 %من مبلغ الصفقة بالنسبة للصفقات التابعة لاختصاص اللجان الوطنية و اللجان القطاعية للصفقات.[40]

رابعا : فسخ الصفقة العمومية

تعتبر عملية فسخ الصفقة العمومية أحد الحقوق المخولة للمصلحة المتعاقدة إنطلاقا من الرابطة التعاقدية التي تجمعها بالمتعامل الإقتصادي، الذي يمكنها فسخ العقد معه بسبب إخلاله بالتزاماته و عدم إمتثاله للإعذار المقدم من طرفها و بالتالي التسبب في عرقلة المرفق العام عن تنفيذ نشاطاته.

بحيث نص المرسوم الرئاسي رقم 15-247 من خلال مادته رقم 149 على أنه إذا لم ينفذ المتعاقد التزاماته توجه له المصلحة المتعاقدة إعذارا للوفاء بالتزاماته في أجل محدد ، و إذا لم يتدارك تقصيره في الأجل المحدد يمكن المصلحة المتعاقدة أن تقوم بفسخ الصفقة من جانب واحد، و يمكن أن تقوم بفسخ جزئي للصفقة.

أي أنـــه مقارنة بالمرسوم الملغى[41] أضاف إمكانية لجوء المصلحة المتعاقدة إلى الفسخ الجزئي للصفقة والذي من خلاله تستطيع الإدارة الحفاظ على تنفيذ باقي أجزاء الصفقة و بالتالي عدم التأثير على سيرورة المرفق العام.

كما أضاف ذات المرسوم إمكانية قيام المصلحة المتعاقدة بفسخ الصفقة من جانب واحد عندما يكون ذلك مبررا بسبب المصلحة العامة حتى بدون خطأ من المتعامل المتعاقد،[42] و هذا حفاظا على المال العام من الإصراف الغير القانوني مادام غاب أو لا فائدة من تنفيذ هذه الصفقة العمومية.

زيـــادة على ذلك أكـــــــد هذا المرسوم الجديد رقم 15-247 عند مقارنته بالمرسوم الملغى رقم 10-236 أن المتعامل المتعاقد المعاقب بإجراء فسخ الصفقة بسبب الخطأ الصادر عنه يلزم أيضا بدفع التكاليف الإضافية التي تنجم عن الصفقة الجديدة،[43] كعقوبة ردعية ضاغطة تلزم دوما المتعاقد مع الإدارة على عدم التسبب في الإضرار في المرفق العام الناجم عن تقصيره في القيام بإلتزاماته التعاقدية.

خامسا :التسوية الودية لنزاعات الصفقات العمومية :

لقد أولى المرسوم الرئاسي رقم 15/247 مقارنة بنظيره الملغى رقم 10-236 [44] أهمية كبيرة للحل الودي للنزاعات الناشئة بسبب عدم إتفاق طرفي الصفقة، حيث أوجب قبل كل مقاضاة أمام العدالة القيام بعرض النزاع أمام لجنة التسوية الودية التي يجب أن لا يكون أعضاؤها قد شاركوا في إجراءات إبرام و مراقبة و تنفيذ الصفقة المعنية[45].

فقد أستحدثت لجنتين للتسوية الودية للنزاعات الناجمة عن تنفيذ الصفقات العمومية المبرمة مع المتعاملين الاقتصاديين الجزائريين بموجب المادة رقم 154 من المرسوم الرئاسي رقم 15/247 هي:

1/لجنة التسوية الودية للنزاعات في الوزارة و الهيئة العمومية :

تختص بدراسة نزاعات الإدارة المركزية و مصالحها الخارجية أو الهيئة العمومية و المؤسسات العمومية الوطنية التابعة لها .

2/لجنة التسوية الودية للنزاعات في الولاية:

تختص بدراسة نزاعات الولاية والبلديات و المؤسسات العمومية المحلية التابعة لها و المصالح غير الممركزة للدولة.

تقوم كل لجنة بإيجاد الحلول الودية المناسبة من خلال إتباعها للإجراءات المحددة قانونا لدراسة النزاع.[46]

وبهذا يتم حل النزاعات الناتجة عن تنفيذ الصفقات العمومية دون اللجوء للقضاء المتميز بطول إجراءاتها و إستغراقها للوقت الكثير، فتحل بشكل ودي لا يؤدي إلى إيقاف تنفيذ الصفقات التي بدورها تساهم في إستمرارية عمل المرافق العامة.

المحور الثالث: تأكيد قانون الصفقات العمومية على مكافحة الفساد

تبرم عقود الصفقات العمومية من أجل إنجاز الأشغال و توفير اللوازم و كذا تقديم الخدمات و القيام بالدراسات الخاصة كلها بمرافق الدولة العمومية ، و التي تصرف عليها مبالغ طائلة من الخزينة العمومية مما يجعلها عرضة لمظاهر الفساد بنوعيه الإداري و المالي ، مما جعل قانون الصفقات العمومية ينص لإجراءات الحماية منه و مكافحته على النحو التالي:

أولا : **التكوين و تعزيز أخلاقيات المهنة في الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام :**

لقد نص المرسوم الرئاسي رقم 15-247 على التكوين في الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام لفائدة الموظفين و الأعوان العموميين المكلفين بتحضير و إبرام و تنفيذ و مراقبة الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام ، عن طريق دورات تكوين و تحسين المستوى و المؤهلات و الكفاءة تديرها الهيئة المستخدمة بالتعاون مع سلطة ضبط الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام ، وهذا سعيا من التنظيم لإنجاح مشاريع الصفقات العمومية و بالتالي تحقيق الأهداف المتوخاة من ورائها و الحفاظ على المال العام.[47]

ثانيا: إنشاء سلطة ضبط الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام :

و في صياغ مكافحة الفساد رغم أن المرسوم الرئاسي الملغى نص على مدونة أدبيات و أخلاقيات المهنة في مجال الصفقات العمومية يوافق عليها بموجب مرسوم تنفيذي[48] ، إلا أنه لم يحدد الهيئة المنشئة لها و المتمثلة في سلطة ضبط الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام المستحدثة بموجب المرسوم الرئاسي الجديد رقم 247/15 الذي بين أنه تنشأ لدى الوزير المكلف بالمالية هذه السلطة بحيث تتمتع بإستقلالية التسيير و تشمل مرصدا للطلب العمومي و هيئة وطنية لتسوية النزاعات[49]، و التي تعد مدونة أدبيات و أخلاقيات المهنة للأعوان العموميين المتدخلين في مراقبة و إبرام و تنفيذ الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام، يوافق عليها الوزير المكلف بالمالية.

يطلع الأعوان العموميون المذكورون أعلاه على المدونة و يتعهدون باحترامها بموجب تصريح ، كما يجب عليهم الإمضاء على تصريح بعدم وجود تضارب المصالح، و يرفق نموذجا هاذين التصريحين بالمدونة."[50]

كما أولاها المرسوم رقم 247/15 مجموعة من الصلاحيات تتمثل في :

- إعداد تنظيم الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام و متابعة تنفيذه ، و تصدر بهذه الصفة رأيا موجها للمصالح المتعاقدة و هيئات الرقابة و لجان الصفقات العمومية و لجان التسوية الودية للنزاعات و المتعاملين الاقتصاديين .

-إعلام و نشر وتعميم كل الوثائق و المعلومات المتعلقة بالصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام.

-المبادرة ببرامج التكوين و ترقية التكوين في مجال الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام.

-إجراء إحصاء اقتصادي للطلب العمومي سنويا إنطلاقا من بطاقات إحصائية مرسلة إليها من المصلحة المتعاقدة التي قامت بإعدادها.[51]

-تحليل المعطيات المتعلقة بالجانب الإقتصادي و التقني للطلب العمومي و تقديم توصيات الحكومة.

-تشكيل مكان للتشاور في إطار مرصد الطلب العمومي.

-التدقيق أو تكليف من يقوم بالتدقيق في إجراءات إبرام الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام ، و تنفيذها بناء على طلب من كل سلطة مختصة.

-البت في النزاعات الناتجة عن تنفيذ الصفقات العمومية المبرمة مع المتعاملين المتعاقدين الأجانب.

-تسيير و إستغلال نظام المعلوماتية للصفقات العمومية .

-إقامة علاقات تعاون مع الهيئات الأجنبية و الهيئات الدولية المتدخلة في مجال الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام.[52]

المحور الرابع: اللجوء للطريقة الإلكترونية في الصفقات العمومية :

تماشيا مع التطور التكنولوجي الحاصل في مختلف المجالات بما فيها إدارة و تسيير المرافق العامة التي من أهم المبادئ الحاكمة لها التكيف مع التغيرات و التطورات الخارجية ، تناول المرسوم الرئلسي رقم 10-236 الملغى مجال التعامل الإلكتروني من خلال مادتين فقط ، أكدت الأولى منهما على تأسيس بوابة إلكترونية للصفقات العمومية لدى الوزير المكلف بالمالية الذي يصدر قرار يحدد بموجبه محتواها و كيفية تسييرها[53] ، أما الثانية بينت أنه يمكن للمصالح المتعاقدة أن تضع وثائق الدعوة للمنافسة تحت تصرف المتعهدين بالطريقة الإلكترونية و التي يمكنهم الرد من خلالها على هذه الدعوة للمنافسة.[54]

أما المرسوم الرئاسي رقم 15-247 فقد توسع أكثر من سابقه في هذا المجال الإلكتروني ، حيث واصل التأكيد على تأسيس هذه البوابة الإلكترونية للصفقات العمومية و المسيرة من طرف وزارة المالية ووزارة تكنولوجيات الإعلام و الاتصال[55] ، و كذا وضع وثائق الدعوة للمنافسة تحت تصرف المتعهدين و الحصول على ردودهم بالطريقة الإلكترونية[56] ، و أضاف بأنه يمكن تحويل

الإجراءات الورقية إلى إجراءات إلكترونية[57] ، ومن أجل التخفيف على المتعهدين أعفاهم من تقديم الوثائق التي يمكن للمصلحة المتعاقدة الحصول عليها بالطريقة الإلكترونية.[58]

كما سمح هذا المرسوم الجديد رقم 15-247 للمصلحة المتعاقدة في حالة صفقات إقتناء اللوازم و تقديم الخدمات العادية أثناء إختيارها لأحسن عرض من حيث المزايا الإقتصادية اللجوء :

-لإجراء المزاد الإلكتروني العكسي ، بالسماح للمتعهدين بمراجعة أسعارهم أو عناصر أخرى من عروضهم القابلة للقياس الكمي.

-للفهارس الإلكترونية للمتعهدين، في إطار نظام إقتناء دائم تنفيذا لعقد برنامج أو عقد طلبات.[59]

المحور الخامس: الأحكام المطبقة على تفويضات المرفق العام:

بعد أن كان هذا القانون يحمل دوما تسمية قانون الصفقات العمومية ، فإنه لأول مرة و بموجب المرسوم الرئاسي رقم 15-247 يحمل تسمية مزدوجة تتعلق بقانون الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام التي تعتبر أسلوب أيضا لتسير و إدارة المرافق العامة.

بحيث يتمثل تفويض المرفق العام في الإجراء الذي يتمكن من خلاله أحد أشخاص القانون العام من تفويض تسيير مرفق عام لفترة محددة إلى أحد أشخاص القانون الخاص ، بهدف تلبية حاجيات المنتفعين من المرفق العام و صولا لتحقيق المصلحة العامة ، و هذا إنطلاقا من نص المرسوم الرئاسي رقم 15-247 على أنه : " يمكن الشخص المعنوي الخاضع للقانون العام المسؤول عن مرفق عام ، أن يقوم بتفويض تسييره إلى مفوض له ....."[60]

ثم أضاف بأن هذا التفويض يتم بموجب إتفاقية يخضع إبرامها لمبادئ حرية الوصول للطلبات العمومية و المساواة في معاملة المرشحين وشفافية الإجراءات و كذا المبدئ الحاكمة للمرافق العامة و المتمثلة في كل من مبادئ الإستمرارية و المساواة و قابلية التكيـف[61]، و بنهاية مدتها تصبح كل إستثمارات و ممتلكات

المرفق العام ملكا للشخص المعنوي الذي أبرم عقد التفويض.[62]

و قد حدد المرسوم الرئاسي رقم 15-247 أربعة أشكال لتفويض المرفق العام و تتمثل في : الإمتياز، الإيجار ، الوكالة المحفزة ، التسيير.

1-الإمتياز :

إجراء تعهد به السلطة المفوضة للمفوض له إما إنجاز منشآت أو إقتناء ممتلكات ضرورية لإقامة المرفق العام و إستغلاله ، تعهد له فقط بإستغلال المرفق العام ، بحيث يستغل المرفق العام الذي يقوم بتمويله باسمه و على مسؤوليته تحت مراقبة السلطة المفوضة متقاضيا عن ذلك أتاوى من مستخدمي المرفق العام.

2-الإيجار:

إجراء تعهد به السلطة المفوضة للمفوض له بتسيير مرفق عام و صيانته مقابل إتاوة سنوية يدفعها لها ، متصرفا حينئذ لحاسبه و على مسؤوليته ، بحيث تمول السلطة المفوضة بنفسها المرفق العام الذي تدفع من أتاوى تحصيله أجر المفوض له.

3-الوكالة المحفزة :

إجراء تعهد به السلطة المفوضة للمفوض له بتسيير أو بتسيير و صيانة المرفق العام ، الذي يستغله المفوض له لحساب السلطة المفوضة التي تموله بنفسها و تحتفظ بإدارته ، بحيث تدفع أجر المفوض له بواسطة منحة تحدد بنسبة مائوية من رقم الأعمال زائد منحة إنتاجية و حصة من الأرباح ، إنطلاقا من تحديدها للتعريفات التي يدفعها مستعملو المرفق العام بالإشتراك مع المفوض له الذي يحصلها لحسابها.

4-التسيير :

إجراء تعهد به السلطة المفوضة للمفوض له بتسيير أو بتسيير و صيانة المرفق العام ، الذي يستغله لحساب السلطة التي تموله و تحتفظ بإدارته ، بحيث يتقاضى أجرته منها مباشرة بواسطة منحة تحدد بنسبة مائوية من رقم الأعمال تضاف إليها منحة إنتاجية ، إنطلاقا من تحديدها للتعريفات التي يدفعها مستعملو المرفق العام التي يحصلها

لحسابها المفوض له و تحتفظ بالأرباح ، و في حالة العجز تعوض المسير الذي يتقاضى أجرا جزافيا.[63]

الخاتمة :

لقد عرف قانون الصفقات العمومية المتعلق بعقود الأشغال و التوريدات و الخدمات و الدراسات تعديلات كثيرة تهدف لتحسين إجراءاتها و مراحلها المتعلقة بالإبرام و التنفيذ و فض منازعاتها و حمايتها من كل تجاوزات قانونية و تطويرها إلكترونيا ، من أجل ضمان حسن تسيير و إدارة المرافق العامة المحققة للمصلحة العامة من خلال جودة تسيير نشاطات الدولة و تلبيات حاجيات المنتفعين من المرفق العام.

و لقد تناول المرسوم الرئاسي رقم 15-247 أسلوب تفويض المرفق العام بأشكاله الأربعة المساهمة في تسيير المرافق العامة من قبل أشخاص القانون الخاص بطريقة مناسبة جدا و فعالة لعمل المرافق العامة التي يخف عبء تسييرها على الدولة التي تستفيد حتى بعد إنتهاء مدة التفويض عن طريق إسترجاعها لمرافقها المسيرة بالتفويض بكل وسائلها و إستثماراتها و على أحسن حال .

و رغم هذه التعديلات لقانون الصفقات العمومية و التي أثرت إيجابا على سيرورة المرافق العامة سواء بواسطة عقود الصفقات العمومية أو تفويضات العام ، إلا أننا نصبوا للمزيد من التغييرات الهادفة لإنجاح مرافق الدولة خاصة بإتباع الأسلوب الإلكتروني في تنظيمها و تسييرها مواكبة للتطور التكنولوجي الضامن لتطورها و إزدهارها.

الهوامش :

1. المادة رقم 05 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 المؤرخ في 2015/09/16 المتضمن قانون الصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام ، ج ر العدد 50 الصادر في 2015/09/20.
2. المادة رقم 02 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
3. المادة رقم 12 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
4. . [1]/ المادة رقم 07 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 المؤرخ في 2010/10/07 المنظم للصفقات العمومية المعدل و المتمم والملغى، ج ر58 الصادرة في 2010/10/07.
5. / المواد من رقم 42 إلى رقم 48 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.

6. المادة رقم 206 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
7. / المادة رقم 43 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
8. المادة رقم 50 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
9. المادة رقم 51 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
10. المادة رقم 53 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
11. المادة رقم 54 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
12. / المادة رقم 39 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
13. المادة رقم 65 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
14. / المادة رقم 51 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
15. / المادة رقم 67 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
16. / المادة رقم 69 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
17. /المادة رقم 69 في فقرتها الثانية و الثالثة من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
18. / المادة رقم 71 و 72 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
19. / المادة رقم 56 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
20. [1]/ المادة رقم 06 في فقرتها السابعة من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 تناولت الإعلان عن حالة عدم جدوى الإستشارة بنفس شروط المادة رقم 44 من نفس المرسوم.
21. المادة رقم 82 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
22. / المادة رقم 144 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
23. / المادة رقم 143 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
24. المادة رقم 156 من المرسوم الرئلسي رقم 15-247 السالف الذكر.
25. / المادتان رقم 121 و 125 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
26. / المادة رقم 160 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
27. / المادة رقم 160 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
28. / المادة رقم 162 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
29. / المادة رقم 161 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
30. / المواد رقم 176 و177 و178 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
31. / المادة رقم 175 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
32. / المادة رقم 172 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
33. / المادة رقم 172 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
34. / المادة رقم 174 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
35. / المادة رقم 175 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
36. / المواد من 186 إلى 190 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
37. المادة رقم 200 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
38. المادة رقم 136 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر .
39. المادة رقم 139 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 السالف الذكر.
40. / المادة رقم 06 .من المرسوم الرئاسي رقم 12/ 23 المؤرخ في 2012/01/18 المعدل و المتمم للمرسوم الرئاسي رقم 236/10

المتضمن[1] تنظيم الصفقات العمومية، الجريدة الرسمية رقم 04 الصادرة في 2012/01/26.

41. / المادة رقم 112 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
42. /المادة رقم 150 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
43. / المادة رقم 152 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
44. /المادة رقم 115 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
45. / المادة رقم 153 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
46. / المادة رقم 155 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
47. / المادة رقم 211 و212 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
48. / المادة رقم 60 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
49. /المادة رقم 213 في فقرتها الأولى من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
50. المادة رقم 88 من المرسوم الرئاسي رقم 247-15 السالف الذكر.
51. / المادة رقم 214 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
52. / المادة رقم 213 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
53. / المادة رقم 173 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
54. / المادة رقم 174 من المرسوم الرئاسي رقم 236/10 السالف الذكر.
55. /المادة رقم 203 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
56. / المادة رقم 204 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
57. / المادة رقم 204 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
58. / المادة رقم 205 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر
59. / المادة رقم 206 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
60. / المادة رقم 207 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
61. / المادة رقم 209 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
62. / المادة رقم 208 من المرسوم الرئاسي رقم 247/15 السالف الذكر.
63. المادة رقم 210 من المرسوم الرئاسي رقم 247-15 السالف الذكر.

المراجع (القوانين المعتمدة):

1/ المرسوم الرئاسي رقم 236/10 المؤرخ في 2010/10/07 المنظم للصفقات العمومية المعـــدل و المتمم والملغى ، الجريدة الرسمية رقم 58 الصادرة في 2010/10/07.

2/ المرسوم الرئاسي رقم 12/ 23 المؤرخ في 2012/01/18 المعدل و المتمم للمرسوم الرئاسي رقم 236/10 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية، الجريدة الرسمية رقم 04 الصادرة في 2012/01/26.

3/ المرسوم الرئاسي رقم 247/15 المؤرخ في 2015/09/16 المنظم للصفقات العمومية و تفويضات المرفق العام، الجريدة الرسمية رقم 50 الصادرة في 2015/09/20.

الآثار الرومانية بالجلفة -من بوابة "روما الصحراء" مسعد-

عطية عيساوي
معماري باحث في التاريخ

° ° °

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ [سورة الفجر: الآية 6 و 7]، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين القائل: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، وعلى آله وأصحابه الذين ورثوا علمه، وشهدوا أموره، وبلغوها لمن كان غائبا لحظتها، وعلى أتباعه ومن تحملها بعدهم وعلينا إلى يوم الدين ، وبعـــــد:

نقدم هذه المساهمة البحثية تحت العنوان: "الآثار الرومانية بالجلفة انطلاقا من روما الصحراء مسعد" التي نرجو من خلالها أن تنضم إلى سلسلة الأبحاث في التاريخ المادي والتراث الحضري لولاية الجلفة، والتي قدمنا أجزاء منها لقراء ومحبي الجلفة وتاريخها عموما، وذلك عبر سلاسل مختلفة من مجلة المركز الثقافي الإسلامي، المركز الذي سخر ليكون جزءا من هذا التاريخ ومنبرا لخدمة هذا الإرث، كما أنه يعتبر قطبا يدفعنا لتوثيق تراث المنطقة والوطن وتقييده.

وفحوى هذه المقالة مقتطف من فصل كامل لكتاب هو قيد التأليف، حيث تلم بعدة جوانب هامة في تكوين تاريخ منطقة الجلفة وتختص باقتفاء اثر أولئك الذين مروا على الجلفة للتنقيب عن الآثار الرومانية والتي نالت حظها منه منطقة الجلفة.

لذلك فان معرفة الماضي الجميل لمناطق الجلفة يقتضي منا الغوص في التاريخ القديم من خلال سلسلة الاستكشافات الأثرية في المنطقة التي قادها علماء الآثار وخبراء وجغرافيون وغيرهم من أصحاب الميدان، وهو الجانب الذي لم يلق العناية اللازمة وقلت فيه المراجع وانعدمت فيه دراسات سابقة، فكان لابد من عمل توثيقي يسهم في تسليط الضوء على أهمية الفترة الرومانية في تاريخ ولاية الجلفة، بوصف اكبر قدر ممكن من تلك المباني التاريخية لتراب الولاية مع إمكانية رصد كل المخططات والصور والشواهد فيها ومختلف العناصر المكونة لها والجمالية المتعلقة بالتزيين مع التحليل الموجز في شرحها ونوع التميز فيها والدلالة المعمارية والأثرية لها، وإدراج كل المصطلحات المحلية التي تعتبر قاموسا غنيا، ورصيدا ثقافيا وموروث أصالي من روافد التراث يزخر به ساكنة منطقة الجلفة، لكن هذا المقال على

سبيل التخصيص سيكون على الاكتشافات الأولى التي تحوم مدينة "منعم"، فلا يمكن أن نتحدث عن الرومان دون الحديث عن حاضرة مسعد.

وعليه فإننا سنركب هذه الدراسة على محورين أساسيين تتخللهما البعض من التساؤلات بغية تحريك هذه العناوين والمضي قدما في مجريات البحث من جهة وترتيب الدلائل من جهة أخرى، ولتكن كالتالي:

المحور الأول: عموميات حول موضوع الدراسة والحدود المكانية

1- الإبداع والعمارة الرومانية:

لم تكن في بداية الأمر العمارة والفنون من اهتمام الرومان، بل كانوا شعبا يهوى التنظيم العسكري، فحياتهم مبنية على الحروب، لذلك فلقد توارث الرومان تركة اليونانيين، مرحلة أولى هي مرحلة الاستنساخ فاستنسخوا عنهم كافة فنونهم (النحت، الزخرفة والعمارة)، ومع مرور الزمان بعد تثبيتهم لإمبراطوريتهم وحماية أنفسهم من الغزو اليوناني، كانت مرحلة التداخل في أوجها بين الفنين اليوناني والروماني، وهي مرحلة عمد الرومان فيها بالاقتباس بما توارثوه من تجارب الحياة لكافة الحضارات القديمة السالفة، ثالثا وأخيرا تجلى الطابع الروماني في مرحلة الإبداع والتميز بالطابع المعماري الروماني الذي لا يمكن أن يختلف عليه اثنان، في بصمة إبداعية اكتسحت العالم بروائعها الفنية ولعل الدليل القاطع على براعتهم وقدرتهم وجرأتهم على تقديم كل ما هو جديد، تلك النصب التذكارية الشامخة في أماكنها، تلك المباني، القلاع والحصون الدفاعية، البوابات وأقواس النصر وغيرها من العناصر الإنشائية والمعمارية الحية إلى غاية يومنا هذا...

2-الجلفة في خضم الأحداث والتقلبات التاريخية:

شهدت الجزائر أحداثا فريدا من نوعها غيّرت وجهة التاريخ في مجرياتها، حيث نالت ولاية الجلفة الجزء الأكبر منه لهذه البلاد، جعلت هذه المنطقة مفتوحة على عدة تغيرات مست كل الجوانب بأنواعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الميادين، خاصة الثقافية منها التي ظلت تصارع من اجل البقاء عليها في ظل الحروب التي اجتاحت المنطقة والتوسعات نحو الصحراء، ولان الجلفة تتوسط الجزائر وبوابه الصحراء فهي جسر العبور بين الشمال والصحراء وكذلك همزة وصل بين الشرق والغرب، وهو ما جعل ذكر اسمها حاضرا وراسخا في ذاكرة كل المستشرقين والكتابات الغربية ومذكرات الجنود الفرنسيين والفنانين والرحالة المتوجهين نحو الحجاز وبعض القناصل والكتاب لدى

الخارجيات الأجنبية، وهي مراجع وان كثرت باللغة الفرنسية وقلت باللغة العربية تجعلك تعتكف حائرا منهارا في تغييب الباحثين المحليين والوطنيين للمنطقة من مؤرخين، معماريين وأثريين، لذلك تعد هذه الابحاث قليلة وشحيحة في حق عاصمة أولاد نايل ومنطقة قدمت الكثير للوطن وفي حق ولاية تزخر بالكثير من المقومات الطبيعية والموارد البشرية والطاقات العلمية المتعددة على المستوى الوطني والدولي.

فما حال هذه الجلفة التي تحتضن إرثا حضاريا كبيرا ومتنوعا متمثلا في مواقع أثرية لا تزال ماثلة أمام الزائر، تحثه على الالتفات إلى ماض عريق وترشده إلى قراءة صورة رائعة من أخبار قوم عاشوا بالمنطقة من أبكر عصور ما قبل التاريخ، خلفوا إرثا أثريا من أبدع وأثمن ما تمتلكه الجزائر، جعل من منطقة الجلفة تتميز به تاريخيا.

هذا التاريخ الذي لطالما ننتظر من يلملم شتاته، تاريخ سياسي ثوري وحضاري لهذه المنطقة لعب دورا بطوليا مهما في الماضي، والحاضر والمستقبل إذا تحركت سواعد الرجال واجتمعت على الخير.

3- سر تسمية الجلفة:

تأصيل اسم المنطقة: خصت الجلفة بهذا الاسم، نظير ما عرفته من أحداث وسط التاريخ وتعود سبب التسمية الحالية (الجلفة) إلى سكان المناطق المجاورة ومن رحلات صحراوية متواترة اتجاه المنطقة، حيث كانت سوقاً مفتوحة تقصد من كلّ فج، وبعد تهاطل الأمطار وارتواء التربة بمياه ضفاف الأودية المتدفقة، تتشكل قشور(جلاف) على طبقة الأرض الأولية من جراء جفافها، ومنه جاءت تسمية المنطقة بالجلفة[1] .

وتقع ولاية الجلفة في الجزء الشمالي من المنطقة الداخلية للجزائر بسفح الأطلس الصحراوي على بعد 300 كلم جنوب الجزائر العاصمة، ما بين خطي الطريق 02 ° و 03 ° شرقاً وخطي عرض 33 ° و35 ° شمالا، وهي نقطة التقاء في منتصف الطريق بين الحدود الشرقية والغربية للبلاد، ومحطة عبور بين الشمال والجنوب الكبير، وهمزة وصل بينهما كما أنّها تعتبر المدخل الطبيعي للصحراء.

موقع الجلفة جغرافيا بالنسبة للجزائر

تتمركز الجلفة بين أحضان السهوب الوسطى عند التحام الصحراء بالهضاب العليا، وتتميز بارتفاعها، عن سطح البحر بحوالي 1270م، ويندرج موقعها ضمن منطقة السهول السهبية، لذا سميت بعاصمة السهوب.

تحد ولاية الجلفة تسع ولايات هي: من الشمال: ولاية المدية وتيسمسيلت، ومن الشرق: كل من بسكرة والمسيلة، ومن الغرب: ولاية تيارت، ومن الجنوب الشرقي : ولاية ورقلة والوادي ، ومن الجنوب الغربي : ولاية الأغواط وغرداية، وما يلاحظ على هذه الولاية إنها الأكثر حدودية مقارنة بنظيرتها الولايات الأخرى قدرت بتسع ولايات.

دراسة الجبال والسهول، الأودية والشطوط تعد ضرورة لابد منها لأنها من خصائص التموقع الروماني إذ يجمع جل الباحثين انه "حيثما وجدنا المياه الجارية والأودية الدائمة رصدنا الأماكن الرومانية إما عن الجبال وهي أماكن كانت تتحصن بها قبائل "الجيتول" الدفاعية تبقى محروسة في عيون الرومان لكنها بعيدة وغير مفضلة لهم"[2].

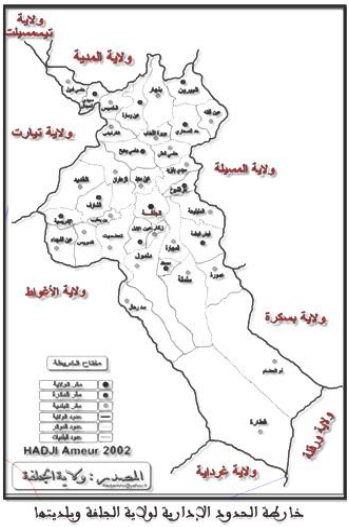

خارطة الحدود الإدارية لولاية الجلفة وبلديتها

3- الأدلة القديمة لجغرافيا المنطقة وتضاريسها:

جمال السلاسل الجبلية، الهضاب والسهول في الجزائر سمة ربانية، لما تتتميز به من مرتفعات، منخفضات، حمادة وقمم تتوزع على تراب الجزائر في الشمال والجنوب والشرق والغرب وقلب البلاد، بدا من الشليف المشهور الى اعالي جبال مشنتل (جبال السحاري) باب الفتوحات والتخوم الاولى للصحراء جبال اولاد نايل مطلع الثورات وعلاقتها في الغرب بجبال العمور، وشرقا ارتباطها بالزاب تاريخيا، تضاريس تتميز بها الجزائر وتميزت بها الجلفة إما من السلاسل التي تمر عبر ترابها أو ما يجعلها حدودية لها .

وعلى غرار التضاريس التي تميز باقي الإنحاء في الجزائر، فان الدليل العسكري الجـــغرافي "لتـــونس و الجـــــزائر "(كتاب

فرنسي) تحت عنوان رئيسي الهضاب العليا يبرز أهمية جبال أولاد نايل والزاب جنوب شرق الجلفة إذ يوضح أهمية "الزاغزين" الزاغز الغربي الذي يتواجد قرب الطريق الوطني الأول (الشمال الغربي) بارتفاع يصل الى 870 م بامتداد طولي يتراوح مابين 30 الى 40كلم فيما يتراوح عرضه من 10 الى 15كلم، ويستقبل التراكم المائي القادم جنوبا من سفوح جبال "سن الباء" عبر وادي الحاجية ووادي ملاح بالجلفة، في حين الناحية الشرقية من الجلفة تحوي على زاغز الشرقي ويستقبل من جنوب امجدل بالمسيلة[3] .

كما يبرز أهمية جبال أولاد نايل وقمم بوكحيل هذه الأخيرة التي تاتي على حافة وادي جدي وتلتقي مع جبال الزاب وياتي بينهما المجرى الجميل لوادي الشعير ممرات وفتحات وسط التلال طرقها تؤدي الى الشرق والشمال الشرقي تستعملها قوافل اولاد نايل في الهجرات السنوية في المنطقة ومن أسمى المشاهد النايلية وأبهاها قوافل "المرحول"، وكذلك من ابرز أسباب التسمية بجبال اولاد نايل "في هذه الجبال كانت تاتي قبائل اولاد نايل لنصب خيمها والتخييم صيفا في أعاليه، بدا من ضاية تعظميت بالجنوب الغربي الى الشمال الشرقي لبوسعادة، وصولا الى النواحي الجنوبية من حوض زاغز المتواجد بشمال الجلفة وصولا الى نهر الصحراء (وادي جدي) في الجنوب"[4]، في هذا الجزء من المنطقة الجبلية (الجنوب الشرقي) التي يتواجد بها اكثر من عشرون مكانا ومنعرجا، وتحوي على عدة أودية كثيرة ووفيرة من واد الدرمل (واد بوسعادة)، حوض الزرزور، واد مجدل، واد الشعير، شط الحضنة وغيرها من مصادر الحياة المتاخمة للمنطقة بالإضافة إلى الأخرى التي تقع في تراب المنطقة... فوادي الجدي الطويل الذي يحد سلسلة الأطلس الصحرواي من الجنوب ويصب في شط ملغيغ (البحر الداخلي) لقد كان "نهر" واد الجدي يسقي جميع الضفاف المجاورة، لكن مع مرور الزمن أصبح "وادي العطش" لظهور وترسب الرمال على مياهه السطحية.

أما عن وادي مسعد الذي يقع أسفل الاغواط فهو واد صحراوي أي عادة ما يكون جاف تتجمع مجاريه بواد مزي، ويتغذى على المياه النازلة من جبال الحويطة عبر الشروخات الصخرية باتجاه وادي الجدي مرورا بقصري الحيران العسافية[5].

واد تادميت (يقول الجغرافي : الذي نحن جالسين فيه) فهو الرافد الرئيسي الذي يعبر به واد جدي التلال الجبلية وهو من أهم الممرات التي كنا نتحدث عليها والتي تستعملها قبائل أولاد نايل في المرور إلى الضفة الأخرى[6]. (لاحظ أن هذه

المنطقة المائية والأكثر منابع تعد جوهرية مستقبلا في موضوعنا، خاصة وان جل الحضارات قامت بجوار مصادر الحياة المنابع المائية، فالحضارة الفرعونية حول نهر النيل والبابلية حول نهري دجلة والفرات وسميت بحاضرة مابين الرافدين .....الخ).

بالإضافة إلى منطقة حجر الملح، جبل الجرف وزنينة حيث يصل ارتفاعه 1500م، جبل السحاري وغيرها من التفاصيل الكثيرة التي لم نذكرها في جغرافيا الجلفة وتضاريسها حفاظا على محتوى موضوع البحث إضافة إلى أماكن عدة مثل قصر عمورة ، زنينة، الشارف ومجبارة .... كلها أماكن عتيقة لها بعدها التاريخي باعتبار أن هذا المرجع الضخم الذي طبع سنة 1890 وغطى كل من إقليمي تونس والجزائر معا، كما أن هناك مقال شيق ودسم على صفحات "خيمة التراث" البوابة الحاملة والحافظة لتراث الجلفة وتاريخها قدمه الاستاذ المسعود بن سالم جمع فيه الجبال كاملة المتواجدة بالمنطقة، وعلى غرار هذا كنا نستطيع أن نستعين بالوضعية الجغرافية في الجلفة وتنوع تضاريسها وفقط من خلال المصادر الحديثة لكن للبعد التاريخي حلاوة يتذوقها الملم بتاريخ وقيمة الجلفة كنواة في قلب الجزائر الأم على مر الزمان، ثم لاكتشاف مدى الأهمية القصوى التي توليها السلطات الفرنسية إلى الثروات والخيرات بالمنطقة في إحصاء كل الموارد الطبيعية بالتدقيق في عرض الأودية وطولها وقمم الجبال تفاصيل قد لا نجدها في المراجع الحديثة.[7]

وادي الجدي
منظر الغروب من مدينة مسعد(بالجلفة)

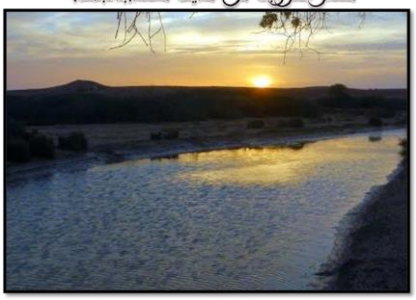

المحور الثاني : الاكتشافات الأولى في المنطقة

من الممتع ان نعتمد ونبين الاكتشافات الأولى النظرية التي قام بها العديد من الاثاريين، ومن الاروع لما تكون مقرونة بسلسلة من الحفريات الا ان هذا الجزء من الدراسة سنقتصر فيه على الاكتشافات النظرية دون الحفريات والتنقيب التي اقيمت في فترات مختلفة، وبما انه لا يمكن الحديث عن الرومان دون ذكر قصر مسعد في الجلفة، كما ذكر الصديق الباحث الاستاذ حكيم شويحة في مقاله الذي ثبت ووتد فيه "كاستيلوم ديمدي" وفق حفريات "شارل بيكارد"، وعليه فان جل البحثيات نظرية او حفرية او استطلاعية كالتي قدمها "بارداز" كان

هدفها الاول توضيح وتحديد الليمس الجنوبي وهو اخر خط دفاع روماني حسب المختصين.

1- **مسعد** : تقع مسعد جنوب ولاية الجلفة، فمن ناحية التقسيم الاداري يحدها من الشمال عين الابل والمجبارة وغربا والجنوب الغربي يحدها دلدول وسد رحال ومن الجنوب قطارة وأم العظام ومن الشرق سلمانة، مدينة يغلب عليها الطابع والمناخ الصحراوي بتاثيرات قارية، فموقع مسعد ووزنها في التاريخ يترجمه لما استوطن الانسان هذه المنطقة منذ العصور الأولى، بدءا من العصر الروماني إن لم نذكر العصور التاريخية الاخرى، واهمية تضاريسها ممثلة في المرتفعات على طول الاطلس الصحراوي منها جبال بوكحيل الاشم، وكذلك الاودية التي نذكر منها واد مسعد الذي يمر بوسط المدينة ويعرف ايضا بوادي الحميضة، وواد الجدي جنوبها.

لابد ان نعرف ان مسعد مهد الصناعات التقليدية الجلدية والنسيجية،

2-**خط الليمس**: من أهم التحصينات الرومانية في الشمال الأفريقي خطُّ الحدود أو الليمس الذي اتخذته السلطة الرومانية لتدعيم نفوذها في الشمال الأفريقي، وهو عبارة عن خط دفاعي محصن على طول الحدود الجنوبية، ويتكون من الخنادق والطرق والمراكز العسكرية[8].

لتحقيق أهدافها صادرت روما أراضي الأهالي، كما حّددت إقامة بعض القبائل، وطرد أخرى إلى الجبال، كما قامت بغلق ممّرات عبور البدو الّرحل، و حّدت من تنقلهم بين الصحراء والسهول، ولتأمين استغلال هذه الأارضي انتهج الرومانيون الخط العسكري المعروف باللّيمس.

بالرغم من الاختلافات الواردة في شرح مصطلح الليمس بين المؤرخين فهناك من يرى أن هذه الكلمة لاتتعّد معناها "الحّد الفاصل بين الحدود الإمبراطوريّة الّرومانّية وجيرانها حيث ارتبط فيها مصطلح بقطاع الفلاحة وهو مايعني تجزئة الأراضي وتقسيمها في شكل مرّبعات، وبعد ذلك تطور استعمال المصطلح في الميدان العسكرّي، ليصبح مجاله اوسع كمفهوم لتحصين للحدود ونظاما عسكريا في تنظيم وتدعيم حدود الامبراطورية[9].

ويذكر محّمد الصغير غانم أن اللّيمس هو المنظومة الّدفاعّية العسكرّية الّرومانّية لتحصين المقاطعات القيصرّية و مراقبة أهل الجهة الشمالّية في نوميديا والعمل على زيادة التّو سع نحو التّخوم الجنوبّية من جهة أخرى، كما يقول ايضا: "يُعتبر خط اللّيمس من بين المؤسسات العسكرّية الّدفاعّية التّي أسسها الّرومان"،

وهي بمثابة "حازماً أمنّياً واقياً للآلّية العسكرّية الرّومانّية في وجه الثّوارت المحلّية"[10].

3-مغامرات تحديد خط "الليمس" الجنوبي:

3-1-مسار بلونشيت الافتراضي:

ولعل أهم دراسة قدمت في علم الآثار الإفريقي اتجاه المنطقة الصحراوية هي تلك السلسلة من الاكتشافات والتي قام بها الباحث "بلونشيت" وهو يتبع الآثار الرومانية من خلال استقصاء لكل بر وحجر واقتفاء الأثر خاصة في استنطاق خصوصية الفكر الروماني في التنقل والغزو والتوسع نحو الأقاليم الأخرى، فراح يبحث عن أي طريق ومسلك يكون قد قطعته الجيوش الرومانية إلى الصحراء، وبذلك درس وفتش عن آخر نقطة وصل إليها الرومان في البلاد الإفريقية الوسطى وهو ما أورده في جملة من الأبحاث عن منطقة وصل إليها الرومان حيث أكد أن المنطقة العليا من ضفة النهر "لواد جدي"[11]، ليست النقطة الأخيرة الحدودية للرومان وهو يقصد المناطق الشرقية العليا، وبذلك يفترض انه للرومان حدود أخرى غير هذه باتجاه الصحراء، بعدما استشهد أن بقايا الحصون والقلاع والآثار الموجودة في جنوب جبال التل تعود إلى البربر، ثم إن الجنوب الغربي لمدينة بسكرة منطقة "الدوسن" بالذات[12]، وهي واحة احتلت عسكريا، وبما أن من البديهي حسب المختصين وعلماء التاريخ القديم أن الرومان والإغريق معا كانت لهم عقيدة موحدة اتجاه نهر النيل المقدس عندهم مستوحاة من معتقدات الحضارة الفرعونية ، فالبنسبة للرومان فرضية مفادها أن نهر النيل ينبع من سلسلة جبال الأطلس الصحراوي، وقد عددها جمع من الباحثين في دراستهم حول الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا، ولان الرومان كانوا يدمجون جميع أطياف المجتمعات والقبائل شريطة استحواذهم على السهول الواسعة والأراضي الخصبة وأماكن المياه الجارية فقد أورد الأستاذ "محمد بشير شنيتي" أن إفريقيا كانت تجود بأهم أنواع القمح الصلب خاصة إفريقيا الشمالية ، وبعد احتلالها رومانيا فان التوسع نحو السهول لابد[13]، وبما أن المناطق الداخلية للجزائر آنذاك بالذات تنتج على فصلين مادة القمح فان الرومان قد وجد ضالته وخير دليل على ذلك مواطنه في كل من سطيف، جميلة وباتنة مدينة تيمقاد الأثرية، كلها عوامل ومبررات وأسباب للتقصي يعتمد عليها المستكشفين والباحثين في اقتفاء الخطى الرومانية وهو ماجعل "بلونشيت"من واحة الدوسن ببسكرة يلتفت عبر طريق تَلَعَة (مسلك نقاطه أكثر

انخفاضا في النهر) ناحية الشمال الغربي عبر وادي السادوري. [14](يجدر بالذكر وجود حصن السادوري الروماني المعزول والذي يقع على 36 كلم شمال غربي الدوسن، ولكن أهميته تكمن في مراقبة ثلاثة منخفضات، لأنه يقع على ارتفاع مهم، في منخنق ومنحصر بين ثلاث سلاسل جبلية)[15] .

ويصر على انه الطريق الصريح والمؤكد دون أن يقدم دلائل على بوصلة اتجاهه هذه، إما لمعلومات مسبقة عنده أو استقراء لمعارفه وتحصيل لخبرته الميدانية في المجال فصدق من قال:"الخبرة تتغلب على الذكاء"، وتبقى المبررات التي ذكرناها سلفا إحدى الخطط المتبعة ضمنيا، وهذه الطريق أيضا التي يتجنب ماهو غربها، لم يوضح "بلونشيت" سبب الخطر المحدق من الجهة الغربية لكنه أشار إلى وضع البلد (الجزائر) المتأزم وبما أن المدينة منطقة عسكرية فانه على الأرجح كان خائفا من فتيل المقاومات الشعبية في المنطقة خاصة وان المنطقة تعتليها الجبال الاوراس الأشم، هذه المنطقة التابعة لمدينة بسكرة إداريا عرين ثورة الزعاطشة، ملحمة الجنوب الشرقي بقيادة الشيخ بوزيان وبمشاركة شيخ المجاهدين موسى بن الحسن الدرقاوي بمعية أسد الصحراء الشيخ التلي بلكحل وغيرهم من الأبطال والشهداء وشهداء الجماجم المرقمة رحمهم الله أجمعين.

وبعد الوصول إلى وادي الشعير يعتقد "بلونشيت" انه بإتباع أطراف النهر أو الوادي من جهة الجنوب الغربي، تبصر الممر الذي يحده في الشمال الغربي جبال بوكحيل التابعة للجلفة ومن الجنوب الشرقي سلسلة جبلية متوازية مع وادي جدي، على طول هذا الممر خط من الأطلال والآثار الرومانية حيث : القاهرة، برج واد الشعير، عين الريش، عين الشاعر، عين الكحلة، عمورة، عين البرج، سلمانة، مسعد، قصر النثيلة، وفي الأخير قصر الفج بحوالي 30 كلم عن مدينة الاغواط ولا يعتبر من السلسلة المذكورة آنفا.

2-3-ردود ستيفان ڤزال حول رؤى "بلونشيت:"

من جهة أخرى حسب "ستيفان ڤزال" في تعقيب منه على أبحاث "بلونشيت" الذي أعجبته فرضية المسار والسلسلة[16]، لكن له رأي آخر إذ يرى انه من الصعب تأكيد ذلك لان خط الربط العسكري الموريطاني واقع بخط عرض 34 درجة، والذي في بداية القرن الثالث كان يمر جنوب مدينة بوغار(المدية) بالخط الذي درجته 30، والذي يمر ابتداء من الغرب بكل من المدن :سانق (المدية)،طنطا وشلالة

العذاورة (المدية)، ثم غريميدي (سيدي عيسى بالمسيلة)[17]

وعلى هذا يفترض أن الأكثر دقة حسب "قزال" أن من واحة الدوسن (بسكرة) وباتجاه الشمال الغربي عبر وادي السادوري كما ذكر "بلونشيت" لكن إما بوادي كريبع وصلت إلى وادي الشعير في موقع مهم من منطقة القاهرة، ومن ثم ناحية شط الحضنة ومن ثمة ستنضم إلى خط غريميدي، شلالة العذاورة وسانق.

"مصطلح الممر الكلسي هي معلومة مغيبة عن الجلفاويين وسكان الصحراء حيث لم نسمع عن تسمية ممر بوكحيل بهذا الاسم من قبل بالرغم من تفرد جبل بوكحيل وممراته ومسالكه بخصائص جمة، لذلك يعتبر هذا المصطلح من مكاسب هذه الدراسة وحسناتها لترويج المصطلح من وإعادة بعثه من جديد ."

وإذا ما نظرنا إلى هذا الموقع جغرافيا فهو نقطة التلاقي بين أربع ولايات ومنطقة التداخل بين الأطلس التلي والصحراوي شرقا ويسمى ببوابة الزاب الغربي بالنسبة لبسكرة ناحية الاوراس كما عددها الأستاذ "اسماعيل العربي" (رحمه الله) في كتابه الصحراء الكبرى وشواطئها، فهو جد مهم من الناحية الدفاعية إزاء زحف القبائل الجنوبية باتجاه الشمال، بالإضافة أنه ملتقى مائي تتقاطع فيه مجموعة من الأنهر والأودية المائية لذلك لو عرجنا على الحدود المتاخمة له فهي كلها مناطق ومدن رومانية تحوي على أثار وأطلال منها ما هو موجود ومنها اتلف وخرب (لاحظ أن مصطلح "الخربة" وهو لفظ يطلق على الأماكن التي عادة ما كان بها آثار أو لها مدلول تاريخي وهو مصطلح متداول بكثرة في الجلفة، المسيلة والاغواط).

منظر من مدينة ليوة(بسكرة)

وادي الجدي

كانت أبحاث "بلونشيت" الأثرية واكتشافاته الجغرافية الأولى من نوعها بالنسبة إلى الجلفة ولم يكمل مسيرته بالنسبة لمشروعه البحثي للجلفة لأنه مختص بقطاع قسنطينة في حين أن الجلفة تتبع مقاطعة التيطري (المدية) آنذاك، فقد تحول الى الشرق وتحول إلى مهام إدارية عليا أخرى، وبالرغم من قصر المعلومة إلا انه أبان عن جزء مهم من خط الليمس المشهور وأعطى صورة عن وصول الرومان إلى مناطق معينة يجب تعميق البحث فيها مستقبلا، ولو أن

مجمل ما قدمه كان نظريا هذا لا ينفي أنها مادة دسمة في يد الباحثين والأثريين من بعد، إذ نبه إلى ممر جبل بوكحيل اتجاه مسعد ، ثم أشار إلى أهمية قصر القاهرة من دون أن يشير إلى أي معلومة أخرى (سؤال وجيه)، لكننا نعلم أن مفاد أبحاث "بلونشيت" هي إدراك الأطلال والآثار الرومانية أينما وجدت ... هذه الأعمال التي بدورها تعرف حيوية فيما بعد بالنسبة "ستيفان قزال" خاصة على النطاق الجنوبي لمدينتي سطيف وباتنة وأجزاء من مدينة بسكرة.

في الحقيقة لا تقتصر الأبحاث الأثرية، التاريخية والجغرافية وحتى عمليات التنقيب الحفريات على أعمال المهندسين وعلماء الآثار فقط.

منظر الوادي بالغرب من الشعبة

وادي الساهوري

خريطة توضح مجرى الوادي من الدوس باتجاه الشعبة

لكنها تعدت أيضا إلى جموع العسكريين وكل المثقفين والمهتمين الفرنسيين في المجال وحتى البعثات الوافدة إلى البلاد الجزائرية آنذاك، فتجار الجوائز والكنوز في كل مكان ثم إن الجزائر تحت وقع عمليات السلب والنهب لكل مقوم ينعش الذاكرة التاريخية للبلد ويضعف هويته مستقبلا (هكذا ظنت فرنسا)، فالحرب الثقافية بدأت في أوجها أو حتى قبل الاحتلال العسكري لما تشير إليه المصادر أيان الدولة العثمانية من بعثات أجنبية إلى المنطقة الصحراوية الجزائرية والتي كانت اذرع استخباراتي لتحريك الآلة الاستعمارية فيما بعد، في قالب بعثات علمية .

وبغية إثارة الموضوع لابد أن نتساءل: لماذا تم بناء نمط الدراسة على تخوم الجلفة في الجنوب الشرقي ولماذا مدينة بسكرة على غرار المدن؟ فقط لان الجلفة حظيت بأكبر وفود روماني من خلال حاضرة مسعد وقصورها كما سنرى لاحقا من خلال "كاستيلوم ديميدي"، وهذه الحاضرة متاخمة لمدينة بسكرة من اولاد جلال قبل ان تصبح ولاية قائمة بذاتها، وكلاهما تعتبران همزتي وصل بين الصحراء والتل كما أسلفنا ذكرا أن الأطلس التلي يحتضن الأطلس الصحراوي في الجهة الشرقية من البلاد من خلال جبال بوكحيل "الزين" وما أدراك ما بوكحيل إبان الثورة التحريرية، الذي

صدحت به وضرخت باسمه ألسن شهداء ومجاهدي ثورة التحرير، فهذا المجاهد عبدالقادر(رحمة الله عليه) الملقب بـ"فاندي" وذكر في مقام بوكحيل :

ماني داري بوكحيل نغشر فيه

ونعاشي مرسوم في رووس جبالو

يوما قُش فرنسا ما نسكن فيه

وخاطري ماصبر علـيه ما هنالو

جبل بوكحيل الناس تقول عليه

وجملت الأبطال فيه من كل عماله

ماشدوا من الرصاص ونطحوا ليه

لهذي الشجاعة من قلوب الرجاله

وعليه، فجملة التساؤلات التي طرحت من قبل علماء الآثار والباحثين في الحضارة الرومانية من ضمنها: ما هي ابعد نقطة وصل إليها الرومان؟ هل وصل الاجتياح الروماني إلى بلاد الصحراء؟ ما تفسير وجود الآثار والأطلال العتيقة في تخوم الشمالية للصحراء ؟ لكل هذه التساؤلات إجابات منطقية واضحة منظمة ومرتبة نستعرض الأهم منها في تفسير رومانية حواضر الجلفة وقصورها لإضفاء البعد التاريخي الحقيقي لها.

الخاتمة:

إن الدراسات البعدية والاستكشافات المتعددة والمتوالية بينت بصورة جلية حدود الرومان لكن فك شيفرة خط الليمس لم تكن متزنة نوعا ما، فتواصلت الجهود وتكاثفت في هذا المجال ، خصوصا التداخلات بين ماهو سواقي ومجاري مائية رومانية وخنادق وخط دفاع كما الحال في مرات يكون سورا وفي مرات عدة متقطع ....

في نفس الأوقات كان الباحث الشهير في الآثار "كانيات" واضحا من خلال قراءته وأعماله لأبعاد حدود الامبراطورية الرومانية إذ اجزم بان أخر حدود لها باتجاه الصحراء هو وادي جدي، مما يجعل القارئ يستفسر هل وادي جدي او كما يحلو تسميته "بالنيل النائم" من ضمن ممتلكات الدولة الرومانية؟ أو مجرد حدود خارجية سواء (ليمس طبيعي أو ما قبله من سور اصطناعي إن وجد)؟ والذي يجيب بدوره على إمكانية أن مسعد مدينة رومانية أو مركز للحراسة كل الآراء والأحكام واردة فإذا كانت مسعد مدينة كذلك .. فما محل الآثار التي وجدت بالجلفة وعين معبد وبعض الإشارات والرموز الموجود بجبال "حواص" أو الساقية والجب الموجودة بأعالي مدينة بن يعقوب وكذلك الخربات(جمع خربة) ببلدية دار الشيوخ، ولعل أهمها مدينة زنينة العتيقة

(الادريسية حاليا) .... سنحاول أن نفسرها قادما بعد أن ننهي الرحلات وبعثات الاستكشاف حوالي المنطقة وموقع الجلفة في قلب التاريخ لدى الرحالة والجغرافيين وخبراء الآثار، لذلك لا تذهبوا بعيدا فقريبا عبر بوابة المركز الثقافي الاسلامي سنلتقي مجددا بحول الله وقوته للكشف عن الجزء المتبقي من هذه الدراسة حول البقايا الرومانية والعطايا المادية والفكرية المهمة من تاريخ الجلفة .

الهوامش :

1. الشايب محمد بلقاسم، الجلفة تاريخ ومعاصرة، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ، ص31 .

وفي بعض المصادر الشفوية يقال:"إنّ هناك رجلين كانا مارين بالمنطقة فجلسا ليستريحا ويتناولا غذاءهما وكان من بين زادهما البطيخ، فبعد الأكل والاستراحة واصلا سفرهما إلى الوجهة التي يقصدانها ، وفي منتصف الطريق تفقد أحدهما السكين فقال لصديقه أين السكين ؟ فردّ الآخر لقد تركناه في الجلفة ، وكان يقصد قشرة البطيخ "، ولقد أكد رئيس البلدية السابق الحاج "علي إبراهيمي" في اليوم الدراسي بالمركز الثقافي الإسلامي حول ترسيم الجلفة الذكرى 159في 20 فيفري2020، على صحة التسمية الأولى الواردة في التأصيل في حين فند التسمية الثانية باعتبارها رواية شفوية عابرة .

2. تزخر منطقة الجلفة بمواقع أثرية ومعالم تاريخية والتي تروي قصة حضارات ضربت جذورها في أعماق التاريخ وتشهد على وجود الإنسان منذ العصور الحجرية ، وقد تكون هذه المواقع مكانا به بقايا من نشاط إنساني كالصناعات الحجرية، أو النحت على الصخور، أو مقابر جنائزية ، أو أطلال لقرى ومعسكرات وحصون رومانية ، أو أضرحة ومساجد وقصور قديمة ، أو مبان ومراكز مختلفة تعود للفترة الاستعمارية والثورة التحريرية ، فالمنطقة تحتضن مواقع أثرية لمختلف الفترات تعكس القيمة الحضارية والتاريخية لها.

3. G´EOGRAPHIE MILITAIRE ALG´ERIE et TUNISIE 2`eme ´édition 1890 IMP 2005Page 28 ,29.
4. Ibid. Géographie Militaire Page 30
5. Ibid. Géographie Militaire Page 32.
6. بما ان الجغرافي قد أشار الى جلوسهم في واد تادميت بالقرب من مسعد، بعدها بوقت وجيز خلال اكتشاف جغرافيا الصحراء وصف جمال الطبيعة والحيوانات والبرك المائية بعد فيضان سنة 1884 بواد مزي نحو مدينة الاغواط ، وبالتالي إن عمليات التوثيق لجغرافيا الجلفة كانت قبيل سنة 1880 ، ص32 .
7. اقتصرنا على استعراض بعض التضاريس المهمة لولاية الجلفة من سهول، جبال وأودية وكذلك على تخومها من الولايات التي تحيط بالموضوع وتحرك مجرياته للحاجة، دون أن نقوم بعرض كافة التفاصيل من التضاريس لجغرافيا الجلفة.

8. للمزيد حول الليمس انظر الى مقال الاستاذ حكيم شويحة منشور بموقع جريدة الجلفة-انفو الالكترونية.

9. ع.اعراب، "التحصينات الرومانية في جنوبي نوميديا وموريطانيا القيصرية القرن الاول إلى القرن الثالث وآثارها)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010،ص 11.

10. محمد الصغير غانم، تراث منطقة بسكرة والتخوم الاوراسية، مطبعة عمار قوقي، باتنة، ص13-56.

11. وادي جدي في صحراء الجزائر يشق طريقه من الغرب الى الشرق ومن واحة الى اخرى يعانق بكل ود كثيرا من المدن التي تعشقه ويعشقها وقد ارتبطت به عبر الزمن فكان رمز الخصب والادب والثقافة والاخضرار الدائم احبه الشعراء وتغنوا في ضفافه بأجمل القصائد الخالدة، وادي الجدي الذي يربط بين المغرب والجزائر وتونس هو ثاني وادي بالجزائر من حيث الطول حيث ينطلق من جبال لعمور قرب الحدود الجزائرية المغربية وينتهي مصبه عند شط ملغيغ قرب الحدود التونسية...هو وادي من أهم وديان الجزائر، كل جريانه في إقليم ولايات الأغواط ، الجلفة من مدينة مسعد ، بسكرة و وادي سوف يوجد عليه سد سكلافة بمنطقة تاجموت ولاية الأغواط ويسمى بمزي من المنبع حتى منطقة تاونزة ثم يصبح يلقب بوادي جدي حتى المصب.

12. يقع الدوسن إلى 15 كلم شمال أولاد جلال ببسكرة ، و 25 ميل غرب جيملاي ، وهو يمثل أهم مركز مراقب بين الشمال وذراع الرمل جنوبا ، أين يقطع الخندق وادي جدي ، وبالتالي(Limes) فهو جزء أساسي في خط الدفاع .

13. [1]الأستاذ محمد بشير شنيتي بروفسور في تاريخ وأثار المغرب القديم، أستاذ محاضر بجامعة الجزائر، شغل عميد بكلية العلوم الإنسانية بجامعة ادرار، مدير هيئة وطنية للبحث ورئيس مجلة علمية محكمة في التاريخ والآثار، له مجموعة من المؤلفات تختص بالتاريخ الروماني في إفريقيا .

14. وادي السادوري يجري منبعه بين الدوسن باتجاه بلدية الشعيبة شمالا ببسكرة .

15. لفهم تفاصيل الأماكن والأودية والطرق القريبة والواقعة من جبال أولاد نايل ، الزاب وبوكجيل لان بعضها قد تغيرت أسماؤها ينصح بمراجعة " كتاب الجغرافيا العسكرية- الجزائر وتونس، النسخة الفرنسية 2005 ، ص 29،30،31".

16. ستيفان قزال (S.Gsell) عاش الفترة (1932/1883) مؤرخ عالم آثار فرنسي اختصاصي في حفريات الحضارات القديمة في شمال إفريقيا والوجود الروماني في الجزائر، عضو في عدة منظمات واكاديمات والجامعات في الأبحاث الدولية ابتداء من 1912. ولد في باريس عام 1864 ، تحصل على التبريز في التاريخ، والدكتوراه في الآثار عام 1894 . تم تعيينه عام 1890 في كلية الآداب بالجزائر . كتب الكثير من المقالات حول الكتابات والمباني الأثرية التي اكتشفها، كما ألف عن استغلال الآثار في ناحية قسنطينة. ولكن أهم عمل قام به هو إصداره عام 1901 كتابين كبيرين حول آثار

الجزائر القديمة . وبين عامي 1902 و 1911 أخرج كتاب أطلس الجزائر الأثري . وفي 1922، نشر الجزء الأول من كتاب الكتابات اللاتينية في الجزائر . ومن 1913 إلى غاية وفاته عام 1932 اعتكف على كتابة تاريخ شمال إفريقيا القديم ، وجعله في ثمانية مجلدات.

17. مدينة سيدي عيسى أو كما يحلو لأبنائها تسميتها بـ "عواس" تعتبر ثالث أكبر مدينة و من أقدم المناطق التي عمرها الإنسان بمنطقة مسيلة حيث نجد بها أثار المدينة الرومانية "عين غريميدي" الواقعة على بعد حوالي 4 كيلومتر من مقر مدينة سيدي عيسى، ارتبط تاريخ وتسمية المدينة بالولي الصالح القطب الرباني سيدي عيسى بن امحمد بن ناصر المشهور بـ"سيدي عيسى بوقبرين" رحمه الله.

ترقية الوعي البيئي لدى أفراد المجتمع لأجل حاضر ومستقبل بيئي أفضل

أ. قطاف سلمى

ماستر أكاديمي في العلوم الاقتصادية

جامعة زيان عاشور الجلفة

° ° °

مقدمة

تمثل البيئة الحيز والمحيط المكاني للإنسان الذي يستمد منه مقومات حياته ويمارس فيه تفاعلاته وعلاقاته مع الآخرين وتتكون من أربعة نظم مرتبطة : الغلاف الجوي والغلاف المائي واليابسة والمحيط والجوي، إلا لأن بعض ممارسات الإنسان في محاولاته لتكييف العناصر البيئية لرغباته واحتياجاته المتعددة عبر العصور كان لها الأثر المباشر على البيئة محدثا تغييرا يتزايد بمرور السنوات على النظم البيئية، ولاسيما مع التقدم التكنولوجي المتسارع مع بداية القرن الواحد والعشرين وما صاحبه من استنزاف وسوء استخدام للموارد الطبيعية الذي أفرز اختلال التوازنات البيئية في صورة مشاكل بيئية كالاحتباس الحراري وآثاره الجلية في ذوبان الأنهار الجليدية ونقص منسوب الأمطار وارتفاع معدلات درجة الحرارة من سنة لأخرى وتغيرات المناخ على المدى البعيد ، والتلوث البيئي العابر لحدود من تلوث الهواء والمياه والتربة وتقليص مساحة الغابات والتصحر والجفاف وفقدان التنوع البيولوجي في الكرة الأرضية نتيجة اختلال النظم البيئية، وهو ما حذى بالدول والحكومات والمنظمات الغير الحكومية والمهتمين بالبيئة والأدبيات والفعاليات الخضراء إلى القيام بمختلف الأنشطة الرامية إلى حماية البيئة من سن القوانين والتشريعات وعقد المؤتمرات والمتلقيات إلا أن هذا لا يضمن وحده التصرف السليم للفرد تجاه بيئته وإن السبيل الأنجع نحو خلق سلوك بيئي قويم هو إكساب الفرد جملة من المعارف والقيم البيئة من خلال العمل على ترقية الوعي البيئي لدى أفراد المجتمع الذي يعكس المستوى الحضاري للبلد مترجما سلوكا بيئيا قويما ينبع من الشعور بالمسؤولية الأخلاقية والوطنية تجاه البيئة التي يعيش فيها متأثرا بها ومؤثرا فيها.

الإشكالية:

- ما سبل ترقية الوعي البيئي لدى أفراد المجتمع ؟

المحور الأول: ماهية الوعي البيئي

أولا: مفهوم الوعي البيئي

ثانيا: الوعي البيئي في الفكر الإسلامي

ثالثا: المراحل التاريخية لتشكل الوعي البيئي

رابعا: نتائج غياب الوعي البيئي

المحور الثاني: سبل ترقية الوعي البيئي

أولا: الأسرة

ثانيا: المسجد

ثالثا: المؤسسات التعليمية

رابعا: الإعلام

خامسا: المنظمات الغير حكومية

المحور الأول : ماهية الوعي البيئي

إن الوعي هو الإدراك القائم على الإحساس والمعرفة الذي يساعد الفرد على اتخاذ القرار السليم وتبني السلوك القويم تجاه قضية معينة، يترجم الوعي البيئي الاهتمام بالقضايا البيئية.

أولا : مفهوم الوعي البيئي :

1-تعريف الوعي البيئي :

إكساب الأفراد والجماعات الخبرة والدراية الكافية بعناصر ومكونات وقضايا وإشكاليات البيئة وفهم العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الإنسان وبيئته وتقدير قيمة المكونات البيئية الأساسية المحيطة والتعرف على المشاكل والإشكاليات البيئية والتدرب على حلها ومنع حدوثها وتجنب الوقوع في الكوارث البيئية أو ذات الصلة قبل وقوعها وما يترتب عليها من أزمات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية في بعض الأحيان1.

2-أبعاد الوعي البيئي :

•البيئة ومكوناتها :

وأهم مواردها وأهميتها والمفاهيم البيئية المرتبطة بها مثل (النظام البيئي، التوازن البيئي، الموارد البيئية ، المشكلات البيئية)

•العوامل والأسباب المرتبطة بالمشكلات البيئية المحلية والعالمية ومنها على سبيل المثال مشكلات التلوث البيئي، الزيادة السكانية، إهدار واستنزاف الموارد الطبيعية، انتشار الأمراض المجاعات ونقص الغذاء، التشوه الجمالي للبيئة.

•الأضرار والمخاطر المرتبطة بكل مشكلة من المشكلات البيئية.

•القيم والاتجاهات والسلوكيات الإيجابية اللازمة لحماية البيئة والمحافظة عليها ومواجهة مشكلاتها.

•اقتراح قرارات وحلول لبعض المشكلات البيئية ووجود رغبة في المشاركة والمساهمة الفعالة في حل هذه المشكلات لحماية البيئة والمحافظة على مواردها[2].

ثانيا : الوعي البيئي في الفكر الإسلامي

إن الله سبحانه وتعالى كرم بني آدم وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلق وسخر لهم ما في السموات والأرض وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة فكل ما

في الكون مسخر لخدمة الإنسان وجوارحه، أمانة حملها الإنسان بالإضافة إلى أمانة التكاليف ... وشأن من حمل الأمانة ان يقوم على حفظها وسهر على رعايتها خاصة إذا كان في ذلك أساس حياته السعيدة والإخلال بها هو شقاء وتعاسة ولكن الإنسان مع أنه حمل الأمانة إلا أنه كثيرا ما فرط وقصر فعاد عليه ذلك بالضرر والتهلكة فلقد خلق الله تعالى له الماء والهواء وسبل الغذاء وجعلها أمانة في عنقه فإن حافظ عليها حفظ حياته سليمة وصحته قوية .. وإن فرط فيها أصابته بالأخطار والأضرار وإن صحته الإنسان وراحته من أهم ما يحرص عليه الإسلام3.

قال الله تعالى " أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ 6 وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ 7 تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ 8 وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ 9 وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ 10 رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ 11)[4].

وفي السنة النبوية عن عبد الله بن حبشي قال، قال رسول صلى الله عليه وسلم (من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار) وسُئِل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال يعني من قطع سدرة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها[5] .

وهناك أدلة شرعية تربط رعاية البيئة باستحقاق الثواب الجزيل في الدنيا والآخرة باعتبارها صدقة جارية يستفيد الناس من فوائدها في الدنيا ويستفيد الانسان من ثوابها وأجرها في الآخرة حتى بعد موته ودليل ذلك ما ورد في الأحاديث النبوية فعن أنس بن مالك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة وفي رواية له (إلى يوم القيامة)، وروى البخاري في (الأدب المفرد) عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها وليس هناك دليل أقوى من هذا الحديث علة الربط العجيب بين رعاية البيئة واستحقاق الثواب الجزيل في الآخرة حتى وإن لم يتحقق الانتفاع بفوائد العمل في الدنيا فإن الإنسان يؤجر على القصد والنية، ففعل الانسان هنا عبادة اقتضتها مسؤوليته في القيام بحق الخلافة لله في الأرض وعمارتها، إن هذا الحديث يدل على الطبيعة المنتجة والخيرة للإنسان المسلم، فهو بفطرته عامل معطاء للحياة كالنبع الفياض لا ينضب ولا ينقطع حتى إنه يظل يعطي ويعمل حتى تلفظ الحياة

آخر أنفاسها، فلو أن الساعة توشك أن تقوم لظل يغرس ويزرع، وهو لن يأكل من ثمر غرسه، فالعمل هنا يؤدي لذات العمل لأنه ضرب من العبادة والقيام بحق الخلافة لله في الأرض، فإن الوحي قرآنا وسنة أحاط الكون والبيئة برعاية خاصة تتجلى مظاهرها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التي تحث الإنسان إلى سبل رعاية البيئة وحمايتها مما يتهددها، فأوجب الثواب لمن يحسن التعامل معها والعقاب لمن يخرق قوانينها[6].

وقد روى الإمام أحمد ما يفيد ان زراعة الأشجار من أعمال الطاعات، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر، كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله [7] وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المؤمنين)، وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم (بينما جاء رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له، فغفر له)[8].

من خلال هاته الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تعكس مكانة البيئة وتبرز بعض السلوكيات البيئية القويمة يتجلى عظيم شأن الإسلام في إحياء الضمير البيئي للإنسان من أجل صون كل مقومات حياته واستدامتها.

ثالثا : المراحل التاريخية لتشكل الوعي البيئي:[9] .

1-مرحلة الوقوف على الأعراض:

يعتبر مؤتمر الأمم المتحدة الذي عقد في إستكهولم سنة 1972 أو مؤشر لبروز الوعي البيئي واهتمام العالم بقضية صارت تمس حياته إلا أن في هذا المؤتمر لم تكن الصورة قد اتضحت بعد حيث استطاع هذا البرنامج لفت الانتباه إلى ظواهر على جوانب الخطورة مثل التصحر وغيرها من الظواهر التي شكلت تهديدا خطيرا على الموارد الطبيعية المتاحة وقد ترتب عليه إنشاء برنامج الأمم المتحدة البيئة UNPF (United Nations Environment Program)، وكانت المناقشات في غالب الأمر عن الأعراض وليس الأسباب.

2-مرحلة ربط الأعراض بالأسباب :

في هذه المرحلة استقرت قناعة الفكر البشري على العلاقة المباشرة بين التنمية والبيئة، بعد تمعنه في جوهر الأشياء وأسبابها خاصة بعد أن سطر برنامج الأمم المتحدة للبيئة والذي صار ملتقى للنقاش والعمق في الأسباب وكان هذا بمثابة أول مراحل النضج الفكري الرابط بين

المشكل البيئي وأسبابه، حيث أصبح من الواضح، أن ما تتعرض له البيئة من أخطار نتيجة لما يقوم به الإنسان من أنشطة حربية زراعية، تجارية وغيرها لا تتوافق مع البيئة ويخدمها بقدر ما يلوثها، وتعمل على تدميرها وبرز ذلك في تقرير اللجنة التي شكلتها الأمم المتحدة برئاسة برونتلاند – رئيسة وزراء النرويج – التي عنونته بـ "مستقبلنا المشترك" سنة 1987 وعرف باسمها وجاء على لسانها : "إن أنماط التنمية التي تستنزف موارد البيئة وتتسبب في إهدارها وتدهورها لا يمكن أن تستمر ولا بد أن تنهار.

3-مرحلة ما بعد ربط الأعراض بالأسباب:

مرحلة البحث عن العلاج الشافي للمشكلات الناجمة عن أنماط خاطئة للتنمية المتواصلة وأصبح موضوع نقاش وتحليل وتفكير من العالم كله خاصة بعد عقد الجمعية للأمم المتحدة سنة 1989 وتقرر عقد مؤتمر تحت شعار "البيئة والتنمية" الذي اعتبر أن التنمية المستدامة دليل عن نضج الوعي الذي وصل إليه الانسان إن لم يكن في التطبيق فهو على الأقل في حصر الأعراض وتشخيص المشكلات وتحديد سبل العلاج.

رابعا: نتائج غياب الوعي البيئي

إن التفاعل بين مكونات البيئة عملية مستمرة وتؤدي في النهاية إلى احتفاظ البيئة بتوازنها ما لم يطرأ عليها أي تغير طبيعي أو حيوي يؤدي إلى الإخلال بهذا التوازن فإذا ما اختل توازن نظام بيئي ما يتطلب الحصول إلى توازن جديد فترة زمنية تطول أو تقصر حسب الأثر الذي أحدثه الاختلال لذلك قد ينشأ اختلال التوازن نتيجة الطروف الطبيعية كالحرارة والأمطار وقد ينشأ نتيجة لتغير بعض الظروف الحيوية القائمة على علاقات المخلوقات الحية التي تعيش في البيئة وأثر بعضها على البعض كما ينشأ اختلال البيئة نتيجة لتدخل الإنسان المباشر في تغيير ظروف البيئة[10].

إن هدف المحافظة على التوازنات الطبيعية من التلوث لا يتعارض مع المشاريع التنموية التي تم التخطيط لها وفق توافقها مع التوازن الطبيعي غير أن بعض الناس يسيء سلوكيا في استخدام واستغلا هذه الموارد الطبيعية ومن أمثلة ذلك السلوك ما يلي:

- الإساءة إلى المنتزهات والمناطق الترويحية والسياحية التي تمنح الإنسان الهدوء والتأمل ويقيد له توافقه النفسي وشعوره بالأمن والراحة.

- تلوث الهواء بمختلف الوسائل التي تنعكس على الانسان صحيا ونفسيا.
- استنزاف المصادر المائية أو تلوثيها.
- استنزاف الموارد كالنفط والمعادن.
- إتلاف التربة.
- تقليص مساحة الغابات الطبيعية أو حرقها، وبذا يفقد الإنسان مكانا يخلو به إلى نفسه ويمتع نظره بجمال الطبيعة والتي تشعره بالأمان والراحة النفسية.
- الصيد الجائر للحيوانات وعدم حمايتها.
- تقليص المساحات الخضراء واتساع مساحات البناء.
- استخدام المبيدات بشكل يؤدي إلى القضاء على الحيوان والحشرات النافعة وتلوث التربة والماء[11].

المحور الثاني : سبل ترقية الوعي البيئي

مما لا شك فيه أن تزايد المخاطر البيئية وتجاوزها الحيز المكاني والزماني يتطلب وعي بيئي يترجم إلى سلوكيات فعلية يمكنها الوقوف أمام هاته التحديات والتهديدات للبيئة وللحياة على الكرة الأرضية برمتها من خلال اضطلاع كل مؤسسات المجتمع بمسؤوليتها البيئية .

أولا : الأسرة:

إن التوعية البيئية في المراحل المبكرة من الطفولة ترسم هدفا يسعى إلى تنمية اتجاهات ومفاهيم وقيم وسلوكيات لها تأثير إيجابي على الأطفال تجاه بيئتهم مما يكس النظرة التي يرى بها الأطفال البيئة المحيطة بهم ابتداء من البيئة المنزلية إلى الحدائق العامة وللأسرة دور كبير في تشكيل ثقافة تمكن الفرد من اكتساب التأمل المرغوب فيه اتجه البيئة المحيطة به، وذلك بما تحمله من قيم ومبادئ ومعايير سلوكية تحدد اتجاهات الفرد نحو بيئته، وترتبط هذه الثقافة إلى حد بعيد بما يحمله الوالدين من مستوى تعليمي ومكانة اجتماعية.

وإذا تأملنا أكثر نجد أن الأم وسط الأسرة تحمل عدة دلالات بالنسبة للطفل ولذا يتم العمل على تدريب الأم على السلوك البيئي الصحيح داخل المنزل حتى تكون قدوة أمام أطفالها، ويتمثل هذا التدريب في:

- الحفاظ على النظافة داخل المنزل وخارجه بوضع القمامة في أكياس وفي الأماكن المخصصة لها حتى يتم التخلص منها بطريقة لا تحدث أي ضرر للآخرين.
- تلقين الأم عدم رفع صوت المذياع أو أي وسيلة أخرى تسبب التلوث الضوضائي بالنسبة للأسرة أو الجيران

وتلقين الأب الاستخدام الأمثل لمنبه السيارات حتى يكون استخدامه عند الضرورة.

- ضرورة توعية الأم بأهمية الموارد الطبيعية خاصة الماء وذلك بالمحافظة عليه وعدم الإسراف والتبذير بالحرص التام على غلق الحنفيات والإسراع في إصلاحها حال التلف[12].

وليس من الضروري أن يكون الأبوان على قدر عال من التعليم والثقافة حتى يتمكنا من توعية أبنائهما بضرورة حماية البيئة والمحافظة على مواردها، فالطبيعة النفسية السوية هلي التي تحثهما على تعليم الأبناء وتوعيتهم بيئيا من خلال:

- زرع حب القيم الجمال والطبيعة والحفاظ عليها في نفوس اطفالها منذ الصغر.
- على الأسرة أن تقوم بفرز القمامة في المنزل وتعلم أبناءها كيفية ذلك، ومن المستحسن أن ينقلها الأب لحاوية القمامة حتى يكون قدوة لأبنائه في هذا السلوك وعلى الأبوين أن لا يلقيا القمامة في الشارع، أو أثناء تجولهما في الحدائق مع أطفالهما.
- تعليم الأطفال كيفية غرس النباتات والأشجار والاهتمام بها سواء في حديقة المنزل أو في اصيص خاص أو في الحدائق العامة13.

ثانيا : المسجد

يعتبر المسجد أهم مؤسسة إعلامية في المجتمع الإسلامي حيث اعتمدها ليبعث من خلاله الرسائل والتوجيهات لكافة الناس وما زاد من أهمية المسجد هو المنبر الذي يعتبر من أهم وسائل الإعلام الإسلامي فعمله لا يقتصر على خطبة الجمعة والمناسبات الدينية بل يتعدى ذلك ليشتغل بكل قضية تهم حياة الناس في دنياهم ودنياهم فالمسجد كنسق اجتماعي له دور كبير في نشر الثقافة البيئية في المجتمع فوظيفته ما هي إلا امتداد لوظائف الأنساق الاجتماعية الأخرى .

يساهم المسجد في ترقية الوعي البيئي من منظور ديني من خلال ما يلي :

- تخصيص بعض الخطب والدروس والمواعظ في المساجد لمناقشة قضايا البيئة والمحافظة عليها والتذكير بأهمية ذلك دينيا ودنيويا .
- الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ومواقف السلف الصالح في قضايا رعاية البيئة.
- ربط التوجيهات والإرشادات البيئية بالتعاليم الدينية مع التركيز على تبيان ما يترتب على ذلك من ثواب 14.

ثالثا : المؤسسات التعليمية

يتجلى دور المؤسسات التعليمية والمدارس في ترقية الوعي البيئي لدى التلاميذ والطلبة لمختلف مراحل التعليم في انتهاج تعليم أولوياته البعد البيئي لجميع المعارف والبرامج التعليمية.

مفهوم التعليم البيئي :

يقصد به خلق الكوادر السياسية والاقتصادية والفنية والعلمية القادرة على التعامل مع المشاكل البيئية المختلفة من خلال أساليب علمية متعددة[15]،

ويستهدف التعليم البيئي الجانب المعرفي والجانب النفسي لدى الأفراد

1-الجانب المعرفي:

- توعية المتعلم بمفهوم البيئة الصحية الجميلة والقدرة على تحسينها واستغلال مواردها لصالح الإنسان دون المساس بتوازنات البيئة.
- التوعية بحجم المشكلات البيئية وطبيعتها وأسبابها وطرق علاجها والوقاية منها.
- تزويد المتعلم بمعلومات ومفاهيم عن مفهوم التوازن البيئي والتلوث وحماية البيئة.[16] .
- التأكيد على نشر الوعي البيئي وتقديم المعرفة والمهارة للمتعلمين في السنوات الأولى من أعمارهم وخاصة التلاميذ في المدارس الابتدائية.
- إدخال التربية البيئية في مناهج التعليم للمراحل كافة وفي كتب إعداد المعلمين واستحداث مناهج بيئية جديدة تفي بمقتضيات أسلوب ومنهجية الجمع بين عدة فروع علمية.
- تطوير برامج التربية البيئية التي تتبنى طرائق حل المشكلات.
- تزويد المدارس بالوسائل التعليمية البيئية وعرض الأفلام البيئية.
- توجيه طلبة الجامعات والمؤسسات العلمية طليتها إلى إعداد الدراسات والبحوث العلمية ضمن مجالات البيئة وسبل حمايتها.
- تضمين البعد البيئي في المطبوعات والوسائل التعليمية وتنمية الوعي البيئي من خلال المناسبات البيئية وتشجيع المدارس والجامعات والمعاهد في تنظيم المسابقات البيئية كالرسوم والصور والمقالات والأبحاث.
- ضرورة تدريس المفاهيم الإيكولوجية ونظم الغلاف الجوي واليابسة والغلاف المائي والمحيط الحيوي والجوانب الاقتصادية والاجتماعية المتصلة بها.
- إقامة تعاون وثيق بين مختلف المؤسسات التعليمية لتحقيق غاية

محددة وهي إعطاء خبرة في التربية البيئية.

- ضرورة إقامة المؤتمرات والحلقات النقاشية المتخصصة لمناقشة أبعاد التلوث البيئي وسبل الحماية من[17].

2- الجانب النفسي :

- توعية الطالب بأهمية البيئة لصقل الشخصية وتنميتها فالفرد ينمو داخل البيئة ويتفاعل معها مؤثرا ومتأثرا.
- تسهم البيئة في التأثير بالقدرات الطبيعية فتنميها أو تطمسها.
- الإشارة إلى أن البيئة هي المجال الذي تحدث فيه الإثارة التي تتضمن المؤثرات التي تدفع الانسان إلى النشاط والحركة والاستجابة السلوكية للتفاعل مع البيئة.
- تلعب البيئة دورا مهما في تحديد ميول واتجاهات، واستعدادات وقدرات الإنسان وتوظيفها سلبا أو إيجابا .
- توفير الدافعية والرغبة والحماس لدى الطلبة نحو حماية البيئة.
- القدوة الحسنة والأمثلة الواقعية التي يقوم بها الطلبة خلا الرحلات المدرسية (كغرس الأشجار في عيد الشجرة بالربيع) وتعريفهم بأثر البيئة في تجديد نشاطهم وهو واحد من الانعكاسات النفسية للبيئة على الطلبة في تجديد نشاطهم وهو واحد من الانعكاسات النفسية للبيئة على الطلبة.
- تنشيط عملية الإدراك الحسي لدى الطلبة وتنبيههم إلى موقع الجمال.
- تنمية وتكوين الاتجاهات العقلية للطلبة حول البيئة وأهميتها في تكوين شخصياتهم.
- تنمية الشعور بالتفاعل الاجتماعي ومدى التفاعل الاجتماعي في حماية البيئة أو تلوثها.
- توضيح العلاقة ما بين التعليم البيئي النفسي مع بعض العلوم من خلال تدريسهم بعض المبادئ لهذه العلوم كعلم النفس الانتقائي، وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس الإكلينيكي، وعلم النفس التربوي .. الخ مما يسهم في تعريفهم بالآثار الضارة للتلوث على الإنسان[18].

رابعا : الإعلام البيئي:

يستهدف الإعلام البيئي كافة شرائح المجتمع، لطرح أفكار محددة ويجب أن يتنوع أسلوب الطرح ليناسب كافة المستويات، وتلعب وسائل الإعلام دورا فاعلا في جذب انتباه الجمهور وفي توجيه اهتمامه لقضايا معينة.

1- مفهوم الإعلام البيئي :

هو تعبير مركب من مفهومين هما الإعلام والبيئة، والإعلام البيئي هو الترجمة الموضوعية الصادقة للأخبار

والحقائق البيئية وتزويد الناس بها بشكل يساعدهم على تكوين رأي صائب فيما يتعلق بقضايا البيئة[19] .

2- دور الإعلام في غرس الوعي البيئي لدى الأطفال :

إن الأطفال في أعمار صغيرة نجدهم لا يحبذون الإصغاء إلى الكلام والنصائح بقدر ما يستمتعون بالنظر إلى المجلات المصورة والملونة والأغاني التي لها معنى مفيد لذلك نؤكد أن وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون والكتب والقصص والمجلات يمكن أن تساهم في زيادة الوعي البيئي لدى الطفل ولا سيما موضوع النظافة والتغذية وعدم رمي القمامة في غير أماكنها المخصصة كما يمكن توظيف الإعلانات والصور والأفلام والقصص والمسلسلات لتزرع من خلالها العادات والأفكار الحسنة وتعليم الطفل الابتعاد عن الأفكار والعادات السيئة[20].

3- أهداف الإعلام البيئي :

- إيقاظ الهمم وشحذ الأفراد نحو الاهتمام أكثر بالبيئة وتحفيز أصحاب القرار من خلال المعلومات البيئية الصحيحة بغية التصرف بمسؤولية تجاه البيئة.
- طرح القضايا البيئية وتقديمها بصورة مبسطة وشاملة للجمهور وتزويدهم بالمعلومات ذات الصلة بالبيئة وإعلامهم بكل جديد محليا وعالميا من خلال نقل أهم الأخبار والمواضيع المتعلقة بالبيئة ومتابعة كل الإجراءات والقرارات التي تتخذها جهات ما في القطاعين العام والخاص ويكون من شانها الإضرار بالبيئة.
- دفع المواطنين إلى تغيير سلوكياتهم الضارة بالبيئة والمشاركة بفعالية في حماية البيئة من خلال إقامة حوار تصل من خلاله آراء الناس إلى المسؤولين وكذلك الإيضاحات عن جدوى التدابير والإجراءات التي تتخذها الحكومات والهيئات الرسمية لحماية البيئة.
- تبني وضع وتطوير برامج تعليمية وتربوية لحماية البيئة محليا وإقليما وعالميا وبالتالي تحفيز الأفراد إلى التغيير نحو الأفضل.
- تصحيح بعض المقولات والتصورات القاصرة في معالجة قضايا البيئة كاعتبارها تعني مظاهر التلوث ومصادره فقط وكذلك مقولة أن التنمية تؤدي بطبيعتها إلى إهدار المصادر البيئية أو تلوث البيئة، فمن المهم الربط بين البيئة والتنمية بما يتيح الفرصة لأجيال الحاضر والمستقبل في حياة أفضل[21].

خامسا: الجمعيات والمنظمات الغير حكومية

تنبثق الجمعيات البيئية من الجمهور ولا تقيم علاقتها معه على أساس سلطوي أو فوقي لأن وظيفتها مكرسة للاتصال مع الجمهور واستثمار طاقاته في المحافظة على البيئة كما تعمل على تعظيم دور الفرد بتنظيم جهود الأفراد في إطار واسع يخلو من الطابع البيروقراطي والجمود الوظيفي للقيام بجهود مشتركة في حماية البيئة[22].

الخاتمة

يعد الوعي البيئي الركيزة الأساسية من أجل بيئة سليمة ومستقبل أفضل فالمحافظة على البيئة وحمايتها وتأمين احتياجات الأجيال اللاحقة يبنى أساسا على القيم والسلوكيات البيئية السليمة للأفراد إلا أن السلوكيات والتصرفات الخاطئة والمسيئة للبيئة تعزى أساسا إلى افتقار شرائح واسعة من المجتمع إلى المعلومات والمعارف المتعلقة بالبيئة ونظمها ومشكلاتها والحلول الممكنة لها إضافة إلى ضعف الإحساس والشعور بالانتماء لها والمسؤولية تجاه مكوناتها واستدامتها.

إن إحياء الشعور بالإنتماء للبيئة لدى كل فرد من أفراد المجتمع كرادع ذاتي ينبع من داخل الإنسان يدفعه طوعا إلى تبني سلوك مسؤول وقويم تجاه البيئة والاهتمام الفعلي بحمايتها والمحافظة عليها جنبا إلى جنب إلى الرادع الخارجي بالامتثال إلى القوانين والتشريعات الرسمية والضوابط والأحكام الاجتماعية التي تعنى بحماية البيئة كحتمية وجودية.

لا شك أن عملية ترقية الوعي البيئي تتطلب جهودا متكاملة ابتداء من الأسرة التي تفرض عليها الفطرة السليمة تنشئة الطفل على الأخلاق والقيم البيئية السليمة بالتربية والقدوة الحسنة وتفعيل الدور التربوي والإصلاحي للمسجد وتطوير الخطاب الديني في المجال البيئي إلى جانب المدرسة ومختلف المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام والجمعيات لأجل إكساب الفرد المعرفة الشاملة بالبيئة ونظمها واختلالاتها ولفت انتباهه واهتمامه بمختلف المشاكل البيئية المحيطة به والمنتشرة في مختلف أنحاء العالم لزيادة إدراكه ووعيه بها من جهة وإشراكه في تحمل المسؤولية البيئية ابتداء من البيت، الشارع، الحي، الفضاءات والمساحات العامة، الغابات... ليشتمل وعيه على التفكير في النظام البيئي للكرة الأرضية ككل وأهمية حمايته والحفاظ على قدرته على التجدد طبيعيا.

الهوامـــش :

1. أسماء راضي خنفر وعايد راضي خنفر، التربية البيئية والوعي البيئي، دار الحامد ، ط1، الأردن، 2016، ص 127.
2. بن عربية لحبيب، مساهمة التربية البيئية والخلفية الثقافية في تفسير الوعي البيئي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران2، الجزائر، ص110.
3. محمد السيد أرناؤوط، الإسلام والتربية البيئية، دار الأمل، ط1، الجيزة، مصر، 2000، ص 9 ص 10.
4. القرآن الكريم، سورة ق، الآيات 6 – 11.
5. أحمد الفراك وآخرون، التربية البيئية وسؤالا التنمية والأخلاق نحو وعي بيئي جديد، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، دار القلم، ط1، الرباط، المغرب، 2020، ص30.
6. المرجع نفسه، ص32 ص39 .
7. المرجع نفسه، ص100.
8. محمد السيد أرناؤوط، المرجع السابق (رقم3)، ص115.
9. بن عربية لحبيب، المرجع السابق (رقم2) ،ص96 ص97.
10. نبيهة صالح السامرائي، علم النفس البيئي، دار زهران، عمان، الأردن، 2008، ص40.
11. المرجع نفسه، ص49.
12. بن عربية لحبيب، المرجع السابق (رقم 2) 2019 ص 87.
13. جمال الدين لطرش، دور الأسرة في تنمية الوعي البيئي لدى الطفل، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري – قسنطينة، الجزائر، 2011، ص124.
14. بن عربية لحبيب، المرجع السابق (رقم2) ص88.
15. إياد شوقي البنا، مستوى الوعي بمخاطر التلوث البيئي لدى معلمي المرحلة الأساسية في قطاع غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2011، ص26.
16. نبيهة صالح السامرائي، المرجع السابق (رقم 10)، ص67.
17. مطوري أسماء، مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية قيم التربية البيئية، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2016، ص 143.
18. نبيهة صالح السامرائي، المرجع السابق (رقم 10)، ص 68،69.
19. كيحل فتيحة، الإعلام الجديد ونشر الوعي البيئي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر ،2012، ص95.
20. أسماء راضي خنفر وعايد راضي خنفر، المرجع السابق (رقم 1)، ص136.
21. كيحل فتيحة، المرجع السابق (رقم 19)، ص113، ص114.
22. أسماء العبيد، الثقافة البيئية في ضوء نشاطات الاتصال البيئي للجمعيات المحلية، رسالة ماجستير، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 03، 2017، ص 87 - ص 100.

قائمة المصادر والمراجع :

أ-القرآن الكريم:

- سورة "ق."

ب- الكتب:

1- أحمد الفراك وآخرون، التربية البيئية وسؤالا التنمية والأخلاق نحو وعي بيئي جديد،-مركز فاطمة الفهرية للأبحاث

والدراسات،دار القلم، ط1، الرباط، المغرب، 2020.

2- أسماء راضي خنفر وعايد راضي خنفر، التربية البيئية والوعي البيئي، دار الحامد ، ط1، الأردن، 2016.

3- محمد السيد أرناؤوط، الإسلام والتربية البيئية، دار الأمل، ط1، الجيزة، مصر، 2000.

4- نبيهة صالح السامرائي، علم النفس البيئي، دار زهران، عمان، الأردن، 2008.

ج- أطروحات الدكتوراه:

1- بن عربية لحبيب، مساهمة التربية البيئية والخلفية الثقافية في تفسير الوعي البيئي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران2، الجزائر.

2- مطوري أسماء، مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية قيم التربية البيئية، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2016،

د-رسائل الماجستير:

1- أسماء العبيد، الثقافة البيئية في ضوء نشاطات الاتصال البيئي للجمعيات المحلية، رسالة ماجستير، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 03، 2017.

2- إياد شوقي البنا، مستوى الوعي بمخاطر التلوث البيئي لدى معلمي المرحلة الأساسية في قطاع غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2011.

3- جمال الدين لطرش، دور الأسرة في تنمية الوعي البيئي لدى الطفل، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري – قسنطينة، الجزائر، 2011.

4- كيحل فتيحة، الإعلام الجديد ونشر الوعي البيئي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر ،2012.

مكانة المرأة في الشريعة الإسلامية
وتحديات العصر

أ. هيام عايدي - أ. ثامري مسعودة
ماستر جامعة الجلفة

° ° °

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين , و أشهد أن لا إله إلا الله القوي المتين و أشهد أن محمد رسول الله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم و على آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فإن أشرف ما يمكن أن نتقرب به إلى الله _سبحانه وتعالى _ هو ما كان في خدمة هذا الدين المتين إبتغاء مرضاته إنه هو السميع العليم .

ولعل موضوعنا هذا و المعنون بمكانة المرأة في الشريعة الإسلامية وتحديات العصر من المواضيع والإشكاليات المهمة في وقتنا الحالي, فما تشهده المرأة في هذا الزمن والذي تكالب فيه الأعداء للإنقاص من شأن المرأة المسلمة و قيمتها وتشكيك في فطرتها السليمة التي فطرها الله عز وجل قوله تعالى " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " الروم 30 .

وذلك من خلال المعتقدات و الأفكار الدخيلة _من بينها فكرة أن الإسلام ظلم المرأة وقيد حريتها _ على مجتمعنا الإسلامي والتي نتجت بفعل العولمة وما أحدثته من ثورة في مجال العلم و الثقافة و التربية.... وما تحمله من توجهات فكرية وسلوكية , فقد لحق المرأة المسلمة المعاصرة نصيب وافر و منه ماهو مؤثر في حياتها سلبا ، لذا كان لابد لها أن تقف بحزم وشجاعة إيمانية تمكنها من مجابهة هذه التحديات.

مكانة المرأة قبل الإسلام وبعده :

لم يكن للمرأة في الجاهلية أي شأن , فلم يكن لها حق الميراث , بل كانت مسلوبة حتى من حق الحياة , إذ كانت توأد في أغلب الأحيان خوفا من العار , فحالة المرأة قبل الإسلام كانت على وضع يرثى له ولقد تصدى للحديث عن ذلك كثير من المؤلفين الإسلاميين وغيرهم , وما أكثر المؤلفات في هذا المجال, فلا يخلو كتاب

يتحدث عن المرأة إلى و تقرأ فيه عن الوضع المشين الذي كانت عليه المرأة قبل الإسلام عند مختلف الأمم و الشعوب ..[1]

ولقد حكى لنا القرآن الكريم في أكثر من موضع وسورة و آية ما كان يحمل الرجل العربي في نفسه من كراهية لولادة البنات , كما ندد القرآن الكريم بفعل الكفار في نسبتهم البنات إلى الله عز وجل بينما المفضل عندهم البنون ..[2]

كما ندد القرآن الكريم بعادة وأد البنات الصغيرات المولودات حديثا وهو ما نلاحظه في عديد من الآيات من بينها قوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(59) ﴾. النحل

مكانة المرأة في القرآن الكريم :

حتى جاء الإسلام , وانبلج فجر عهد جديد في تاريخ استعادت المرأة من خلاله كرامتها ومكانتها ، فالقرآن الكريم منح للمرأة حقوقا وواجبات و ورعاية وعناية خاصة ففي القرآن الكريم ظهر ذلك من خلال تواجد سورة النساء و أيضا سورة الطلاق التي تتحدث عن المرأة وشؤنها خاصة علاقتها بزوجها ووضع أسس خاصة لتلك العلاقة .

قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾. النساء 19

مكانة المرأة في السنة النبوية :

منهج تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهله:

من المهم البحث في المصادر التي يستند إليها هذا الموضوع ، وتحديدا البحث في السنة النبوية الشريفة و التي تشمل أقوال و أفعال و تقريرات الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاولة ترسيخ المقاصد الحقيقية التي شرعها الله عز وجل من خلال إقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وتتبع سنه ، و الإلتزام بالآية الكريمة ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ شديد العقاب ﴾. الحشر 7

وخير مثال في السنة النبوية الذي يبين ويوضح حقوق ومكانة المرأة في الشريعة الإسلامية معاملة رسولنا الكريم لزوجاته ، حيث سمت معاملة الرسول سموا لايدانيه أحد ، فكان صلى الله عليه وسلم النموذج و المثل الأعلى في تعاملاته مع زوجاته فكان معلما و مربيا و محبا و طيبا فغرس في نفوسهم المبادئ السامية التي تفوق كل المبادئ التي عرفتها الإنسانية ، كما نجده صلى الله عليه وسلم يكثر من وصية أصحابه بالمرأة و يحث الأزواج أن يعاملو أزواجهم معاملة حسنة مستمدة من القرآن فيقول ﷺ " خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي " .[3]

مثل النبي ﷺ في حياته المليئة بالالتزمات أفضل زوج في تاريخ البشرية ، فلم تمنعه كثرة أعماله ومشاغله من اعطاء أزواجه حقوقهن الواجبة عليه ، ومع أنه كان مؤسسا للدولة ولجيش ، ومبلغا للرسالة ، ومعلما للناس ، الا أن هذه الأعمال كلها لم تحل بينه وبين أزواجه كما هو حال كثير من المسلمين اليوم، ممن يضيع حقوق المرأة بحجة الأعمال والالتزمات العديدة ، وعند بعض الازواج يتعد الأمر عدم الاهتمام ، ليصل الى الأعتداءات اللفظية والبدنية ،وهنا قدم رسولنا الكريم الصورة الانسانية للحياة الزوجية ، والكيفية التى كان يعامل بها مواقف زوجاته بما تحمله من غيرة ومشاكل التى لايخلو منها كل بيت ، فكانت حياته وتعاملاته معهن مثالية يجب على الآخرين الإقتداء بها .[4]

وتخبرنا شهدات زوجات رسولنا الكريم ﷺ عن صفاته وأخلاقه ، وعن أسلوب حياته وتعاملاته معهم ، ومن أهم الآراء رأي السيدة خديجة فكانت تقول : " والله مايخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل ،وتقري الضعيف ، وتعين على نوائب الحق" [5]

وتذكر أيضا السيدة عائشة ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان زوجا حنونا رحيما يعطف على أزواجه ويرحمهن ويبتسم لهن ويعاملهن معاملة حسنة [6]

وصايا الرسول ﷺ :

1_وصيته بالنساء خيرا : من وصاياه ﷺ في حجة الوداع قوله " أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا

تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن ،فإن الله قد أذن لكم أن تهجوروهن في المضاجع ، وتظربهن ضربا غير مبرح ، فإن إنتهين ، فلهن رزقهن و كسوتهن بالمعروف ، و إستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان "

2_عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من عال جارتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهوا ، وضم أصابعه ، وقد عال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من إماء وقام على تربيتهن .

3_أعطى الرسول ﷺ للمرأة حقوق ملكية المهر .

4_ حق المرأة في طلب الخلع إذ قد تبعض المرأة زوجها وتكره العيش معه لأسباب جسدية أو خلقية أو صحية ...ونحو ذلك و خشى ألا تؤدي حق الله في طاعته فشرع لها الإسلام في موازاة الطلاق الخاص بالرجل طليقا للخلاص من الزوجية لدفع الحرج عنها .[7]

التحديات التي تواجه المرأة المسلمة :

العولمة :

تواجه أمتنا الإسلامية تحديات كثيرة ومن أخطرها نظام العولمة الذي أراد الغرب من خلاله فرض سيطرته الثقافية والإقتصادية على العالم ...وبخاصة دول العالم الثالث ، كما أن ظهور هذا المصطلح تمتد جذوره إلى الستينات من القرن الماضي عندما وضع الغرب مخططا لإبعاد المسلمين عن دينهم , وكانت المرأة هدفهم الأول حيث ركزو على جهلها بدينها ، وعدم حصولها على حقوقها كاملة كما حددها الإسلام ، إضافة إلى وجود فئات في المجتمع تدعوا المرأة المسلمة إلى أن تحذو حذو المرأة الأجنبية ، فإستغلو كل هذه التغيرات و نفذوا إلينا من خلالها ، بل إخترقوا بيوتنا مستخدمين دعاة ما يسمى بتحرير المرأة في تنفيذ كل ما يخططون له.[8]

تحرير المرأة :

اريب أنه من أخطر التحديات في وجه المرأة المسلمة تلك الدعوى التي إستعلنت بإسم تحرير المرأة في أوائل القرن الميلادي و التي حمل لواءها كثيرون غرر

بهم و ظنوا أنهم يستهدفون حقا ضائعا ، بينما كانت حركة تحرير كلها من أولها لآخرها جزءا من مخطط الإحتواء الغربي و الغزو الثقافي و الإجتماعي الذي يستهدف إخراج المرأة من رسالتها و قيمتها و دفعها إلى أمواج المحيط العاتية ، ذلك أن الإسلام في الحقيقة هو الذي وضع ركائز تحرير المرأة الأصيلة _كما ذكرنا سابقا _ أما هذه المحاولة فقد إستهدفت الأسرة و الأخلاق و القيم و العرض الإسلامي، بإحداث ثغرات و خلق عقلية جديدة ، تفكر في إطار المفهوم الغربي العاري من أساليب العفة و القيم و الحصانة، ولقد تصاعدة هذه الموجة و التي خلفت مفاهيم خاطئة أشبه بالمسلمات، أدارت رأس المرأة و أفسدت العلاقات الطبيعية و الفطرية بين المرأة و الرجل و الزوج والزوجة و الآباء و الأبناء، في عشرات المواضيع، فغدت هذه الحياة الإجتماعية متحللة و مظطربة و بعيدة كل البعد عن البعد عن المفهوم الإسلامي الأصيل.

وقد كان لهذا الإنحراف الذي تم تحت أضواء الحضارة وبريق الحرية وصيحات التكريم الباطل للمرأة أثره البعيد في تلك النتائج الخطيرة التي يواجهها المجتمع الإسلامي من آثار بعيدة المدى في شأن الزواج الزائف والطلاق والجريمة ...[9]

الإعلام :

يقول ﷺ " لتجيئن فتنة لا تترك بيتا من وبر ولا حضر ولا بادية إلى دخلته " يقول بعض العلماء المعاصرين بأن تلك الفتنة هي التيليفزيون ، وبغض النظر أن يكون هذا صحيحا أم لا ، فإن من المؤكد أن من أكبر الفتن التي غزت كل بيت هي الموجة الإعلامية و أجهزتها ، فهي أجهزة صالحة للإستخدام في الخير أو الشر ، وبسبب أن معظم من يتحكم بهذه الأجهزة هم من أصحاب الأهواء و الأغراض الخبيثة في تدمير أخلاق و قيم المجتمع الإسلامي وبصفة خاصة الأسرة المسلمة و التي أساسها المرأة ، فإن معظم ما يعرض في هذه الوسائل سموم يراد منها تحطيم القيم التي جاء بها الإسلام.[10]

و على سبيل المثال مسألة الزواج و المفاهيم المغلوطة التي يروج لها الإعلام ، فالله عز وجل وصف الزواج ، وطبيعة العلاقة بين الزوجين بأنها تقوم على المودة و الرحمة و السكينة ، في

قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. الروم21 .

وفي هذا السياق الإنتقائي من جانب علماء الدين تحديدا هوا الأكثر تأثيرا في الناس ، و أساس لتشكيل سورة المرأة بوجه عام وصورتها كزوجة بوجه خاص،حيث نجد أنه ثمة إتفاق على أن هناك خلل في المفاهيم المرتبطة بالزواج و مفهومه ، فينشأ كل من الطرفين في بيئة تسودها المفاهيم الخاطئة من جانب والممارسات التي تتنافى مع المودة و السكينة من جهة أخرى ، ويشترك في إحداث هذا الخلل عديد من الوسائط المسؤولة عن تنشئة وتكوين الإطار المفاهيمي المرتبطة بالحياة الزوجية ، والتي تبدأ من الأسرة مرورا بالإعلام الذي يروج لمفاهيم مغلوطة ، وينشرها على نطاق واسع و الذي يرسخ وضع المرأة في مكانة أقل من الرجل .

الخاتمة :

ولعل خير ما نختتم به موضوعنا هذا مجموعة من الحلول والإقتراحات التي تمكن المرأة من التصدي لهذه التحديات .

كيف نقف أمام هذا التحدي ؟

1 -الفهم الصحيح للدين : على المرأة المسلمة التمسك بالقيم و المبادئ الإسلامية والمحافظة على دينها، ولكي تلتزم المرأة بذلك، فإن عليها أن تفهم دينها بصورة صحيحة وأن تنمي معارفها الدينية و أن تستوعب عقيدتها و تقوي إيمانها ، عند إذن تكون المرأة شديدة الحرص على مبادئها وقيمها و عقيدتها و الوقوف بقوة ضد كل من يحاول التشكيك في الدين و التلاعب بالقيم و المبادئ تحت مسميات براقة لكنها تحمل في ذاتها مضامين منحرفة أو مشوهة .

2-التربية الصالحة :

تعد التربية الصالحة للفتاة من أهم الطرق لمواجهة التحديات الجديدة التي تعترض طريقها ، فالفتاة التي تنشأ في ظل عائلة صالحة و أجواء تربوية سليمة ، و إشباع للحاجات المادية و المعنوية و توفير الدفئ

العاطفي لها ، كل ذلك يساهم فالتربية الصالحة للبنت ، فالتربية الصالحة للمرأة تعطيها القدرة على مواجهة التحديات بشجاعة و حكمة و الصمود أمام المغريات المادية و العاطفية و التمسك بالقيم الدينية و الأخلاق الإنسانية.

3- الوعي الثقافي :

إمتلاك الوعي الثقافي عنصر هام من عناصر نضج المرأة و رشدها ، وهذا ما يجب أن يدفعها نحو ، إنماء وعيها الثقافي و يتطلب من المرأة التسلح بالمعرفة و الثقافة ، وهذا ما يستوجب المطالعة الواعية و القراءة المركزية ، ومتابعة الحركة الثقافية و المعرفية ، و التواصل مع النخب الثقافية و المرأة المسلمة مطالبة بالإرتقاء إلى مستوى التحديات الكبيرة ولن تتمكن من ذلك إلى بتأهيل نفسها للمستجدات و الحوادث الجديدة و المرأة المسلمة المعاصرة عليها أن تلم بمفاهيم عصرها ومستجدات مجتمعها .

4-التأسي بالقدوة الحسنة :

من الضروري لكل إمرأة مسلمة تقتدي بالقدوة الحسنة في حياتها ، وأن تتأسى بالنماذج الصالحة في تاريخنا الإسلامي ، ولعل خير مثال نقتدي به زوجات الرسول و أخلاقهم الحسنة.

الهوامش :

1. عبد الرحيم ماردني , موسوعة فقه المرأة المسلمة بيروت , دار آية , ص8.
2. المرجع نفسه ص 10 .
3. حديث إبن ماجة 1977 , و الترميذي 3895 .
4. محمد جلال القصاص ، مفاهيم أساسية لدراسة السنة النبوية WWW.PDF FACTORY.COM
5. صحيح البخاري ، كتاب التعبير ، باب أول مابدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ، 6581 .
6. عائشة عبد الرحمان ، نساء النبي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1979 ، ص 118
7. د.صالح فركوس ، وإنك لعلى خلق عظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، الجزائر ، القافلة للنشر و التوزيع ، 2013 ،236_238 بتصرف .
8. سهيلة زين العابدين حماد ، المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، 2003، ص9 .
9. أنور الجندى ، المرأة المسلمة في وجه التحديات ،دار العلوم للطباعة و النشر، القاهرة ،1997، ص11
10. عبد الحميد البلالي ، تحديات الأسرة المسلمة دار الأندلس الخضراء ، المملكة العربية السعودية ، 2001، ط1، ص27 .

الطفولة المسعفة دراسة ميدانية

أ. بلعطرة خديجة
ماستر علم اجتماع جامعة الجلفة

° ° °

مقدمة:

تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى من حيث الأهمية في حياة الطفل وتنشئته، فهي تساعده على التوافق النفسي والاجتماعي والتكوين السوي لشخصيته، وتكسبه مختلف الأنماط السلوكية السليمة بحيث نجد في المجتمع فئة من الأطفال، تفتقر أو تحتاج للأسرة باعتبارها مهمة في حياتهم وهم الأطفال المسعفين بحيث أنهم يعانون خصوصا من غياب الأم والمحرومين من الدفء والحنان العاطفي في أولى سنوات حياتهم، وهذا ما ينعكس بالسلب على مختلف جوانب شخصيتهم ويسبب إعاقة حقيقية في نموهم على الصعيد النفسي والاجتماعي والتربوي، مما ينتج عنه ظهور اضطرابات سلوكية ونفسية عديدة منها: الاكتئاب، الخجل، العدوان...

لذلك وبغرض تحقيق هذه الآثار ومحاولة القيام ببعض أدوار الأسرة وجب توفير مراكز خاصة بهذه الفئة يضع لهؤلاء الأطفال أمهات مربيات مع مختصين نفسانيين وذلك ليحرصوا على الاهتمام بهم من كل الجوانب وعلى ضوء هذا فإن الاعتناء بهذه الفئة يتوجب على الجهات المعنية بالدرجة الأولى التركيز على التكفل التربوي النفسي الاجتماعي بالطفل المسعف وذلك لتعويض الحد الأدنى من حب وحنان الأسرة وحضن الأم الحقيقية من خلال دور الأم البديلة، لأنها تعتبر ذات أهمية كبيرة في حياة الطفل المسعف، ومن هنا يبدأ منطلق دراستنا من خلال ما نريد أن نعرفه من أهمية ومكان هذا الدور للأم البديلة في الممارسة المهنية والاجتماعية لها ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا هذا السؤال: هل تقوم الأم البديلة بنفس الدور الذي تقوم به الأم الحقيقية؟

العرض:

مرحلة الطفولة هي الفترة التي يقضيها الإنسان في نموه والارتقاء حتى يبلغوا مبلغ الراشدين ويعتمدون على أنفسهم وتدبير شؤونهم وتأمين حاجاتهم الجسمية والنفسية ويعتمد فيها الصغار على ذويهم في تأمين بقائهم وتغذيتهم وحماية هذا البقاء، فهي فترة قصور وضعف وتكامل في آن واحد. إن هؤلاء الأطفال يتصفون بالتخلف كما تبدو عليهم اضطرابات سلوكية مثل: الكذب، السرقة، العدوانية.. وهذا السلوك يزيد تفاقما خلال المراهقة لكونهم اكتسبوا القوة التي تساعدهم على القيام بهذا السلوك وهذا قد يكون له تأثير في الكثير بحيث لا

يستطيع هؤلاء الأفراد مواجهة الواقع لأنهم لا يتمكنون من الاستقلال الذاتي ويميلون إلى الانقياد والاعتماد على الآخرين وعلى المؤسسة.

حيث وفرت مؤسسات الطفولة المسعفة أمهات بديلات تكمن وظيفتهن في إعطاء الأطفال الحب والحنان وتعليمهم القيم والأخلاق.

ولقد قمنا بإجراء مقابلة مع المربيات لمعرفة أدوارهن وذلك عن طريق طرح أسئلة شفوية وتمت الإجابة عنها مباشرة ومن ضمن هذه الأسئلة:

هل دورك كمربية لهذه الفئة من الأطفال يعتبر كوظيفة فقط؟

فكانت إجابة جميع المربيات أن دورهن يعتبر مجرد وظيفة لتلبية حاجاتهن المادية فقط، كما أنهن يتعاملن مع هذه الفئة من الأطفال المسعفين والمحرومين بدافع الرحمة والشفقة.

هل طريقتك في التعامل مع الأطفال المسعفين هي نفسها مع أولادك؟

كانت إجابة خمس مربيات عن السؤال بأن هناك اختلاف في المعاملة بحيث أن هذه الفئة من الأطفال تحتاج حب وحنان خاص ورعاية كبيرة لتوفير ولو جزء من الدفء العائلي ومساعدته على تكوين شخصية سوية ومستقلة.

أما بالنسبة لبقية المربيات الثلاث فكانت الإجابة مختلفة بحيث أن هذه الفئة من الأطفال تحضى بنفس المعاملة التي يعاملن بها أطفالهن.

هل تحتفلين في المناسبات معهم أم تحتفلين في بيتك؟

كانت إجابة ثلاث مربيات أنهن يحتفلن مع الأطفال إذا كان الدوام وقت العمل يتوافق مع هذه المناسبة وخمس مربيات يرون أنه من الضروري الاحتفال في المناسبات مع هاته الفئة من الأطفال لتعويضهم ولو بشيء بسيط عن الحرمان وإدخال الفرحة والسرور في قلوبهم.

ومن خلال ذلك يمكن استنتاج أن الأم البديلة ما هي إلا موظفة تؤدي وظيفتها الاجتماعية. ومن بين الاقتراحات التي يمكن تقديمها لمساعدة هذه الفئة

1- يجب إزالة كل الحواجز الاجتماعية سواء المادية أو المعنوية التي تستبعد المشاركة الفعلية للأطفال المخرومين في حركية المجتمع.

2- تشجيع العمل الجواري سواء من قبل المؤسسات المختصة أو المجتمع المدني ككل بالتقرب من الطفل المحروم لانشغالاته والحوار معه بعيدا عن كل المزايدات.

3- السعي لتقوية البرامج التربوية، ودعمها بما يوفر للطفل الانفتاح على العالم مع مراعاة خصوصيات كل مجتمع، وتوسيع فضاءات الإعلام لإشراك الجميع في مسؤولية حماية الطفل.

خاتمة:

إن موضوع الطفولة المسعفة من المواضيع التي لها أهمية بالغة ويجب طرحها ومناقشتها، وتتجلى أهميته في دراسة شريحة من المجتمع التي تميزت بفقدانها حنان ورعاية الأسرة، وموضوعنا الذي قدمناه ما هو إلا جزء ضئيل عن حالة الحرمان التي يعيشها الأطفال المسعفين.

وتتجلى دراستنا حول المؤسسة المختصة التي تلعب دورا كبيرا في إدماج فئة الأطفال المسعفين في المجتمع من خلال دور الأم البديلة لكن رغم وجود هذا النوع من المؤسسات المتخصصة إلا أنها لا تزال بحاجة إلى تطوير وزيادة في قدراتها الاستيعابية وكذلك بحاجة لإمكانيات مادية وبشرية كبيرة لأن هذا النوع من المؤسسات كونها تهتم بفئة حساسة من المجتمع وجب أن تلاقي عناية فائقة ودقيقة في جميع ما تقدمه من خدمات لهذه الفئة من المجتمع لأن عملية إدماج فئة الأطفال المسعفين في المجتمع من العمليات المعقدة التي يمكن أن تلاقي صعوبات كبيرة.

الصيرفة الاسلامية كآلية لدعم التنمية الاقتصادية في الجزائر

د. بوعكاز عامر

استاذ مؤقت بجامعة زيان عاشور بالجلفة

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز الدور الذي تلعبه الصيرفة الاسلامية في دعم التنمية الاقتصادية في الجزائر حيث تم في هذه الدراسة إعطاء مختلف المفاهيم المتعلقة الصيرفة الاسلامية من جهة والتعرف على مفهوم التنمية الاقتصادية من جهة أخرى وابراز العلاقة بين المتغيرين، وقد خلصت الدراسة إلى أن الصيرفة الاسلامية تساهم وبشكل كبير في إحداث تنمية اقتصادية بحكم طبيعة المجتمع الجزائري وميوله الكبير نحو القروض الاسلامية بدل الربوية في تمويل مختلف المشاريع.

الكلمات المفتاحية:

الصيرفة الاسلامية ، التنمية الاقتصادية

Abstract:

This study aimed to clarify the role of Islamic banking in supporting economic development in Algeria. In this study, various concepts related to Islamic banking were given on the one hand, and to identify the concept of economic development on the other hand, and to clarify the relationship between them. The study concluded that Islamic banking contributes significantly to Bringing about economic development by virtue of the nature of Algerian society and its great tendency towards Islamic loans instead of the traditional loan in financing various projects.

مقدمة :

تعد الصيرفة الاسلامية نظاما اقتصاديا ظهر منذ بداية ظهور الإسلام وليس وليد الساعة لكن ومع ظهور مختلف الأزمات الاقتصادية التي عاشها العالم في الحقبة السابقة والتي أجبرت مختلف الدول إلى إعادة النظر في الأنظمة الاقتصادية السائدة من أجل الوصول إلى حل لهذه الأزمات وإنعاش اقتصادياتها ومن بين هذه الحلول التي اكتشفها العالم الغربي خاصة هي الصيرفة الاسلامية، حيث شهد العمل المصرفي الإسلامي تقدما ملحوظا خلال السنوات الأخيرة كأسلوب جديد لتحقيق أهداف الوساطة المالية وتزايد انتشار المؤسسات المالية الإسلامية بشكل ملحوظ مما جعله ينتقل من الدول العربية الإسلامية إلى دول عالمية متطورة مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية التي قدمت تراخيص لإنشاء مصارف إسلامية إلى جانب فتح نوافذ إسلامية في البنوك التقليدية تقوم بتقديم خدمات مصرفية إسلامية.

ولا شك بأن أي دولة تسعى إلى تحقيق التنمية الاقتصادية والجزائر من بينها حيث ومنذ عهد الاستقلال تسعى الجزائر إلى وضع استراتيجيات وخطط من اجل تحقيق تنمية اقتصادية شاملة ولا يتم لها ذلك إلا من خلال التشجيع على الاستثمارات

وإنشاء مختلف المشاريع والمؤسسات المنتجة وبحكم طبيعة مجتمعها المسلم الذي يميل ميلا كبيرا إلى تفضيل تمويل مشاريعه بما يوافق دينه الإسلامي بعيدا عن الربا ومن خنا تبرز أهمية الصيرفة الاسلامية في تمويل المشاريع ومن ثم إحداث تنمية اقتصادية في الجزائر.

وعلى ضوء ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية:

كيف يمكن للصيرفة الاسلامية أن تدعم التنمية الاقتصادية في الجزائر؟

أهمية الدراسة:

تكمن اهمية هذه الدراسة من أهمية المتغيرين المتمثلين في الصيرفة الاسلامية التي تعتبر من بين اهتمامات ومطالب الفرد الجزائري من اجل تمويل مشروعاته واستثماراته من جهة ومن أهمية التنمية الاقتصادية التي تسعى الدولة الجزائرية في تحقيقها من جهة أخرى.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم الصيرفة الاسلامية وكذا مفهوم التنمية الاقتصادية وتهدف إلى توضيح الدور الذي تلعبه الصيرفة الاسلامية في تحقيق التنمية الاقتصادية في الجزائر.

هيكل الدراسة:

وللإجابة على الإشكالية وبلوغ أهداف الدراسة تم تقسيم البحث إلى:

- مفاهيم عامة حول الصيرفة الاسلامية.
- الأسس الفكرية للتنمية الاقتصادية.
- واقع الصيرفة الاسلامية في الجزائر ودورها في التنمية الاقتصادية.

مفاهيم عامة حول الصيرفة الاسلامية

1- تعريف الصيرفة الاسلامية

هناك عدة تعاريف للصيرفة الاسلامية تختلف باختلاف أراء كتابها ولعل من بين أهم هذه التعاريف نذكر على سبيل المثال لا الحصر التعريفات التالية"

عرفها الدكتور أحمد النجار رائد فكرة البنوك الإسلامية : أ،ها تمثل أجهزة مالية تستهدف التنمية وتعمل في إطار الشريعة الإسلامية وتلتزم بكل الأخلاق التي جاءت بها الشرائع السماوية، وتسعى إلى تصحيح وظيفة رأس المال في المجتمع، وهي أجهزة تنموية اجتماعية.[1]

كما تم تعريفها على أنها: مؤسسات مالية إسلامية تقوم بأداء الخدمات المصرفية والمالية، كما تباشر أعمال التمويل و الاستثمار في المجالات المختلفة في ضوء أحكام الشريعة

الإسلامية، بهدف المساهمة في غرس القيم الإسلامية في مجال المعاملات، والمساعدة في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية من تشغيل الأموال بقصد المساهمة في تحقيق الحياة الطيبة الكريمة للأمة الإسلامية.[2]

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن المصارف الإسلامية هي عبارة عن مؤسسات مالية تعمل وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية و هدفها الرئيس ي تحقيق التنمية الاقتصادية و التكافل الاجتماعي في المجتمع.

2- مبادئ وضوابط الصيرفة الاسلامية

لقد ظهرت المؤسسات المصرفية الإسلامية في السبعينيات من القرن العشرين لتكون كيانًا يضاف إلى المنظومة المصرفية العالمية ولتعمل جنبًا إلى جنب مع باقي المؤسسات المالية وعلى اختلاف أنواعها .ان أهم ما يميز هذا النوع من المصارف هو قيامها على أساس نظام المشاركة الذي يرتكز على مجموعة من الضوابط التي أقرتها الشريعة الإسلامية ليكون التعامل منظمًا وفي ظل اقتصاد عادل، ومن خلال هذه النقطة سينم التعرف على أهم المبادئ والضوابط التي تقوم عليها الصيرفة الاسلامية.

عدم التعامل بالفوائد الربوية :

العمل المصرفي الإسلامي لا يعتمد على الفوائد الربوية التي حرمتها الشريعة الاسلامية

منع الغرر : ويعرف الغرر على أنه:

ما كان له ظاهر يغر وباطن مجهول يجعله في معرض الخطر المعاملي، وهو الاختلاف بعد ذلك بشكل لا يمكن معه تعيين الموقف عند التراع فيحصل الضرر والهلكة والخطر. وبالتالي فالشريعة الاسلامية تنبذ هذا الخلق ولا يتم التعامل به في الصيرفة الاسلامية؛

منع الظلم:

إن جميع المعاملات المالية في الشريعة الإسلامية مبنية على أساس العدل ومنع

الظلم بجميع أنواعه وصوره، على اعتبار أن العقود والمعاملات القائمة على أساسه فاسدة سواء كان الظلم على أحد الطرفين أو كليهما.

استثمار الأموال بالطرق الشرعية:

والمقصود باستثمار الأموال بالطرق المشروعة، هو اجتناب استثمارها عن طريق المراهنات والمقامرات، أو

مشاريع إنتاج الخمور والمخدرات...وغيرها، لما لها من أضرار على مصلحة الأفراد والمجتمع، وبالتالي توجيه الأموال نحو الاستثمارات التي تحقق التنمية الحقيقية بأبعادها المختلفة الاقتصادية والاجتماعية.

عدم اكتناز الأموال:

لقد حرمت الشريعة الإسلامية اكتناز الأموال وحبسها عن التداول، لما لذلك من آثار سلبية على الاقتصاد ككل.[3]

3- خصائص الصيرفة الاسلامية

تتميز الصيرفة الاسلامية بعدة خصائص من بينها:

- عدم التعامل بالفوائد الربوية أخذا وعطاء؛
- تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كافة المعاملات المصرفية والاستثمارية؛
- تطبيق أسلوب المشاركة في الربح أو الخسارة القائم على مبدأ الغنم بالغرم في المعاملات؛
- الالتزام بالصفات(التنموية، الاستثمارية، الإيجابية)في معاملاتها الاستثمارية والمصرفية؛
- ربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية وتطبيق القيم والأخلاق في العمل المصرفي؛
- تركز المصارف الإسلامية بشكل أكبر على عمليات تمويل أنشطة القطاع الحقيقي،

وبالتالي فهي تتأثر بشكل أكبر وأسرع بالتقلبات في النشاط في القطاع العيني وتذبذب أسعار السلع الأولية لا سيما أسعار النفط .

- تعتمد المصارف الإسلامية بشكل رئيسي على تقديم التمويل لعمليات القطاع الحقيقي

استنادا إلى عدم مشروعية اعتبار المال كسلعة تباع وتشترى في حد ذاتها وتجلب عائدا دون

المشاركة في الجهد والوقت.[4]

4- الصيرفة الاسلامية وصيغها التمويلية

لتمويل المشاريع تستخدم البنوك الإسلامية صيغ تمويلية عديدة ، منها القائمة على الملكية كالمضاربة و المشاركة و المزارعة و المساقاة حيث تعطي للمتعامل القدرة على التصرف ، فيأخذ صفة المالك ، وأخرى قائمة على

المديونية كالمرابحة و السلم و الإيجار و الاستصناع ، والتي تشكل دينا للمتعامل ، حيث لا يمتلك الأدوات المقدمة في التمويل ويمكن اجمالها فيما يلي:

- **التمويل بالمشاركة :**

يعتبر التمويل بالمشاركة أهم ما يميز البنوك الإسلامية عن البنوك التقليدية " وهي تقديم المصرف و العميل المال بنسب متساوية أو متفاوتة من أجل إنشاء مشروع جديد أو المساهمة في مشروع قائم بحيث يصبح كل واحد منهما متملكا حصة في رأس المال بصفته ثابتة أو متناقصة و مستحقا لنصيبه من الأرباح ، و تقسم الخسارة على قدر حصة كل شريك في رأس المال " .

وباستخدام هذه الصيغة يتم المساهمة بالمال و العمل بين الطرفين و بواسطتها يتم تجميع فوائض مالية للأفراد لاستثمارها في مشاريع جديدة أو توسيع مشاريع قائمة ، و تأخذ المشاركة ثلاث أشكال :

- المشاركة الثابتة
- المشاركة على أساس صفقة معينة .
- المشاركة المنتهية بالتمليك .

- **التمويل بالمضاربة :**

و تعرف المضاربة على أنها شركة في الربح بمال من جانب و هو جانب صاحب المال و لو متعددا ، و عمل من جانب آخر و هو جانب المضاربة .

فأسلوب المضاربة يتم باشتراك بين طرفين ، حيث يقوم أحدهما بدفع المال ،و العمل يكون على الآخر ، أي العمل على التوليف بين مدخلين إنتاجيين رأس المال و العمل لإقامة مشاريع اقتصادية .

- **التمويل بالمزارعة :**

عرفها المالكية على أنها " الشركة في الزرع " و تقوم هذه الصيغة أساسا على عقد الزرع ببعض الخارج منه ، و بمعنى آخر يقوم مالك الأرض بإعطاء الأرض لمن يزرعها أو يعمل عليها ، وهذه الصيغة لم تطبق سوى من بعض البنوك السودانية ، ويرجع ذلك إلى الأهمية البالغة التي يكتسيها القطاع الفلاحي حيث يمثل مصدر دخل رئيسي لأكثر من 75% من السكان .

- **التمويل بالمساقاة :**

تعرف المساقاة على أنها " عقد على مؤونة نمو النبات بقدر ، لا من غير غلته ، لا بلفظ بيع أو إيجار ، أو جعل" و صورتها أن تعقد شركة بين شخصين أحدهما مالك

للأشجار يبحث عن من ينميها ، و الآخر يملك الجهد لذلك على أساس توزيع الناتج بينهما حسب الاتفاق .

- **التمويل بالمرابحة :**

ويعرف بيع المرابحة بأنه " البيع بالثمن المشترى به أو تكلفتها على المشترى مع زيادة ربح معلوم يكون في الغالب نسبة مئوية من ثمن الشراء أو التكلفة " .

وصيغة المرابحة شائعة الاستعمال من طرف البنوك الإسلامية وحسب إحصائيات منشورة للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية سنة 1996 حول 166 بنك و مؤسسة مالية إسلامية ، وجد أن معدل تطبيق المرابحة يقدر بـ 40.30% من مجموع التمويلات المقدمة ، بينما لا يتعدى استعمال المضاربة نسبة 8 % . و ذلك بفضل الأهمية البالغة التي تلعبها المرابحة في التنمية ، وكذلك هي من الصيغ قصيرة الأجل ذات الربح المضمون بخلاف صيغ أخرى .

- **التمويل بالتأجير التمويلي:**

ومعناه " أن يستأجر شخصا شيئا معينا ، لا يستطيع الحصول عليها ، أو لا يريد ذلك لأسباب معينة ، ويكون ذلك نظير أجر معلوم يقدمه لصاحب الشيء "

و التأجير يكتسي أهمية بالغة خاصة بما يوفره من سيولة مستمرة من خلال تسديد أقساط الإيجار ، و يعتبر وسيلة مضمونة للتدفقات النقدية للبنوك الإسلامية ، كما أنه يساهم في التنمية الاقتصادية من خلال مساعدة المؤسسات الصغيرة و المتوسطة ، لاقتناء معدات حديثة ليس لها القدرة على شرائها .

- **التمويل بالسلم :**

ويطلق عليه البيع الفوري الحاضر الثمن الأجل البضاعة أوفيه يقوم البائع بالحصول من المشترى على الثمن البضاعة ، ثم تسليمها آجلا ، و من هنا يحصل البائع على ثمن البضاعة عاجلا ، في حين تتم عملية تسليم البضاعة إلى العميل لاحقا .

وصيغة السلم تستعمل في تمويل القطاع الفلاحي من خلال مساعدة الفلاحين في الفترة ما قبل تمام الإنتاج ، كما يمكن استخدام السلم في التمويل التجارة الخارجية من أجل رفع حصيلة الصادرات لتغطية عجز ميزات المدفوعات .

- **التمويل بالإستصناع :**

الاستصناع عقد بيع في المستصنع (المشتري) و الصانع (البائع) بحيث يقوم الثاني بصناعة سلعة موصوفة (المصنوعة

) ،والحصول عليه عند أجل التسليم على أن تكون مادة الصنع و تكلفة العمل من الصانع ، وذلك في مقابل الثمن الذي يتفقان عليه و كيفية سداده.

و تكمن أهمية هذه الصيغة في تمويل البنك للمشاريع الصناعية ، فيعمل على تشغيل الطاقة الإنتاجية العاطلة عند بعض عملائه الصناعيين .

الأسس الفكرية للتنمية الاقتصادية

1- تعريف التنمية الاقتصادية و خصائصها

تتعدد التعريفات المتعلقة بمفهوم التنمية الاقتصادية بتعدد الآراء ولا يوجد تعريف موحد لها ومن بين أهم التعريفات نذكر:

عرفت هيئة الأمم المتحدة التنمية على أنها : العملية التي يمكن بمقتضاها توجيه الجهود لكل من الأهالي والحكومة لتنمية الظروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأقصى ما يمكن.

كما تم تعريف التنمية الاقتصادية على أنها: عملية يتم فيها زيادة الدخل الحقيقي زيادة تراكمية وسريعة ومستمرة عبر فترة من الزمن بحيث تكون هذه الزيادة أكبر من معدل نمو السكان مع توفير الخدمات الإنتاجية والاجتماعية وحماية الموارد المتجددة من التلوث والحفاظ على الموارد الغير متجددة من النضوب.[5]

أما فيما يخص الخصائص الخاصة بالتنمية الاقتصادية فيمكن إجمالها فيما يلي:

- السعي لتحقيق الأهداف التنموية المختلفة التي تعتمد على وجود مجموعة عديدة من الإستراتيجيات المناسبة للعمل والتي تسعى للوصول لمعدل النمو الاقتصادي الجيد؛

- الاتجاه ناحية تطوير البيئة الداخلية للمجتمع كله وكذلك للقطاع الاقتصادي المحلي الذي يخص الدولة؛

- ضرورة أن يتم الاعتماد بصورة واضحة على كافة الجهود الاقتصادية الذاتية من أجل تحقيق معدل التنمية الاقتصادية؛

- ضرورة أن يتم استغلال جميع الموارد والإمكانات المختلفة التي تعمل على تطوير قطاعي الصناعة والزراعة وكذلك التجارة المحلية؛

- السعي للاستفادة من التكنولوجيا وكذلك من الأجهزة الإلكترونية المتقدمة، حيث يعمل كل ذلك على تقديم دعم

مناسب وجيد للتنمية الاقتصادية من خلال الاستثمار في شتى الإمكانات وكذلك الطاقات العلمية والمعرفية المختلفة، وسوف يساعد ذلك على تطوير الكثير من المجالات المختلفة ومن أهم هذه المجالات هى مجال الأبحاث وكذلك التعليم، وغيرها من المجالات الأخرى المختلفة.[6]

2- متطلبات التنمية الاقتصادية وأهدافها:

لتحقيق التنمية الاقتصادية في أي بلد فان يتطلب جملة من المتطلبات الواجب توفرها ومن بينها:

- **التخطيط وتوفير البيانات اللازمة**

لابد من توفير وجمع المعلومات الخاصة بجميع عناصر تحقيق التنمية الاقتصادية والتخطيط السليم ورب جميع العناصر بعضها ببعض وتنمية العلاقات البينية بين كل اجهزة الدولة وتحديد مبادىء وسياسات وبرامج التنمية الاقتصادية

- **تحسين الإنتاج وتوفير التكنولوجيا الملائمة لتوفير الموارد البشرية المختصة**

تسخير الإمكانيات التكنولوجية المتاحة لتوفير الموارد البشرية المتخصصة ولتحسين الإنتاج المحلى مما يساعد فى رفع مستويات الدخل القومي والحد من الاستيراد وزيادة العمل الصعبة نتيجة لزيادة حركات التجارة الخارجية

- **وضع السياسات الاقتصادية الملائمة**

وضع سياسات تنفيذية وبرامج والتنسيق بينهم لخلق تفاعلات جديدة تربط بين التخطيط للتنمية الاقتصادية على المستوى المحلى والدولي مما يساعد أيضا في تحقيق العدالة الاجتماعية وتحسين الأداء في برامج الصحة والتعليم والعمالة والعمل على خلق موارد جديدة

- **توفير الأمن والاستقرار اللازمين**

يعتبر العمل على خلق بيئة مناسبة ومستقرة امنيا من أهم وابرز متطلبات التنمية الاقتصادية حيث أن البيئة المستقرة امنيا تمكن المجتمع من مزاولة الأنشطة الاقتصادية بأمان وبكافة الصور كما أن المستثمر دائما ما يبحث عن بيئة آمنة وخالية من المشاكل لكي يتمكن من إقامة استثماراته بها.

- **نشر الوعي التنموي بين المواطنين**

يعتبر واحدا من أهم متطلبات التنمية الاقتصادية هو نشر الوعي بين الناس بضرورة العمل الجاد في المصانع والمحال وغيرها لنتمكن من زيادة الإنتاج

المحلى والاكتفاء الذاتي وكذلك نشر الوعي بين فئات الشعب المختلفة بضرورة تقليل الفجوة الموجودة ف على الأغنياء إقامة مشروعات لتشغيل الفقراء وعلى الفقراء أن يعملوا بجد واجتهاد .

من خلال ما تقدم نرى أن للتنمية الاقتصادية أهمية كبيرة فمن خلال تحقيقها تسى الدولة الى تحقيق جملة من الأهداف يمكن أن نلخص منها ما يلي:

- زيادة الدخل الحقيقي وبالتالي تحسين معيشة المواطنين أي أن التنمية الاقتصادية تهدف لزيادة معدلات الدخل القومي بصورة كبيرة، حيث يساعد ذلك على تطوير المستوى المعيشي لجميع أفراد المجتمع كله؛
- توفير فرص عمل للمواطنين؛
- توفير السلع والخدمات المطلوبة لإشباع حاجات المواطنين؛
- تحسين المستوى الصحي والتعليمي والثقافي للمجتمع؛
- تسديد ديون الدولة؛
- تحقيق الأمن القومي؛
- تقليل الفوارق الاجتماعيةوالاقتصادية بين طبقات المجتمع.[7]

واقع الصيرفة الاسلامية في الجزائر ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية

1- واقع الصيرفة الاسلامية في الجزائر

إن الجزائر على غرار العديد من الدول الإسلامية والعربية وحتى منها الغربية، عملت على فتح المجال أمام البنوك الإسلامية لمزاولة نشاطها، إلا أنه تعترضها العديد من المعوقات والتحديات في سبيل تنمية نشاطها وتطوير حصتها السوقية، وعليه سنحاول من خلال هذا المحور تشخيص واقع هذه الصيرفة وكذا الدور الذي تلعبه في التنمية الاقتصادية في الجزائر.

الجزائر كغالبية الدول الإسلامية والعربية وحتى منها الغربية قامت بفتح المجال للصيرفة الإسلامية لتكون جزء من نظامها المصرفي منذ أن سنت قانون النقد والقرض 90-10 الذي فتح المجال للقطاع الخاص والأجنبي لإنشاء البنوك ومنها البنوك الإسلامية في الجزائر. اين اعتبرت الجزائر من الدول السباقة إلى اعتماد هذا النوع من المؤسسات مقارنة

بدول الجوار وبعض الدول العربية الأخرى، لكن ذلك لم ينعكس على حجم هذا النوع من النشاط، حيث لم يتم اعتماد سوى بنكين إسلاميين، آخرهما حصل على الاعتماد سنة 2008م ويتعلق الأمر بكل من بنك البركة الجزائري وهو أول بنك برأس مال مختلط (عام وخاص) تم إنشاؤه بتاريخ 20 ماي 1991 برأس مال يقدر ب 500.000.000 دج وبدأ بمزاولة نشاطه بصفة فعلية خلال شهر سبتمبر سنة 1991 .

أما فيما يخص المساهمين، فهما بنك الفلاحة والتنمية الريفية (الجزائر) بنسبة 44%، ومجموعة البركة المصرفية (البحرين) بنسبة 56% ، في إطار قانون رقم 03-11 المؤرخ في 26 سبتمبر 2003، فللبنك الحق في مزاولة جميع العمليات المصرفية من تمويلات واستثمارات وذلك موافقة مع مبادئ أحكام الشريعة الإسلامية ثم بعد ذلك بسنوات طويلة تم تسجيل إنشاء بنك جديد في هذا المجال وهو" مصرف السلام الجزائر"، والذي باشر أعماله حديثا من خلال تقديم مجموعة من الخدمات المالية وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، ليكون بذلك ثاني مصرف إسلامي يدخل السوق المصرفية الجزائرية، ويقدر رأسماله الذي تم افتتاحه بتاريخ 20 أكتوبر 2008 ب 72 مليار دينار جزائري أي ما يقارب 100 مليون دولار ليصبح حينها أكبر المصارف الخاصة العاملة بالجزائر في حين لم يقم بنك الجزائر باعتماد بنوك إسلامية أخرى رغم الطلبات التي تم إيداعها منذ سنوات .

إضافة إلى ذلك، سمحت السلطات الرقابية الجزائرية لبعض البنوك التقليدية بتقديم خدمات مصرفية متوافقة مع الشريعة الإسلامية في نفس الوقت الذي تقدم خدماتها المصرفية التقليدية، ومن ابرز التجارب في هذا المجال.[8] تجربة ببنك الخليج الجزائر AGB، التابع لشركة مشاريع الكويت القابضة، الذي بدأ نشاطه بالجزائر سنة 2002، حيث يقوم بتقديم خدمات مصرفية متوافقة مع أحكام الشريعة الاسلامية من خلال النوافذ الاسلامية المتواجدة بفروعه.

ولا زالت الجهود لتبني الصيرفة الاسلامية في البنوك الجزائرية قائمة حيث قام على سبيل المثال بنك الوطني الجزائري في سنة 2020 عن إطلاق نشاط الصيرفة الإسلامية على مستوى 07 وكالات جديدة ليرتفع العدد الإجمالي للوكالات التي

اعتمدت هذا النشاط إلى 59 وكالة موزعة عبر 44 ولاية من الوطن.

كما قام القرض الشعبي الجزائري، من نفس السنة (2020)، بإطلاق باقة من منتجات وخدمات الصيرفة الاسلامية في ثان وكالة له بالعاصمة, ويتعلق الأمر بالوكالة رقم 125 ببلدية القبة، حيث بين القرض الشعبي الجزائري لزبائنه بتأسيس خط عمل جديد على مستوى شبكته التجارية مخصص للصيرفة الإسلامية وتسويق مجموعة من المنتجات والخدمات المطابقة لتعاليم الشريعة الإسلامية".

ويحمل هذا النشاط الجديد شعار"قيمكم تلهمنا" حيث يسمح لزبائن البنك من الاستفادة من منتجات وخدمات تتماشى وتعاليم الشريعة الإسلامية والمعتمدة من قبل الهيئة الشرعية التابعة للبنك وشهادات المطابقة للسلطة الوطنية للمجلس الإسلامي الأعلى وترخيص من بنك الجزائر لتسويق منتجات المالية الإسلامية".

2- دور الصيرفة الاسلامية في تحقيق التنمية الاقتصادية في الجزائر

تولي جل الدول أهمية كبيرة في تحقيق التنمية الاقتصادية ولعل الجزائر من بين هاته الدول التي منذ الاستقلال وهي ترسم خططا وتضع استراتيجيات من أجل تحقيق تنمية اقتصادية فعالة من خلال إنشاء المشاريع والتشجيع على الاستثمارات سواء كانت أجنبية أو وطنية من خلال إنشاء مؤسسات تكون قادرة على وضع بصمة مساهمة في بناء الاقتصاد الوطني وبطبيعة الحال فإن كل هاته الجهود تتطلب تمويلا من المؤسسات المالية والبنكية الجزائرية لانشاءها ولتكون قادرة على مزاولة أنشطتها .

وبحكم طبيعة المجتمع الجزائري الذي يدين بالدين الإسلامي الحنيف القائم على تحريم الربا في المعاملات المالية والاقتصادية فان الكثير من المستثمرين الجزائرين لا يرغبون في إنشاء مشاريعهم وتمويل مؤسساتهم واستثماراتهم القائمة بالصيغ التمويل التقليدي القائم على ما يسمى بالفوائد الربوية

وقد بينت عدت دراسات أن عددا كبيرا من الجزائريين يرفضون التعامل مع المصارف التقليدية.

ويعتبرون أن النظام المصرفي التقليدي الذي يعتمد على الفوائد الربوية لا يتوافق مع الشريعة الاسلامية التي

تحرم القرض بالفائدة والمضاربة والاستثمار في المحرمات (الكحول والتبغ والقمار) وتنص على تقاسم الخسائر والأرباح بين البنك والزبون.

ومن هنا يبرز دور الصيرفة الاسلامية في التشجيع على تمويل المشاريع وإنشاء مختلف الاستثمارات والمؤسسات التي يطمح بها الفرد الجزائري الذي يريد تمويل مشروعاته تمويلا إسلاميا كما تجدر الإشارة أن تحقيق التنمية الاقتصادية تعتبر كذلك مطلبا توليه المصارف الإسلامية اهتمامًا بالغًا، وتسعى لتحقيق ذلك من خلال إقامة مشاريع استثمارية حقيقية توافق الضوابط الشرعية وتساهم في تحريك عجلة النشاط الاقتصادي، مراعية في ذلك البعد الاجتماعي، من خلال تلبية حاجات فعلية للمجتمع،

فتكون بذلك قد حققت العائد المادي والاجتماعي على حد سواء.

وفعلا فمن خلال استعراضنا لبعض الانجازات التي تحققت بفضل تبني الدولة لفكرة الصيرفة الاسلامية نجد أن الصيرفة الاسلامية قد حققت بعض ما عجزت عن تحقيقه الصيرفة التقليدية، حيث أنه في سنة 2020 تمكنت البنوك العمومية الجزائرية من تعبئة توفير إضافي تقدر قيمته بنحو 8 مليار دينار جزائري بفضل إطلاق منتجات الصيرفة الاسلامية.وهو رقم يعتبر كبيرا.

فبحسب هذه الحصيلة التي تم عرضها فإنّ النتائج الأولية للصيرفة الإسلامية تعدّ مشجعة، وأسهمت في تمويل نشاطات جديدة بمبلغ 500 مليون دينار، فيما بلغ عدد الحسابات المفتوحة وفق صيغة التمويل الإسلامي نحو 12 ألف حساب. وبالتالي من هنا يبرز الدور الكبير الذي تلعبه الصيرفة الاسلامية في إحداث تنمية اقتصادية فعالة في الجزائر.[9]

خاتمة :

من خلال ما سبق عرضه في هذه الدراسة والتي عملت على توضيح وإبراز دور الصيرفة الاسلامية في دعم التنمية الاقتصادية في الجزائر كما قد توصلت الدراسة الى جملة من النتائج أهمها:

- تبين لنا أن الصيرفة الاسلامية تتميز عن التقليدية بكونها تراعي الأخلاق الاسلامية ومن أبرزها عدم التعامل بالربا ،
- تسعى الصيرفة الإسلامية إلى تحقيق أهداف ذات طابع إنساني واجتماعي إضافة إلى تحقيق

هدف الربحية الضروري لبقاء ونمو المصرف وقد أخذت هذه المصارف بالازدياد وبشكل كبير في مختلف أنحاء الوطن الجزائري؛

- مكنت الصيرفة الاسلامية من توفير التمويل اللازم لمختلف القطاعات الاقتصادية في الجزائر

من خلال مختلف الصغ التي تقدمها المصارف الاسلامية للمؤسسات وبالتالي مساهمتها في تحقيق تنمية اقتصادية ؛

كما خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات من أهمها:

- ضرورة اطلاع البنوك الاسلامية الجزائرية على تجارب البنوك العربية والعالمية الأخرى لاكتساب خبرات جديدة؛

- التوسع في تقديم خدمات متميزة في مجال الصيرفة الاسلامية من أجل التشجيع على توافد المستثمرين لتمويل استثماراتهم من هاته الخدمات المقدمة وبالتالي تحقيق التنمية الاقتصادية؛

- ضرورة تكوين الكوادر البشرية العاملة في مجال الصيرفة الاسلامية في الجانب الشرعي ليحسن ذلك من كفاءتهم في أساليب المعاملات المالية التي بدورها تؤدي إلى تحقيق تنمية اقتصادية .

الهوامش:

1. خنفوسي عبد العزيز، العولمة وتأثيراتها على الجهاز المصرفي :الجزء الثاني، ط1 ، عمان :دار الأيام، 2016، ص 319.
2. . الرفاعي فادي محمد، المصارف الإسلامية، ط1 ، لبنان :منشورات الحلبي الحقوقية، 2004 ، ص 19
3. أمال لعمش، دور الهندسة المالية في تطوير الصناعة المصرفية الاسلامية- دراسة نقدية لبعض المنتجات المصرفية الاسلامية، رسالة ماجستير في العلوم التجاريةفرع دراسات مالية ومحاسبية،جامهة فرحات عباس بسطيف، الجزائر ص 13-23
4. .ضياء مجيد، البنوك الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر، 2882 ، ص 32.
5. ميشيل تودور،التنمية الاقتصادية،ترجمة أ.د محمود حسن حسني، دار المريخ للنشر، السعودية، 2006، ص39.
6. أنجي بلال ، التنمية الاقتصادية، مقال منشور عبر الموقع (https://www.almrsal.com/post/828049)، تاريخ الاطلاع: 2021/12/10، على الساعة: 23h00.
7. متطلبات التنمية الاقتصادية، معلومات مقتبسة من الموقع: (https://www.vapulus.com/ar)، تاريخ الاطلاع: 2021/12/11، على الساعة 22h23.
8. بعزيز سعيد، مخلوفي طارق، مداخلة بعنوان: تفعيل الصيرفة الاسلامية في الجزائر لتعزيز تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ، ضمن فعاليات الملتقى الوطني بعنوان، اشكالية استدامة المؤسسات الصغيرة والمتوسكة ، جامعة الوادي بالجزائر، 2018/2017، ص 10-11.
9. معلومات مقتبسة من الموقع : https://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20201104/201911.html) تاريخ الاطلاع: 2021/12/13، على الساعة09h00.

واقع الصيرفة الإسلامية على الاقتصاد الجزائري في ظل التحولات الجديدة

د. خلفاوي عبد الصمد

° ° °

مقدمة :

إن للمال عدّة وظائف، منها الوظيفة الاقتصادية، وتتحقق تلك الوظيفة من خلال اختيار الصيغة التي يستثمر من خلالها، فإن كانت تلك الصيغة متلائمة مع ضوابط الشرع، تتحقق عندها تنمية اقتصادية محاطة ببركات السماء والأرض، وإن كانت تلك الصيغة مخالفة لضوابط الشرع تتولّد عندها أزمات اقتصادية أو تنمية اقتصادية ممحوقة البركة تتهاوى سريعاً عند التعرّض لأدنى المخاطر.

وإن المصارف الإسلامية هي مفتاح للنمو الاقتصادي، ذلك لأن استثمار أموال الأمة في الطريق الصحيح البعيد عن الربا وما يؤدي إليه، يزيد في قوّتها، ويضاعف من ثروتها، وذلك بإخراج الأموال من مخابئها مهما كانت قليلة ، واستثمارها من خلال تداولها بين أيادي أمينة ، وعندها تؤدي قوّتها الشرائية في تقلّبها بين تلك الأيدي، وتحول دون الأزمات الاقتصادي، وتتضاعف بذلك ثروة الأمة.

فأغلب الدول الإسلامية أصبحت لديها مصارف إسلامية تستقطب من خلالها الكثير من الأموال ، ومن هذا المنطلق وبعد تعثر اغلب البنوك الربوية في الجزائر اعتمدت هاته الأخيرة على نظام الصيرفة الإسلامية سنة 2020 وهذا من أجل استقطاب الأموال من الزبائن في ظل أزمة كورونا والتحولات الجديدة.

ومن خلال هذا يمكن طرح اشكاليتنا: إلى أي مدى يمكن لنظام الصيرفة الإسلامية في الجزائر أن يسترجع الثقة المفقودة بين المواطن و البنك ؟

1- **مفهوم البنوك الإسلامية:** هنالك مجوعة من التعاريف نأخذ من بينها التالي:

- يعرف البنك الإسلامي بأنه مؤسسة مالية تقوم بأداة الخدمات المالية و المصرفية، كما تباشر أعمال التمويل و الاستثمار في المجالات المختلفة وفي ضوء قواعد و أحكام الشريعة الإسلامية، بهدف المساهمة في غرس القيم والمثل

و الخلق الإسلامية في مجال المعاملات، و المساعدة في تحقيق التنمية الاجتماعية و الاقتصادية، من تشغيل الأموال بقصد المساهمة في تحقيق الحياة الطيبة الكريمة للأمة الإسلامية.[1]

- المصرف الإسلامي هو مؤسسة مالية مصرفية لتجميع الأموال و توظيفها في نطاق الشريعة الإسلامية بما يخدم بناء مجتمع متكامل وتحقيق عدالة التوزيع و وضع المال في المسار الإسلامي.[2]

- وتعرف أيضا بأنها: "عبارة عن مؤسسات مالية إسلامية تقوم بمزاولة النشاط المصرفي والاستثماري في ظل معالم الإسلام، فهي تقوم بجمع الأموال وتوظيفها وتقديم الخدمات المصرفية في حدود نطاق الضوابط الشرعية الإسلامية"[3]

ومن التعاريف السابقة يمكن أن نعرف البنوك الإسلامية بأنها تلك البنوك التي تقوم باستقطاب الأموال من الأفراد في أطار أحكام الشريعة الإسلامية ومن ثم توظيفها واستثمارها في مشاريع معينة.

2- الاستخدامات الأساسيَّة للبنوك الإسلاميَّة :

تتمثل الاستخدامات الأساسية للبنوك الإسلامية في صيغ التمويل و الاستثمار المعروفة في الفقه والاقتصاد الإسلامي، مع الإشارة إلى أنَّ هذه البنوك لا تطبّق كلَّ تلك الصيغ بل معظمها، والذي يتمثَّل في :

أ- المضاربة : يعرِّفها ابن رشد كما يلي: أن يعطي الرجل الرجل المال على أن يتجر به على جزء معلوم يأخذه العامل من ربح المال، أيّ جزء كان ممَّا يتَّفقان عليه ثلثًا أو ربعًا أو نصفًا.

أي أنها تقديم المال من طرف والعمل من طرف آخر، على أن يتمَّ الاتفاق على كيفيَّة تقسيم الربح، والخسارة على صاحب المال، إلاَّ إذا ثبت التعدِّي أو التقصير من جانب العامل أو المضارب فإنَّه يضمن رأس مال المضاربة. ويتلقى البنك الإسلامي الأموال من المدخرين بصفته مضارباً، بينما يدفعها إلى المستثمرين

بصفته ربًّا للمال، وهذا ما يسمَّى بإعادة المضاربة.[4]

ب- المشاركة : وهي اشتراك طرفين أو أكثر في المال أو العمل على أن يتمَّ الاتفاق على كيفيَّة تقسيم الربح، أمَّا الخسارة فيجب أن تكون حسب نسب المشاركة في رأس المال، ويطبِّق البنك الإسلامي هذه الصيغة بالدخول بأمواله شريكاً مع طرف أو مجموعة أطراف في تمويل المشاريع، مع اشتراكه في إدارتها ومتابعتها.

ج- المرابحة : وهي أن يقوم البنك الإسلامي بشراء بضاعة أو تجهيزات للعميل بطلب منه، ثمَّ يعيد بيعها له مع هامش ربح معيَّن ومتَّفق عليه، ويعتبر الباحث سامي حمود أوَّل من طوَّر هذه الصيغة بعد أن أخذها عن كتاب الأمِّ للإمام الشافعي، وأدخلها إلى النظام المصرفي الإسلامي.

د- الإجارة : وهو الاسم الذي عُرفت به في كتب الفقه الإسلامي، أمَّا البنوك الإسلاميَّة فتطبِّقه أحياناً باسم الإيجار أو التأجير، وهو لا يختلف كثيراً عن التأجير التمويلي الذي تطبِّقه البنوك الأخرى، والذي يُعرف بالفرنسيَّة Crédit-bail وبالإنجليزيَّة Leasing .

هـ- الإستصناع : وهو أن يطلب العميل من البنك الإسلامي صناعة شيء معيَّن غير متوفِّر في السوق، وأفضل مجال يطبِّق فيه البنك هذه الصيغة هو بناء العقارات، حيث يقوم بإنجاز مسكن يصفه العميل ثم يبيعه إيَّاه بالتقسيط عادة مقابل ضمانات تدفع مسبقاً.

و- السلم : وهو يشبه المرابحة في مجال تطبيقه من طرف البنك الإسلامي، لكنَّه يختلف عنه في تقديم ثمن السلعة عند طلبها من البنك، على أن يتمَّ التسليم لاحقاً، وقد شُرع أساساً في مجال الزراعة قديماً، لكنَّه أصبح حالياً يطبَّق في مجالات أخرى كالتجارة والصناعة.

ز- القرض الحسن : هو عقد بين طرفين أحدهما المقرض والثاني المقترض، يتم بمقتضاه دفع مال مملوك للمقرض إلى المقترض على أن يقوم هذا الأخير (المقترض) برده أو رد مثله إلى المقرض في الزمان والمكان المتَفق عليهما.[5]

ورغم أن هذا التعريف ليس فيه ما يفيد الزيادة على رأس المال، إلاَّ أنه تضاف عادة كلمة "حسن" إلى القرض لكي يتمَّ التفريق بينه وبين القرض بفائدة، والتي تعتبر ربا، أي زيادة محرمة في الإسلام.

وعلى هذا الأساس أي عدم وجود العائد، فإن البنوك الإسلامية لا تقدِّم القروض الحسنة إلاَ على نطاق ضيق ولعدد محدود من العملاء، كما أنَّ معظمه يوجَّه لأغراض اجتماعيَّة أو استهلاكيَّة، إلا أن بعض البنوك الإسلامية تقدِّمه لأغراض إنتاجية، فيصبح من صيغ التمويل بالنسبة لها.

وإذا كانت هذه أهمَّ صيغ التمويل التي تميِّز البنوك الإسلاميَّة عن غيرها، فإنَّ هذه البنوك من جهة أخرى تقدِّم خدمات مصرفيَّة لا تختلف فيها عن البنوك التجاريَّة، وذلك لعدم تعارضها مع مبادئ الشريعة الإسلاميَّة، وأهمُّ هذه الخدمات :

- فتح الحسابات الجارية وما يتعلَّق بها من إصدار الشيكات والبطاقات الائتمانية، أو الحسابات الادخارية والاستثمارية .
- تحصيل الأوراق التجارية.
- التحويلات الداخليَّة والخارجيَّة.
- بيع وشراء العملات الأجنبيَّة والمعادن الثمينة.
- عمليَّات الأوراق الماليَّة (الأسهم دون السندات).
- تأجير الخزائن الحديديَّة.
- إصدار خطابات الضمان.
- فتح الاعتمادات المستندية.
- تقديم الاستشارات ودراسات الجدوى الاقتصادية، وفي هذا المجال لا تختلف البنوك الإسلاميَّة عن بنوك الاستثمار.[6]

3- واقع الصيرفة الإسلامية في الجزائر

بدأت البنوك العامة في الجزائر، بالعمل بالتمويل الإسلامي على أمل جذب الجزائريين الذين لا يملكون حسابات مصرفية ولا يتعاملون مع مصارف البلاد، بهدف إعادة جزء من الاقتصاد غير الرسمي إلى النظام المالي. أما التنفيذ الفعلي لآليات ومنتجات الصيرفة الإسلامية، فبدأ من 2020 سبتمبر في البلاد، بعد بدء المعاملات المذكورة في بنكين حكوميين، على أمل تعميمها على باقي البنوك الحكومية والخاصة.

وتهدف الخطوة الأخيرة إلى استقطاب الكتلة المالية الضخمة الناشطة في السوق الموازية، مع امتناع قطاع كبير من

الجزائريين عن التعامل مع البنوك التقليدية. فالبنك الوطني الجزائري، قام بطرح تسعة منتجات مالية في الأسواق، وافقت عليها وزارة الشؤون الدينية الجزائرية.

وسبق تلك الخطوات، ما أنشأته السلطات الجزائرية مطلع العام السابق، التي عرفت بالسلطة المرجعية "الهيئة الشرعية الوطنية للإفتاء للصناعة المالية الإسلامية"، لتشرف على القطاع وتمنح شهادة مطابقة للشريعة الإسلامية. ليباشر ، البنك الوطني الجزائري وبنك الفلاحة والتنمية الريفية (تجاريان) في تسويق منتجات الصيرفة الإسلامية وتبعهما فيما بعد القرض الشعبي الوطني، بعد وضع النصوص التشريعية والمالية الخاصة من طرف الحكومة، الساعية لسحب الكتلة النقدية الناشطة خارج القنوات البنكية، بهدف تغطية العجز المتفاقم في اقتصاد البلاد. قال عضو الهيئة الشرعية أستاذ الاقتصاد، محمد بوجلال "إن عددًا كبيرًا من الجزائريين يرفضون التعامل مع المصارف التقليدية". أما التمويل الإسلامي، فشهد نموًا بوتيرة ثابتة على مدى العقد الماضي في العديد من البلدان ذات الأغلبية المسلمة، خصوصًا في الخليج العربي وماليزيا، ما قاد لتحصيل مئات مليارات الدولارات[7].

و بعد أكثر من سنة على دخول الجزائر عالم الصيرفة الإسلامية لأول مرة، تتردد البنوك الجزائرية في دخول هذا "التحدي المصرفي"، في وقت تعيش فيه المؤسسات المالية أزمة سيولة غير مسبوقة، لم تكن كافية حتى بوجود شبابيك إسلامية لامتصاص أموال الجزائريين النائمة خارج شريان البنوك ، وإلى ذلك، كشف رئيس لجنة الفتوى للصناعة المالية على مستوى المجلس الإسلامي الجزائري الأعلى، محمد بوجيلال، عن رفض 11 بنكا خاصا، دخول مجال الاستثمار في الصيرفة الإسلامية، رغم التسهيلات التي تقرها الحكومة كل مرة في هذا المجال، مشددا "على مستوى لجنة الفتوى منحنا التأشيرة لـ 9 بنوك، وفي المقابل لم يودع 11 بنكا آخر طلبا للحصول على التأشيرة الشرعية حتى الآن".

وبالتالي بعد مرور سنة عن انطلاق الصيرفة الإسلامية في البنوك العمومية نجد أنها لم تحقق كامل أهدافها

المنشودة وهذا كان منتظرا نظرا لانعدام الثقة بين المواطن والبنك سابقا، فمن الصعب إيجاد الوصفة السحرية وكسب ثقة المواطن بسرعة، ولكن نظام الصيرفة الإسلامية يمكن أن يكون لديه تأثير على المدى المتوسط و الطويل وخاصة مع التعديلات التي باشرتها الهيئة الشرعية المكلفة بالصيرفة الإسلامية ، وهذا ما لحظناه في سنة 2021 حيث وكمثال على ذلك قامت الهيئة الشرعية في البنك الوطني الجزائري بتخفيض معدل هامش الربح من 7 بالمئة إلى 6.25 بالمئة بالنسبة للمرابحة العقارية وأيضا تخفيض معدل هامش الربح من 9.5 بالمئة إلى 8.5 بالمئة بالنسبة إلى مرابحة تجهيزات بالإضافة إلى تخفيض نسبة معدل العقود الخاصة بالتوثيق للمرابحة العقارية، وهذا كله كان منتظرا نظرا لعدم الإقبال الكبير على المنتجات الإسلامية لدى البنوك العمومية في البداية وهذا بسبب المعدلات المرتفعة في هامش الربح لدى البنوك مقارنة بمعدلات المنخفضة في المنتجات الكلاسيكية لدى نفس هاته البنوك،

و كما لا يمكن إغفال الأزمة الصحية العالمية والمعروفة بوباء كورونا والتي تأثرت بها الجزائر كباقي دول العالم فمن خلالها لم تتمكن الشبابيك الإسلامية لدى البنوك العمومية من امتصاص أموال المواطنين وجمع مدخراتهم لديها بتلك النسب التي كانت مرجوة.

و من خلال هاته المعطيات يجب على الدولة الجزائرية أن تقوم بإجراء المزيد من التعديلات على المنتجات الإسلامية و أن تقوم بإجراء استنساخ لتجارب التمويل الإسلامي الناجحة في بعض البلدان الإسلامية وتكييفها مع متطلبات الاقتصادي الجزائري، وهذا من أجل كسب ثقة المواطن وامتصاص الكتلة النقدية الكبيرة الموجودة خارج البنوك واستثمارها في مشاريع تضر بالنفع على الاقتصاد الجزائري.

خاتمة

في ختام هذا البحث يمكن القول أن الصيرفة الإسلامية وفي ظل ما تكتسيه من أهمية في تحقيق التنمية الاقتصادية و الاجتماعية وهذا من خلال التجارب الناجحة في أغلب البلدان الإسلامية، إلا أنها في الجزائر لم تلقى ذلك النجاح المنتظر خاصة بعد انطلاقها الجديد في سنة 2020 وهذا ناتج لانعدام الثقة بين المواطن والبنك سابقا وصعوبة استرجاعها ، بالإضافة إلى تكاليفها المرتفعة وهذا أدى في البداية إلى العزوف في اقتناء المنتجات الإسلامية رغم بعض التعديلات التي قامت بها الهيئة الشرعية في بعض البنوك من أجل جذب المواطنين بتخفيض تلك التكاليف.

ومن هذا نستنتج أن هنالك عملا كبيرا ينتظر الشبابيك الإسلامية الموجودة لدى هاته البنوك العمومية أهمها استرجاع الثقة المفقودة بينهم وبين المواطن وهذا يكون أولا بالقضاء على البيروقراطية والفساد المنتشر في أغلب هاته البنوك وتوفير السيولة المالية في أغلب الأوقات بالإضافة إلى رقمنة الشبابيك الإسلامية من أجل تتماشى مع التطور الحاصل في العالم في هذا المجال .

الهوامش :

---

1. سليمان ناصر و عبد الحميد بوشرمة، متطلبات تطوير الصيرفة الاسلامية في الجزائر، مقالة في مجلة الباحث عدد 07، لسنة الجامعية 2010/2009، ص 305.
2. سيف هشام مصباح، دراسة تحليلية للمصرف العراقي، مقالة بجامعة العراق العدد 05 سنة 2004، ص15
3. كمال براهيم بولعراس و عمر قارة، أدوات الاستثمار في البنوك الإسلامية، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس تخصص مالية، السنة الجامعية 2006/2005، ص21.
4. ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1371هـ-1952م، ص: 234.
5. مصطفى حسين سلمان وآخرون: المعاملات الماليَّة في الإسلام، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمَّان/الأردن، 1410هـ-1990م، ص: 51.
6. حسين حسين شحاتة: محاسبة المصارف الإسلاميَّة، (بدون دار النشر ولا تاريخ)، القاهرة، ص: 60.
7. https://www.alghad.com consolte le 05/11/2021 .

سفرية زاد اليقين

بقلم الفقير لله: أ. قرار المسعود

° ° °

لقد دامت أربعين سنة من الانتظار،كنت كلما أتجهز لهذه السفرية لم أجد نفسي مهيأة لها، وكنت أخاطب نفسي و أستخيرها من حين لآخر فلم أجدها على أتم الاستعداد للتوبة النصوحة والتقوى المبينة والمطمئنة لهذه السفرية؛ وغير متأكدة تماما من عدم الرجوع إلى المعاصي والذنوب من بعدها. حتى طال الزمن عليها فلمست منها الخضوع للسيطرة بدرجة ترجحها إلى التقوى تدريجيا ومساعدتي على التحالف و الابتعاد عن وسوسة الشيطان وغرور الهوى.

حينئذ، أعددت زاد اليقين لهذه السفرية، لأقف لأول مرة و أنا معتمر أمام رجل خلقه الله واصطفاه على ما خلق وما يخلق من بني جلدته، فكيف يكون هذا الوقوف؟ و أعطاه كل الصفات الحميدة التي أرادها لخلقه و لعباده الصالحين، فكيف تكون هذه النظرة؟ ومنحه الرسالة و النبوءة الخاتمتين لخلقه و الإمامة على الأنبياء و المرسلين قاطبة، الله أكبر؟.

فهذا كان شاقا علي و على نفسي عندما كنت متوجها (كنت أطلب من نفسي أن تعاهدني أن لا رجوع أبدا، أبدا و البدء في التوبة النصوح) لدخول الباب رقم 16 إلى المسجد النبوي الشريف ومن ثم إلى الروضة الشريفة و أنا متأكد من إنني في رياض الجنة. يا الله ما هذا الانغماس الروحي و الجو و النفحة الربانية في تلك اللحظات. كيف أواجهه و أخاطبه؟ ماذا أقول في هذا الموقف؟ وكيف أتوجه له وكيف أجيد العبارات؟ إنها أسئلة كثيرة، وعبارات أكثر غمرتني.

- السلام عليك يا نبيا لله – السلام عليك يا اشرف خلق لله و أنا متيقن انه ردا علي.

- الحمد لله الذي أطال في عمري حتى أزورك و أسلم عليك

- الحمد لله الذي جعلني من أمتك و لم يجعلني مسيحيا ضالا أو يهوديا

مغضوبا عليه أو مجوسيا مشركا أو شيئا آخر من خلقه.

- الحمد لله الذي هداني إلى الصراط المستقيم و إتباع سنتك.

- السلام عليك يا صديق رسول الله

- السلام عليك يا من وافق رأيه كلام الله

- السلام عليكما يا من سلم الله عليكما من فوق السموات السبع.

سبحان الله أحسن الخالقين، سبحان الله أحسن الخالقين، سبحان الله أحسن الخالقين.

وعند ما نادى المنادي، من اليوم الرابع، احزموا أمتعتكم... وتجردوا من كل لباس و زينة، إنه الإحرام. و أنا أتهيئ للرحيل كنت أخاطب نفسي و أتخيل لو يكون هذا الثوب الأبيض الذي سألبسه هو أخر ما ارتاديه في هذه الدنيا و ماذا سأحمل معي من شيء؟ إلا ما أخلصته لله.

و تذكرت حينئذ ذلك الرجل الذي عندما تهوم به نفسه يأتي بها إلى المقبرة ساعات وساعات حتى تهدئ و ترضو تطمئن، الحمد الله الذي أطال في عمري حتى زرت ما كنت اشتاق إليه.

و أنا متوجه إلى الصرح الفريد الذي أراد الله به أن يكون أول بناء على الأرض قاطبة يجتمع فيه المسلمون و يعبدوا الله فيه العبادة الحركية المفروضة من السماء على لسان الخالق مباشرة لنبيه، و بإشراف خاتم الأنبياء والمرسلين... انه مسجد قباء...الحمد لله... و قد ورد فيه قول الرسول "ص": "من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء وصلى فيه كان له كأجر عمرة"، كما ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم أن النبي كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيًا أو راكبًا فيصلي فيه ركعتين.

شعرت بغمرة تكسوني من تحت ثيابي كأنني تائه. و أنا في هذه الحالة، نادى المنادي ثانية بعد ما أتمت الصلاة: الآن حان وقت التلبية «لَبَّيْكَ اللهمَّ! لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ»،و بدون انقطاع حتى باب السلام ان شاء الله بالبيت العتيق".... كلمات لست متعودا عليها سأحفظها ما دام الطريق طويلا، و أنا أرددها و أنظر إلى هذه الفيافي لأول مرة فإذا بلافتة مكتوب عليها من هنا "بدر" من الجهة اليمنى. وما أدراك ما "بدر". أول غزوة فرق الله فيها بين الحق والباطل. كان يخطر في بالي لو كنت في ذلك الزمان مهاجرا أو مقاتلا و شهيدا في سبيل الله.

و أنا ألبي كنت أرى أن الدنيا متاع الغرور و ما ينفع لا مال و لا بنون إلا العمل الصالح و من كان قلبه سليما، - ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ -(الشعراء 89)

و هل يستطيع المسلم أن يتخلص من رغبات النفس و غرور الشيطان و مغريات الدنيا و أهوالها و يعزم بتأكد تام و يقين مبين انه زائل و ما ينفعه إلا ما أخلصه لله من عمل صالح -﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (لحجر 99)

و انه في الآخرة من الأبديين. انه يقين صعب و لا يناله إلا ذو تقوى

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾

(محمد 17) .

إذا وصل الحال على هذا الاتجاه فأن هذا المسلم قد فاز فوزا عظيم.

إنه باب السلام من البيت العتيق، يا الله كيف يكون لي النظر مباشرة و لأول مرة لبيت الله، إنها أم القرى ، إنها بكة، إنها مكة ، إنها البقعة المقدسة على كل بقاع الأرض، انه البيت الذي لم يبنى من قبله بيت على وجه الأرض -

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ – (آل عمران 96)

و جعله أمنا بدعاء نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

(إبراهيم 37).

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة 125)

يا الهي إنها الحراسة الإلهية ورزق لا يستطيع رده بشر على وجه الأرض و ماء مسكوب لا تمنعه كل تقنيات العالم و نفحة ربانية لا مثال لها على وجه الأرض إلا في هذا البيت المعمور انه شعور يغمر كل مسلم خاشع محتسب.

هنا نادى المنادي مرة اخرى "هنا انتهت التلبية و بدأ الدعاء و التضرع للخالق، أكثروا من الطواف و الصلاة المفروضة إن أجرها بمئة ألف صلاة ما سواها.

من أعلام المنطقة

أ.بلنوار قديري

الشيخ أحمد بن الصادق

نسبه:

هو الولي الصالح العارف بالله الشيخ أحمد بن الصادق الحمدي النائلي نسبا، المالكي مذهبا، الاشعري عقيدة و الرحماني طريقة، ينتهي نسبه الشريف الى سيدنا علي كرم الله وجهه و فاطمة الزهراء رضي الله عنهم اجمعين.

مولده و نشأته:

ولد الشيخ حوالي 1288هـ / 1871م، بمنطقة و ادي القصب (الزعفران) – حاسي بحبح- الجلفة، حيث تربى يتيما مع أخوته بعد ما نفي والده المجاهد الصادق الى الشلف حاليا و توفي في السجن، و بقى الابن يعيل اخوته الصغار متكفلا بهم.

تعلمه و نشاطه:

انتقل الشيخ أحمد بن الصادق بعد ذلك الى زاوية الشيخ الشريف بن الأحرش بالجلفة حيث حفظ القرآن الكريم فيها.

اتصل بأحد العلماء المتواجد آنذاك بالمنطقة و هو الشيخ البشير بن عبد الله بشرى الشريف نسبا، حيث تلقى على يد هذا العالم مبادئ اللغة العربية و الفقه المالكي مع أن هذا العالم يقال أنه نشر الفقه المالكي بالمنطقة ، خاصة منطقة زاغز – بالزعفران و بعد ما تمكن الشيخ أحمد بن الصادق في الفقه المالكي أجازه شيخه و أمره بأن يستقر بوادي القصب و فتح زاوية بها و تدريس الفقه و العلم، ثم زوجه الشيخ البشير بن عبد الله إحدى بناته الثلاث فأنجبت له رجالا اصبحوا من حفاظ كتاب الله و من العلماء الاجلاء، و هم: علي و الصادق و بلخضر و محمد الذي توفي في حياة و الده، كما اتصل الشيخ أحمد بن الصادق بالشيخ الفاضل محمد بن أبي القاسم.

يذكر أن الشيخ أحمد بن الصادق كان مقاوما كبيرا للإستدمار الفرنسي

و أعوانه و كان لا يخضع لأوامره و لا لسلطته و له وقائع كبيرة مع القضاة الفرنسيين و المسؤولين العسكريين...

تعلم على يده الكثير من طلاب العلم منهم حفيده سيد أحمد الصغير الذي أذن له بتدريس كتاب الله و الفقه الاسلامي بالزاوية.

وفاته:

توفي الشيخ أحمد بن الصادق – رحمه الله – سنة 1358هـ/1939م و دفن بمقبرة وادي القصب بالزعفران.

الشيخ عبد القادر طاهري

نسبه:

هو الشيخ العارف بالله قطب الطريقة مربي المريدين و قدوة السالكين، الفقيه الشيخ عبد القادر بن مصطفى طاهري سلسل الولي التقي محمد بن صالح.

مولده و نشأته:

و لد الشيخ عبد القادر طاهري سنة 1291هـ / 1873م بمدينة زنينة الادريسية حاليا بالجلفة، نشأة نشأة صالحة و تربى تربية دينية بين اخوته.

تعلمه:

قرأ الشيخ عبد القادر طاهري الفقه عن الشيخ ابن سعد حرفوش، و كذا عن الشيخ القاضي المختار بن علي حسني من عرش أولاد سي أحمد، و كان متصلا بالشيخ الحاج سعيد بن عبد المالك امام المسجد العتيق آنذاك بالإدريسية الذي خدمه بإخلاص منقطع النظير، درس اللغتين العربية و الفرنسية و نال شهادة تفوق ينالها المجتهدون و أخذ الطريقة الخلوتية الرحمانية عن شيخه عطية بن احمد بيض القول و أجازه فيها إجازة بمعناها المصطلح عليه و بشروطها المقررة عند رجال السند كما هو في المنظومة الرحمانية، و ذلك بتاريخ 20 ربيع الثاني 1327هـ/1907م.

نشاطه:

انتفع بعلمه خلق كثير و تخرّج من زاويته جمع من حفظة القرآن الكريم و الفقهاء، و لو لم يكن من بينهم الشيخ عطية مسعودي الامام الجليل بالجلفة رحمه الله لكفاه شرفا و فخرا، و قد كان يربى صغار الطلبة جسما و روحا فيكسوهم و يطعمهم و يعلمهم القرآن و العلم و يكرم قاصديه و يجود عليهم بما لديه و لا يدخرا شيئا ابدا، و ممن أذن لهم بالتربية و السلوك و اجازهم اجازة تامة كتابيا: الشيخ عطية مسعودي، الشيخ بن محمد بن عطية مؤسسة زاوية الغيشة، الشيخ خير الدين شتوح و الشيخ عبد القادر بن طمار و غيرهم، كان مثالا في النشاط لا يفتر عن ذكر الله و لا يرى الاّ ساعيا في مرضاته من أمر بالمعروف أو نهي عن منكر، أو تدريس علم، أو ارشاد للخلق، و كان جديرا بما وصفه به استاذنا الشيخ عطية بن مصطفى – رحمه الله – بقوله في قصيدة سمّاها " الدرة الثمينة في أوصاف مؤسس زاوية زنينة" يقول فيها:

العلم وصف لازم مع التقى
و الأمر و النهي لوجه ذي البقا
و العفو و الصفح الجميل منه
سجية لا ترغبن عنه
و الحزم و الصدق و كتم السّر
و بذل معروف و كف الشر
أمانة زهد رضا و رأفة
تواضع تورع و عفة
محبة لكل ذي ديانة
و بغض أهل اللهو و الخيانة
لطف ورفق و وفا تحمل
صبر و شكر رحمة تجمل
وهمة تعلو الى سواها
من المكارم التي حواها

باختصار فأعمال الشيخ عبد القادر طاهري المربي و مؤسس الزاوية الرحمانية بالإدريسية التي كان يباشرها بنفسه يعجز عنها الكثير من الناس.

وفاته:

عاش الشيخ عبد القادر طاهري ما يقارب 94 سنة كلها في العمل الصالح الجاد و المواظبة على الخير كما كان شأن مشايخ الطريقة و التربية، الى أن انتقلت روحه الطيبة الطاهرة الزكية الى الرفيق الأعلى ليلة الاثنين 6 صفر 1387هـ الموافق لـ 15 ماي 1967م، و دفن بمقبرة الادريسية بجوار الولي الصالح محمد بن صالح.

الشيخ عطية بيض القول

نسبه:

هو الشيخ الولي الصالح عطية بن أحمد بن عطية الملقب بيض القول المحمدي النائلي نسبا، الاشعري عقيدة، المالكي مذهبا، الرحماني طريقة، و جدّه عطية اشتهر بلقبه بيض القول و هو من أقدم و أوائل مشايخ بني نايل الذين أخذو الطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الزواوي الازهري سنة 1195ه/ 1780م و أسسوا زوايا و ذلك في العهد العثماني.

مولده:

و لد الشيخ عطية بن عطية سنة 1248هـ /1832م بالصدارة قرب بلدة حاسي بحبح (الجلفة).

تعلمه:

تلقى علومه منذ صباه بزواية الهامل، ونال فيها ما شاء الله له من القرآن الكريم و مبادئ علوم الشرع الحكيم، على يد شيخه العالم المربي محمد بن أبي القاسم و تهيأ له أن يتلقى منه خاصة منهاج التزكية و السلوك المستمدين من الكتاب و السنة، فقد كان الشيخ عطية من ملازمي شيخه و أصفيائه، و من خيرة محبيه و خدّمة، مما كان له الأثر الطيب في تكوين شخصيته، فمكنته ملازمة و صحبة هذا الولي العارف أن يتخلق بالأخلاق القرآنية و يتأدب بالآداب النبوية، و يكون من مشايخ التربية.

تأسيس الزاوية:

لما استوت للشيخ أسباب العطاء، أذن له شيخه بإنشاء زاوية و القيام بحق التعليم و التربية، فأنشأها بمكان قرب عين معبد، المسمى بالطكوكة و لم يمكث فيه طويلا حتى غيّر محلها هذا بأمر من شيخه محمد بن أبي القاسم الذي أشار له بتحويلها الى مكانها الحالي بالجلّالية (الجلفة) وكان ذلك بتاريخ 1287ه/1870م.

نشاطه:

حرص الشيخ عطية بن أحمد بيض القول في العمل على ترتيب زاويته بهمة عالية و عناية ربانية، و شرع يعمل بجد و اخلاص على تنفيذ ما عاهد الله عليه لخدمة دينية و نشر نور العلم و المعرفة بين عباده، و تبصير الناس بما يجب عليهم

نحو خالقهم، و قد أدرك الشيخ كما هي عادة مشايخ التربية أن تحقق هذا الغرض الشريف لا يتم كاملا إلّا عن طريق الاهتمام بالناشئة و تعليم أبناء المسلمين، فأنشأ مدرسة لتعليم القرآن الكريم، و فتح الباب على مصرعيه لكل طالب و مريد، قريب أو بعيد دون شرط أو قيد، و أقام نظاما داخليا محكما للتكفل بمؤونة الطلبة و عمل كل ما في وسعه لتوفير أحين الشروط لإقامتهم، و أنصب جل اهتمامه عليهم و على سلامتهم، و كان يعطف عليهم صغيرهم و كبيرهم، يواسي فقيرهم و يرفق بضعيفهم، يراقب أحوالهم و يتحسس مشاعرهم، و كان لهذا الاهتمام المحمود ي كسب ود الطلبة و نجاحهم و الذي كان عددهم يفوق السبعمائة.

و لم يقتصر عمل الشيخ على تعليم القرآن وحده فرأى أن يجعل من زاويته مدرسة يتحقق فيها التكامل التربوي، فأسس مسجدا تقام فيه الصلوات و مركز اشعاع و تعليم الناس احكام العبادات و المعاملات، و آل الشيخ على نفسه أن يجعل من سلوكه اليومي قدوة للآخرين، فكانت الصلاة في وقتها قائمة و الأوراد و الأذكار في حينها دائمة.

كان الشيخ من أهل الضيافة و الكرم و الجود علا **بقوله تعالى** ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا(9) ﴾ (سورة الانسان ،الآية 8-9).

و كانت زاويته مأوى للفقراء و المحتاجين و المجاهدين و الارامل و اليتامى و المساكين و عابر السبيل، و لم يزل الشيخ عطية بن احمد على دأبه حتى جعل من زاويته مكانا يشعّ بالذكر و روضة تعجّ بالطلبة يملؤون أصداءها و غدت بحق كما قيل:

مربع التقوى عليها أسست
نيـــة الاخـــلاص فيها حجـره
جنة فيها جميع المشتهى
و زينة الدنيا و فضل الآخرة
روض اعزاز و فضل فاقطفوا
منها أزهار العلوم المثمرة
ذا مقـــام الأمان يا داخلـــه
فانو ما شئت بصدق و اعبره.

شخصية الشيخ:

كان الشيخ عطية بن أحمد من الذين اصطفاهم الله لحضرته و اختصهم بمحبته و هيأ لهم أسرارهم لمعرفته و جعل الله له في المزايا و المناقب التي تتوفر إلا عند أولياء الله، و كانت شخصيته كما يصفها العارفون تشبه الى حد بعيد شخصية استاذه محمد بن أبي القاسم و كيف لا و هو الذي رباه و صقله و هذّبه، و كان دائم الطهارة لا ينام الليل، لا يخشى في الله لومة لائم.

آثار الزاوية:

قد استطاع الشيخ بفضل اخلاصه و اعتماده على الله أن يجعل زاويته مفخرة و درة في جبين تلك الناحية لما تركته من بصمات و هي قائمة الى اليوم، و قد انجبت رجالا ربانيين أصحاب علم و تزكية كان لهم الدور الريادي في حمل المشعل من بعد الشيخ عطية بن أحمد، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر العبد الصالح الشيخ الهادي بن مصطفى مسعودي، و كان لأمره قصة عجيبة من ذلك أن كام معلما للقرآن الكريم في بداية أمره و لما كلفه الشيخ بتدريس متن الشيخ خليل اعتذر من قلة الزاد في هذا الشأن إلا ان الشيخ ألحّ عليه بعد ما دعا له بالخير، فاستجاب الله لهذا الدعاء، فكان سي الهادي أعجوبة زمانه بما فتح الله عليه بنور البصيرة و القدرة على الاستدلال و حصر الشواهد و الشوارد، و استفاد الطلبة من دروسه ووسعهم بعلمه و قدرته، و نالوا مبتغاهم على يده، و منهم الشيخ عبد القادر بن مصطفى طاهري شيخ زاوية الادريسية، و منهم العالم عطية بن مصطفى مسعودي شقيق سي الهادي، و منهم الشيخ المربي بن محمد بن عطية شيخ زاوية الغيشة بالزعفران، و الشيخ لخشر بن بن ساعد بيض القول شيخ زاوية المقسم، و كذا سي عمر الدمدي، و سي قدور بن هدية الذي يعود أصله الى زمالة الأمير عبد القادر، و سي يوسف بن بلخير، و سي أحمد بن جقينة، و سي بوزيان بن الابض سيد الشيخ، و سي احمد المجباري، و الشيخ نعيم النعيمي و غيرهم.

وفاته:

توفي الشيخ رحمه الله سنة 1336هـ الموافق لشهر أوت 1917م بعد حياة مليئة بجلائل الاعمال و كريم الخصال

و دفن بزاويته بالجلاّلية (الجلفة) و قد رثاه تلميذه الهادي مسعودي بأبيات ضمّنها خصاله الحميدة و أعماله الجليلة:

خسف البدر المنير و أفلت
شمس النهار و ضاهت الصريما
و تغيرت الغبراء و قد امتلأت
أقطارها و جدبا جسيما
و ذابت قلوب العقلاء و انقطرت
حتى كادت أن تكون رميما
على بهجة الدنيا و ركن منارها
و نبراس العارفين أمسى هشيما

الى آخر الابيات...

الشيخ النعيم النعيمي

نسبه:

هو الشيخ العلامة نعيم بن احمد بن علي بن صالح النعيمي، الحركاتي، الزكري، النائلي نسبا، الجلاّلي منشأ و تربية، القسنطيني وفاة و مدفنا، سمي بالنعيمي باسم أحد أجداده التي تعرف بالعائلة، ثم اختصر الى نعيم لتردده على الألسنة.

مولده و نشأته:

ولد الشيخ النعيم النعيمي في عام 1327هـ 1909م، سابع اخوته الثمانية، ببلدة سيدي خالد (أولاد جلال- بسكرة) في اسرة طبية متعفنة تشتغل بالفلاحة و الرعي في البادية، مما أكسبه قوة في الحافظة و اعتدالا في الطبع و تهيؤ لتلقي العلوم، و كان أبوع كغيره من الأهالي من مريدي الزاوية المختارية إحدى زوايا الطريقة الرحمانية في المنطقة، و هي قريبة من بلدته.

تعلمه:

بدأ الشيخ النعيم النعيمي يحفظ القرآن الكريم على أخيه الجنيدي و هو في البادية، فحفظ منه طرفا ثم انتقل الى خاله في مدينة سيدي خالد الشيخ مصطفى ، فأتم حفظه عنده وعمره لا يتجاوز عشر سنوات ، وقد بدت عليه مخائل التميز والعبقرية . انتقل إلى زاوية الأخضرية بأولاد جلال حوالي 1919 م لعلاقة أبيه وأخيه بشيخ الزاوية ، فمكث هناك نحوا أربع سنوات من الاجتهاد والتحصيل ، فأخذ الفقه وعلوم اللغة والتفسير والأصول و شيئا من المنطق و الفلك و غيرها ،

وكان أهم المدرسين حينذاك بالزاوية المذكورة هما الشيخ : العابد الجيلالي ، والشيخ مصطفى بن قويدر مبروكي (ت1945م) ، وقد كان الشيخ حتى أواخر أيامه يتحدث عنهما بكثير من الإجلال والتعظيم ويعترف لهما بالفضل الجزيل ، وكان يصفهما بغزارة المعرفة و التمكن البالغ من المعارف الدينية واللغوية والورع الشديد و التعبد الدائم .

تخرج الشيخ النعيم النعيمي من الزاوية سنة 1342ه1923م بعد أن وعى و استوعب ما فيها ، وهذه المرحلة هي ركيزة علمه وزاده الذي تمكن به أن يواصل مسيره الطويل شهرته. تغني عن البيان وحفظه وذكاؤه لا يختلف فيه اثنان ، إذا هو أحد أعضاء جمعية علماء المسلمين الجزائريين البارزين ، الفذ المفلق من شعرائها المرجزين وكان يترجل الشعر بدون روية أو كتابة . وترجمته مذكورة بإسهاب في إحدى مجلات الأصالة التابعة لوزارة التعليم الأصلي ، وكان مع الشيخ عطية بن مصطفى مسعودي في حلبة الميدان كفر سي رهان لا يلز معهما في قران ،

وفي حوالي سنة 1930 م وهو إذا ذاك في زاوية الشيخ عطية بيض القول بالجلالية مع الشيخ عطية مسعودي شرع في نظم (قطر الندى وبل الصدى) ولم يتممه فطلب منه الشيخ عطية مسعودي تكميله قائلا :

نظمت قطر الندى بسحر بيانكا
ما أنت إلا سيبويه زمانكا
أنعم أنعم الله نعمته عليك
وزاد بالمختار رفعة شانكا

فأجابه الشيخ النعيم النعيمي بقوله :

مدحت خلالك مذ نسامي شأنكا
بديع لفظ سطرته بنانكا
ونظمت عقدا بالآلئي يزدري
فالنظم نظمك و البيان بيانكا

وفاته:

توفي الشيخ العلامة الفقيه نعيم النعمي- رحمه الله – سنة 1392هـ - 1973م في قسنطينة و دفن بها.

حصيلة النشاط الثقافي لشهري أفريل / ماي 2021
الموافق لـ(رمضان 1442هـ) " خلال فترة الحجر الصحي"

الرقم	التاريخ	نوع النشاط	موضوع النشاط
01	2021/04/11	نشر	البيان رقم 27 المتعلق بصلاة التراويح ومواصلة الاجراءات الوقائية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
02	2021/04/12	بث	كلمة بمناسبة شهر رمضان 1442هـ/2021 الدكتور احمد يسعد - مدير المركز الثقافي الاسلامي بالعاصمة
03	2021/04/13	بث	كلمة تهنئة بمناسبة شهر رمضان الفضيل1442هـ الأستاذ : فوكراش عبد القادر - مدير الشؤون الدينية والوقاف لولاية الجلفة
04	2021/04/13	نشر	نفائس مكتبة المركز الثقافي الإسلامي الجلفة التعريف بكتاب: فتاوى الشيخ أحمد حماني المركز الثقافي الاسلامي فرع الجلفة
05	2021/04/14	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة الشيخ: جابري السالت- رئيس مجلس إقرأ بالجلفة
06	2021/04/15	نشر	نفائس مكتبة المركز الثقافي الإسلامي الجلفة كتاب "مختصر الفقه في الإسلامي" لمؤلفه الأستاذ" يحي مسعودي- أستاذ وباحث متقاعد
07	2021/04/16	بث	سلسلة مع مشائخ الجلفة الشيخ الإمام ميلود قويسم - أمين المجلس العلمي
08	2021/04/17	نشر	نفائس مكتبة المركز الثقافي الإسلامي الجلفة" كتاب الفقه الإسلامي و أدلته لمؤلفه أ.د وهبة الزحيلي
09	2021/04/18	بث	مداخلة حول ":ظاهرة التبذير" بالتنسيق مع مديرية التجارة لولاية الجلفة الأستاذ: بحري رابح - مفتش الجودة وقمع الغش بمديرية التجارة لولاية الجلفة
10	2021/04/19	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة" مع الشيخ الإمام : الصادق بلحاج - إمام متقاعد
11	2021/04/20	نشر	نفائس مكتبة المركز الثقافي الإسلامي الجلفة" كتاب منهاج المسلم لمؤلفه أبو بكر جابر الجزائري
12	2021/04/22	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة" مع الشيخ الإمام: بورنان لخضر - إمام متقاعد
13	2021/04/24	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة" مع الشيخ الإمام :براهيمي الطيب - إمام أستاذ رئيسي
14	2021/04/25	نشر	نفائس مكتبة المركز الثقافي الإسلامي الجلفة كتاب: "موطأ الامام مالك"

15	2021/04/26	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة الشيخ الامام: سليم سعد – إمام متقاعد
16	2021/04/27	نشر	نفائس مكتبة المركز الثقافي الإسلامي الجلفة كتاب المدون الكبرى للإمام مالك بن أنس الأصبحي الصادر عن دار الكتب العلمية –بيروت-
17	2021/04/28	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة الشيخ الإمام : ميلود شريط - معتمد أئمة دائرة الشارف
18	2021/04/29	نشر	نفائس مكتبة المركز الثقافي الإسلامي الجلفة كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لمؤلفه عبد الرحمن الجزيري
19	2021/04/30	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة مصطفى بلخيري - معتمد أئمة دائرة دار الشيوخ
20	2021/05/01	نشر	حديث ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها في فضل العشر الأواخر من شهر رمضان
21	2021/05/02	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة الشيخ الإمام: بعيطيش عبد الرحمن- معتمد أئمة دائرة عين وسارة
22	2021/05/03	نشر	نفائس مكتبة المركز الثقافي الإسلامي الجلفة كتاب " بداية المجتهد و نهاية المقتصد" للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي
23	2021/05/05	بث	سلسلة مع مشايخ الجلفة الشيخ الإمام: بن شريط لخضر - إمام أستاذ
24	2021/05/06	بث	تلاوة قرآنية ماتيسر من سورة البقرة مع الشيخ والمقرئ: موفق محمد
25	2021/05/07	نشر	حفل تكريم تكريم الشيخ المقرئ: موفق محمد
26	2021/05/09	بث	محاضرة بمناسبة ذكرى احداث 08 ماي 1945 واليوم الوطني للذاكرة وتزامنا مع ليلة القدر المباركة مع الاستاذ الشيخ : دراح موسى - إمام مدرس
27	2021/05/10	نشر	حفل تكريم حفظة كتاب الله بالتنسيق مع مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية الجلفة والمدرسة القرآنية لمسجد الرحمان بالجلفة

حصيلة النشاطات الثقافية لشهر أكتوبر 2021

الرقم	التاريخ	نوع النشاط	موضوع النشاط
01	2021/10/01	محو أمية	فتح قسمين لمحو الأمية نساء الأستاذتان: بودانة فتيحة/ بن طار الزهرة
02	2021/10/01	تعليم قرآني	فتح ثلاث أقسم للتعليم القرآني الأساتذة: رقيق عبد العزيز/ قويدري سعيدة/ شعلاني كوثر
03	2021/10/12	محاضرة	في السيرة النبوية العطرة الأستاذ الشيخ : يحيى مسعودي
04	2021/10/14	ندوة	في السيرة النبوية العطرة الأستاذ الدكتور: بوهلال عبد الحليم/ الدكتور: بن مصطفى عيسى
05	2021/10/18	ندوة	بمناسبة اليوم الوطني للهجرة 17 أكتوبر1961 الاستاذان: فكرون عبد القادر/ بن لبيض محمد
06	2021/10/23	عرض مسرحي	بمناسبة اليوم الوطني للهجرة 17 أكتوبر1961 وذكرى السابعة والستون لاندلاع الثورة التحريرية فرقة قطوف الجنة بالجلفة
07	2021/10/26	درس	تفسير آيات من القرآن الكريم الأستاذ الشيخ : يحيى مسعودي
08	2021/10/28	ندوة	بمناسبة الذكرى السابعة والستون لاندلاع الثورة التحريرية 1 نوفمبر 1954 الاستاذ الصحفي : ياسين كوداش/ الاستاذ: فيرح عمر

حصيلة النشاطات الثقافية لشهر نوفمبر 2021

الرقم	التاريخ	نوع النشاط	موضوع النشاط
01	/	محو أمية	محو الأمية نساء الأستاذتان: بودانة فتيحة/ بن طاهر الزهرة
02	/	تعليم قرآني	متابعة أقسام التعليم قرآني الاساتذة: رقيق عبد العزيز / قويدري سعيدة/ شعلاني كوثر
03	2021/11/01	دراسة	فتح أقسام التحضير لشهادتي الدكتوراه والماستر طلبة وأساتذة
04	2021/11/25	اجتماع	لقاء مفتش مركزي بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف بأئمة ومفتشين ومرشدات دينيات مديرية الشؤون الدينية والأوقاف ولاية الجلفة مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية الجلفة
05	2021/11/29	محاضرة	علم المياه في الحضارة الإسلامية الدكتور: هزرشي عبد الرحمن
06	2021/11/30	ندوة	ذكرى مبايعة الأمير عبد القادر إسهامات قبائل اولاد نايل- الأستاذ الشيخ : يحيى مسعودي/ الاستاذ: فكرون عبد القادر / الاستاذ: بن لبيض محمد

حصيلة النشاطات الثقافية لشهر ديسمبر 2021

الرقم	التاريخ	نوع النشاط	موضوع النشاط
01	/	محو أمية	محو الأمية نساء الأستاذتان: بودانة فتيحة/ بن طاهر الزهرة
02	/	تعليم قرآني	متابعة أقسام التعليم قرآني الاساتذة: رقيق عبد العزيز / قويدري سعيدة/ شعلاني كوثر
03	2021/12/01	دراسة	فتح أقسام التحضير لشهادتي الدكتوراه والماستر طلبة وأساتذة
04	2021/12/13	محاضرة	جديد الصفقات العمومية وتأثيرها على سير المرفق العام الدكتورة : خلدون عيشة - جامعة الجلفة
05	2021/12/14	عرض	فيلم ثوري حول المناسبة المركز الثقافي الاسلامي بالجلفة
		محاضرة	بمناسبة الذكرى الحادية والستون لمظاهرات 11 ديسمبر 1960 الأستاذ: لبوخ خليفة- باحث في التاريخ والأمين الولائي لجمعية اول نوفمبر بالجلفة
06	-18 2021/12/19	نشاط تدريبي	مخيم تطوير الشباب والمراهقين بالتنسيق مع الجمعية الولائية تمكين للتنمية البشرية لولاية الجلفة
07	-20 2021/12/21	أيام دراسية	الشباب والمقاولاتية الجمعية الشبانية ريادة بمسعد ولاية الجلفة
08	2021/12/30	يوم مفتوح	حول تربية المائيات مديرية الصيد البحري لولاية الجفة

المركز الثقافي الإسلامي - فرع الجلفة
الشيخ سي عامر محفوظي
يرحب بضيوفه الكرام

الشيخ سي عامر محفوظي

فهرس المجلة

كلمة رئيس المركز	**السيد المختار ابراهيمي** رئيس المركز الثقافي الإسلامي – فرع الجلفة	01
حماية الموارد المائية من خلال قواعد الفقه الإسلامي	**د/ هزرشي عبد الرحمان** أستاذ محاضر بكلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة زيان عاشور الجلفة	03
موقف الاستعمار الفرنسي من النشاط الإصلاحي والتعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة	**د/ عبد العزيز نارة** دكتوراه تاريخ معاصر	15
قبسات من حياة وفكـر مالك بن نبي	**د/ قرقيط عمر** علم الاجتماع المنظمات والموارد البشرية جامعة الجزائر2 بوزريعة	39
ثقافة التكنولوجيـا وثقافـة الطفـل: العلاقة والأثر	**أ/ جيلالي شعثان** مكتبة المركز الثقافي الإسلامي بالجلفة	56
النظام القضائي العثماني في الجزائر (1771-1870م)	**أ/ سني علية** ماستر تخصص تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية الجزائرية	72
جديد الصفقات العمومية و تأثيرها على سير المرافق العامة	**د/ خلدون عيشة** جامعة زيان عاشور بالجلفة	82
الآثار الرومانية بالجلفة - من بوابة "روما الصحراء" مسعد-	**أ/ عطية عيساوي** معماري باحث في التاريخ	104
ترقية الوعي البيئي لدى أفراد المجتمع لأجل حاضر و مستقبل بيئي أفضل	**أ/ قطاف سلمى** ماستر أكاديمي في العلوم الاقتصادية جامعة زيان عاشور الجلفة	119
مكانة المرأة في الشريعة الإسلامية وتحديات العصر	**أ/ هيام عايدي – أ/ ثامري مسعودة** ماستر جامعة الجلفة	132
الطفولة المسعفة دراسة ميدانية	**أ/ بلعطرة خديجة** ماستر علم اجتماع جامعة الجلفة	139

الصيرفة الاسلامية كآلية لدعم التنمية الاقتصادية في الجزائر	د/ بوعكاز عامر دكتوراه جامعة زيان عاشور بالجلفة	142
واقع الصيرفة الإسلامية على الاقتصاد الجزائري في ظل التحولات الجديدة	د/ خلفاوي عبد الصمد دكتوراه في الاقتصاد	155
سفرية زاد اليقين	أ. قرار المسعود	162
من أعلام المنطقة	جمع أ.بلنوار قديري موظف في المركز الثقافي الإسلامي بالجلفة	165
حصيلة النشاطات الثقافية للمركز السداسي الثاني 2021م	مكتب النشاطات الثقافية وتنظيم الملتقيات المركز الثقافي الاسلامي	173
صور من بعض نشاطات	مكتب النشاطات الثقافية وتنظيم الملتقيات المركز الثقافي الاسلامي	176

جاء في صحيح البخاري تحت رقم (7474) حدثنا قبيصة حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن سليمان، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما- قال كان النبي صلى الله عليه و سلم يدعو من الليل - اللهم لك الحمد أنت رَبُ السموات و الارض، لك الحمد أنت قيم السموات و الأرض و من فيهن، لك الحمد أنت نور السموات و الأرض، قولك الحق ووعدك الحق و لقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق اللهم لك أسلمت وبكل آمنت و عليك توكلت، واليك أنبت، وبك خاصمت واليك حاكمت فأغفر لي ما قدمت و ما أخرت، وأسررت و أعلنت، أنت إلهي لا إله لي غيرك.